المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة



منهج الشيخ الغزالي في تقرير مسائل العقيدة

عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

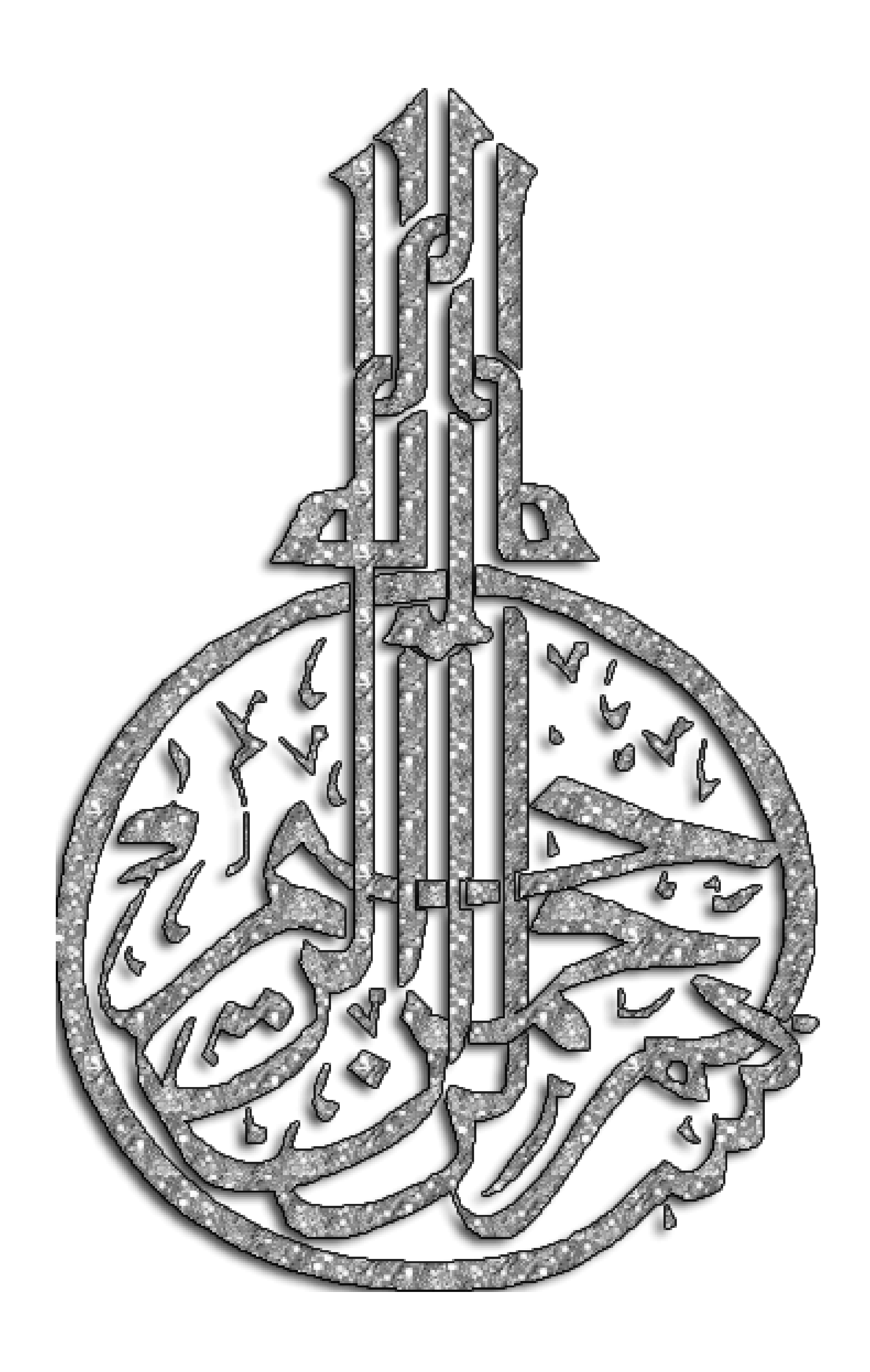
إعداد الطالب

بشير بن علي بن محمد الشيخي

إشراف فضيلة الشيخ

أ. د . سعد الشهراني

١٤٣٣/١٤٣٢هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء وشكر ..

فإني أحمد الله تبارك وتعالى وهو أهل للثناء والحمد أن يسر لي طلب العلم في هذه الجامعة العريقة، وأعانني على إكمال هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر الجزيل بعد شكر الله تعالى لأمي الحبيبة التي عاشت معي كل أوقاتي بالدعاء لي بالتوفيق ، والدعاء الخالص الصادق لشيخي أ . د / سعد بن علي الشهراني ، المشرف على البحث ، الذي أفادني من عمله ، وما بخل على بوقته ، والذي غمرني بخلقه ونبله فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أشكر شيخنا د . / سالم بن محمد القرني – رئيس قسم العقيدة الذي كان لي في مقام الوالد الحاني والذي وجدت منه كل الدعم المعنوي والتشجيع على مواصلة الدراسة. وكذلك أشكر شيخنا الفاضل أ . د . / أحمد السيد رمضان الذي أفادني بتوجيهاته المباركة والذي لم يبخل على بجواب قيم ومفيد عند استشارتي له أو سؤاله .

وأشكر جميع مشايخي الفضلاء على ما قدموه لي من علم نافع وتوجيه مبارك.

كما أشكر كل من أعانني بمراجعة نص، أو تصحيح أو إعارة كتاب بدعوة دعاها أو بدعوة حضور لباها.

وأخيراً... لا أدعي أنني وفيت هذا البحث حقه لما يعتريني من النقص والعجز البشري ولكن حسبي أني اجتهدت وبذلت فيه قدر استطاعتي، وأن الحق والصواب كان غايتي فإن وفقت فهذا منةً من الله وفضل. وإن أخطأت وقصرت فمن نفسي والشيطان، وأرجو أن يكون صدق النية ورغبتي في طلب الحق والصواب شفيعاً لي في عفو ربي وغفرانه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبالله التوفيق،،،

ملخص الرسالة

العنوان:منهج الشيخ محمد الغزالي في تقرير مسائل العقيدة عرض ونقد.

الدرجة:ماجستير في العقيدة.

اسم الباحث:بشير بن علي بن محمد الشيخي.

هدف الرسالة:

الوقوف على ما قام به الشيخ محمد الغزالي رحمه الله من جهد في سبيل عرض العقيدة وتقريبها لمتناول أيدي الناس. مع نقد ذلك.

بيان المسائل العقدية التي وافق أو خالف فيها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله منهج السلف.

إيضاح منهج الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في تقرير مسائل العقيدة.

أبواب الرسالة:

اشتمل البحث على ثلاثة فصول وخاتمة وهي:

الفصل الأول: وخصص عن حياة الشيخ محمد الغزالي والأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية التي عاش فيها.

الفصل الثاني: وهو عن منهج الشيخ الغزالي رحمه الله في تقرير مسائل العقيدة وموقفه منها، وكذلك قواعد الاستدلال وطرقه عند الشيخ رحمه الله.

الفصل الثالث: وخصص عن آراء الشيخ العقدية.

نتائج البحث:

أن الشيخ محمد الغزالي قامة سامقة في الدعوة إلى الله تعالى ومدافع قوي في وجه خصوم الدين.

أن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله اتفق مع السلف في مصادر الاستدلال في بعض الأمور، واختلف معهم في أمور أخرى.

أن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله اتفق كثيراً مع السلف في مسائل العقيدة واختلف معهم في أمور أخرى.

Thesis Summary

Title: Shaikh Mohammed Al-Ghazali approach in confirming beliefs issues – introduction and criticism

Degree: Master in Faith and beliefs

Researcher's Name: Basheer Bin Ali Bin Mohammed Al-Shaikhi

Thesis objectives:

1. A preview on the efforts has been done by Shaikh Mohammed Al-Ghazali in presenting the beliefs and simplification he made to be easily understood by people. And its constructive criticism.
2. A clarification of beliefs issues that has been agreed with or contradict with by Shaikh Mohammed Al-Ghazali – predecessor's approaches.
3. Clarification of Shaikh Mohammed Al-Ghazali approach concerning the confirmation of beliefs issues.

<u>Thesis table of contents and chapters</u>

The research consisted of three chapter and conclusion, as follows:

First Chapter: Tackled Shaikh Moahmmed Al-Ghazali's life and curriculum, as well the political, social, intellectual and religious environments he lived in.

Second Chapter: About Shaik Mohammed Al-Ghazali's curricula in confirming the beliefs issues and his stand of such, as well as his rules of evidences and support along with the methodologies.

Third Chapter: Dedicated for Shaikh's religious opinions.

Research Conclusions:

1. Shaikh Mohammed Al-Ghazali considered being of the spinal cords of in calling for Allah, a strong defender in the face of religion opponents.
2. He agreed with predecessors in evidences resources in some issues and matters, and disagreed in other matters.
3. Considerably he agreed with predecessors in religion and beliefs matters, and disagreed in others.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيرا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١.]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ ﴾ [الأحزاب: ٧٠]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر: ١٨]

وبعد:

حفل القرن العشرون بمجموعة كبيرة من علماء الإسلام ودعاتها البارزين في شتى علوم الدين، ومناحي الحياة. كانت لهم جهودٌ مباركة في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه سواء كان ذلك بالدروس والخطب أو التأليف أو المؤتمرات والمناظرات، مستخدمين في ذلك الوسائل المشروعة التي منحهم الله عزوجل في عصرهم وزمانهم كالطباعة والشريط المسموع وغيرها، متنقلون بين البلدان والقرى والهجر.معلمون ووعاظ سواء كان ذلك على مقاعد الدراسة الجامعية أو منابر المساجد وحلق العلم. فكان لذلك الأثر الطيب المبارك ولله الحمد.

كان الشيخ محمد الغزالي رحمه الله واحداً من علماء المسلمين ودعاته البارزين في هذا العصر، بل كان رحمه الله من أشد العلماء المتحمسين لدعوته ولكلمة الحق التي يحملها، وما فتئ رحمه الله معلماً وداعياً ومناظراً ومحاوراً بكل ما أوتي من قوة عن الرسالة التي يرى أنها أمانة تحملها، ظل على ذلك طيلة حياته حتى كان آخر نفس من أنفاس عمره المبارك رحمه الله حيث لقي ربه وهو على ذلك.

توفي الشيخ الغزالي رحمه الله فترك مجموعة كبيرة من الكتب والمؤلفات التي ألفها بيده، أو كلمات ومواعظ وخطبا ألقاها ثم جمعت بعد ذلك في صحائف الكتب سواء كان ذلك في حياته أو بعد مماته.

وفيما يزيد على نصف قرن من الجهد والبذل والعطاء أصبح الشيخ الغزالي رحمه الله يحمل من الشهرة التي تعدت الآفاق، وأصبح طلابه ومحبوه في جميع البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ينهلون من علمه وموروثه سواء كان ذلك كتباً أو موادا مسموعة.

نعم إن الشيخ الغزالي رحمه الله بشرٌ من البشر يجتهد فيصيب ويخطئ، وحسبه رحمه الله أنه اجتهد وأراد الحق نحسبه والله حسيبه.

ومن هنا افترق الناس في الحكم على الشيخ رحمه الله إلى ثلاثة أصناف.

الصنف الأول محبون ولكن ينقصهم الاعتراف بخطأ الشيخ وزلله في المسائل التي لوحظت عليه.

والثاني ناقم على الشيخ حتى بلغ بعضهم حداً من الذم والجرح والقدح منتهاه.

والحق أن الشيخ رحمه الله له جهود مشكورة نسأل الله أن تكون مأجورة، ولديه من الأخطاء والزلات ما نسأل الله أن يغفر له فيها وأن يسامحه، وهذا هو قول الصنف الثالث وهو القول الحق بإذن الله.

إن من حق الشيخ الغزالي رحمه الله علينا أن نراجع أعماله التي قدمها ونقف مع الأخطاء التي وقعت منه ننقدها وفق منهج السلف الصالح على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، معتدلين وعادلين ومنصفين متحرين الحق والصواب، فما كان من حق وصواب من الشيخ قبل وأخذ وشكر عليه، وما كان غير ذلك فإنه مردود مع بيان الحق في ذلك، وهذا من خير الأعمال التي تقدم هدية طيبة للشيخ الغزالي رحمه الله وللأمة الإسلامية.

ولذا فإني رأيت بمشورة من بعض مشايخي جزاهم الله خيراً أن أجمع جهود الشيخ محمد الغزالي وما قدمه من مواقف موضوعاً لدراستي الماجستير وجعلته بعنوان "منهج الشيخ الغزالي في تقرير مسائل العقيدة عرض ونقد"، وإضافة إلى ما سبق، هناك أسباباً أخرى دفعتني لاختيار هذا الموضوع يمكن أن أجملها فيما يلي.

أسباب اختيار الموضوع :

١- رغبتي الشديدة في دراسة شخصية محمد الغزالي رحمه الله، وذلك من زمن مبكر قد حان وقته ولله الحمد.

٢- الثراء العلمي الذي يتميز به الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، مما يدعونا إلى الوقوف مع نتاجه بالعدل والإنصاف، وتقديم ذلك للأمة الإسلامية.

٣- تنوع القضايا العقدية، التي تناولها الشيخ محمد الغزالي.

٤- تحفيز العلماء وطلاب العلم إلى النظر في سيرة هذا الرجل ومواقفه فقد عاش ما يزيد على نصف قرن من العطاء المتواصل للإسلام والمسلمين، ولم يكن بمعزل عن قضايا أمته بل كان حاضراً فيها بالقلم واللسان في كل الأحوال التي عاشها رحمه الله .

الدراسات السابقة:

بعد السؤال ومراسلة المراكز العلمية المتخصصة تبين عدم وجود موضوع مماثل ولم يتم تقديم أي رسالة جامعية تتناول هذا الموضوع.

خطة البحث:

وتتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

مقدمة:

الفصل الأول: الشيخ محمد الغزالي حياته الشخصية والعلمية ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حياته الشخصية ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عصره.

المطلب الثاني: مولده ونشأته ووفاته.

المبحث الثاني: حياته العلمية وفيه مطالب:

المطلب الأول: دراسته وتلقيه العلم.

المطلب الثاني: مؤلفاته.

المطلب الثالث: المناصب التي تولاها.

المطلب الرابع: أقوال العلماء والمفكرين فيه.

الفصل الثاني: منهج الشيخ محمد الغزالي في تقرير مسائل الاعتقاد وفيه:

المبحث الأول: مصادر الاستدلال عند الشيخ الغزالي وموقفه منها وفيه مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم.

المطلب الثاني: السنة.

المطلب الثالث: الإجماع.

المطلب الرابع: العقل.

المبحث الثاني: قواعد الاستدلال وطرقه عند الشيخ محمد الغزالي.

الفصل الثالث: آراء الشيخ محمد الغزالي العقدية وفيه مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالله تعالى.

المبحث الثاني: الإيمان بالملائكة.

المبحث الثالث: الإيمان بالكتب.

المبحث الرابع: الإيمان بالرسل الكرام.

المبحث الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث السادس: الإيمان بالقدر.

الخاتمة وأبرز النتائج والتوصيات.

منهجي في البحث:

١. استخدمت المنهج الاستقرائي في استقصاء ما قام به الغزالي من كتابات ومقالات نحو المبحث الذي يتم الحديث عنه.

٢. اعتمدت في الغالب على المنهج التحليلي النقدي حيث أقوم بذكر أبرز المسائل التي تعرض الغزالي لها ونقدها ومن ثم أقوم بذكرها مرتبةً على أهميتها مقدماً في ذلك كلام العلماء المعتبرين من أئمة السلف، ثم أذكر كلام الغزالي في المبحث أو القضية التي بصددها، خاصة في بيان حكم أئمة الإسلام من الانحرافات العقدية والفلسفات.

٣. قمت بذكر تعريف شامل عن كل فكرة أريد أن أبين فيها جهود الغزالي وبينت ما تقوم عليه من أفكار ومعتقدات وأسس. وكثيراً ما أهتم فيها بكلام الغزالي إلا في حالة عدم وجود ذلك، فإني أعضده بالرجوع إلى المراجع المعتمدة والأصيلة.

٤. حرصت على نقل كلام الغزالي في كثير من القضايا بالنص إلا في بعض الحالات فإني أقوم بتلخيص كلامه ونقل المراد منه، وهذا قليل جداً.

٥. إذا تكرر كلام الغزالي على مسألة واحدة ولم يكن في الموضع المتكرر اختلاف ولا زيادة، فإني أنقل كلامه من أول موضع ورد فيه مع الإحالة على المواضع الأخرى. وإذا تكرر كلامه مع اختلاف أشرت إلى ذلك، أو مع زيادة بلا اختلاف اعتمدت في النقل على الموضع الذي توسع فيه مع الإحالة على المواضع الأخرى.

٦. أما بالنسبة للنقول فإني إن نقلت كلاماً بنصه، دون تبديل أو تغيير في كلمة من الكلمات فإني أذكر في الهامش اسم المرجع دون كلمة انظر، أما في حالة تصرفي في النص المنقول تصرفاً يسيراً أو نقلته بالمعنى فإني أذكر في الهامش كلمة انظر.

٧. التزمت عند النقل من أي مصدر أو مرجع الإشارة في الهامش إلى بياناته كاملة مرتبة هكذا: اسم الكتاب/ اسم المؤلف/ اسم المحقق أو المعلق "إن وجد"/ الجزء والصفحة/ دار النشر، ومكانها، ثم رقم الطبعة وتاريخها. هذا عند ذكر المرجع في أول وروده أما عند تكراره فإني أكتفي بذكر اسم الكتاب والمؤلف، أو باسم الكتاب فحسب. وما لم يوجد معلومات عن الكتاب فإني أسكت عنه.

٨. قمت بعزو الآيات الموجودة في البحث إلى مواضعها في القرآن بذكر اسم السورة، والآية.

٩. خرجت الأحاديث النبوية الواردة في البحث من مصادرها المعتمدة، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بهما في التخريج، وإلا خرجته من كتب السنن.

١٠. شرحت بعض الألفاظ الذي شعرت أنها بحاجة إلى توضيح.

١١. ترجمت للأعلام المذكورين في صلب البحث، في أول موضع يرد فيه، وتركت بعضهم إما لشهرته أو أني لم أستطع أن أحصل له على ترجمة وهذا قليل مع بذل الجهد في ذلك، وحرصت على أن تكون الترجمة من الكتب المعتمدة والمطبوعة، فإن لم أجدها فإني أذكرها من بعض المواقع اللكترونية المعروفة وهذا قليل جداً.

١٢. عرفت بالطوائف والفرق والمذاهب التي ذكرت في الرسالة تعريفاً موجزاً عند ورودها.

١٣. ذيلت البحث بفهارس للمراجع والموضوعات.

الصعوبات:

أما عن الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة البحث، فكان من أبرزها كثرة نتاج الشيخ الغزالي رحمه الله مما يتطلب من الباحث الوقت الطويل جداً للانتهاء من متابعة الغزالي في نتاجه الغزير.

وأمر آخر وهو الأهم في نظري وهو أن أسلوب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في عرض المسائل كان أسلوباً في بعض الأحيان يعتبر حمّال أوجه، فالشيخ رحمه الله كما هو معروف عنه أنه متخصص في الدعوة ويتكلم بالأسلوب الدعوي في أغلب أحيانه.

وختاماً: فإني أحمد الله تبارك وتعالى وهو أهل للثناء والحمد أن يسر لي طلب العلم في هذه الجامعة العريقة، وأعانني على إكمال هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر الجزيل بعد شكر الله تعالى لشيخي أ.د/ سعد بن علي الشهراني، المشرف على البحث، الذي أفادني من علمه، وما بخل علي بوقته، والذي غمرني بخلقه ونبله فاستفدت من خلقه، ونبله، وسعة صدره، كما استفدت من علمه وفهمه ودقة ملاحظاته، وتصويباته، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أشكر شيخنا د/ سالم بن محمد القرني — رئيس قسم العقيدة الذي كان لي في مقام الوالد الحاني والذي وجدت منه كل الدعم المعنوي والتشجيع على مواصلة الدراسة. وكذلك أشكر شيخنا الفاضل أ.د/ أحمد السيد رمضان الذي أفادني بتوجيهاته المباركة والذي لم يبخل علي بجواب قيم ومفيد عند استشارتي له أو سؤاله.

وأشكر جميع مشائخي الفضلاء على ما قدموه لي من علم نافع وتوجيه مبارك.

كما أشكر كل من أعانني بمراجعة نص، أو تصحيح، أو إعارة كتاب، أو بدعوة دعاها، أو بدعوة حضور لباها.

وأخيراً... لا أدعي أنني وفيت هذا البحث حقه لما يعتريني من النقص والعجز البشري ولكن حسبي أني اجتهدت وبذلت فيه قدر استطاعتي، وأن الحق والصواب كان غايتي فإن وفقت فهذه منةٌ من الله وفضل، وإن أخطأت وقصرت فمن نفسي والشيطان، وأرجو أن يكون صدق النية ورغبتي في طلب الحق والصواب شفيعاً لي في عفو ربي وغفرانه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبالله التوفيق،،،

الفصل الأول

الشيخ محمد الغزالي حياته الشخصية والعلمية:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حياته الشخصية ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عصره.

المطلب الثاني: مولده ونشأته ووفاته.

المبحث الثاني: حياته العلمية والعملية وفيه مطالب:

المطلب الأول: دراسته وتلقيه العلم.

المطلب الثاني: مؤلفاته.

المطلب الثالث: المناصب التي تولاها.

المطلب الرابع: أقوال العلماء والمفكرين فيه.

الفصل الأول

الشيخ محمد الغزالي حياته الشخصية والعلمية ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حياته الشخصية ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عصره.

أولاً: الحالة السياسية

عاش الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في فترة تاريخية تعتبر من أصعب الفترات التاريخية التي مرت على الأمة الإسلامية ، حيث عاش بين عام ١٩١٧-١٩٩٦م أي عاش عصرين مختلفين من السياسة ، وهما عصر الملكية ، وعصر الجمهورية ، يعتبر عصره حافلا بالأحداث الأليمة والوقائع الجسيمة ليس على مصر فحسب ، وإنما على الأمة الإسلامية؛ ولذا فمن الطبيعي أن يكون لها تأثير على الفرد والجماعة. ويمكن تقسيم أحداث تلك الفترة على النحو التالي:

١. القضاء على الخلافة الإسلامية :

لا شك أن الخلافة الإسلامية جزء من الدين الإسلامي ، فهي تقوم بحماية الدين وتنفيذ حدوده وأحكامه ، كما تقوم على حماية المسلمين ، وتوحيد كلمتهم وجمع شملهم ، وكانت الخلافة العثمانية قوة ترتعد لها فرائص أوربا ، وظلت هذه الخلافة فترة من الزمن تحيط المسلمين وتدافع عن مصالحهم من كل صائل وعدو وهذا كله دفع أوربا للتآمر على تقويض هذه الخلافة وعزلها عن القيام بدورها وكان من أخطر تلك المؤامرات التي انطلقت من داخل الدولة العثمانية حيث ظهرت الجمعيات السرية في تركيا والتي توحدت مع حزب الاتحاد والترقي [(١)] للقيام بالثورة ضد الخليفة عام ١٣٣٦هـ / ١٩٠٨م ، ثم عزل السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٢٧/ ١٩٠٩م ، ووضع بدلا عنه أخوه محمد رشاد إلا أنه في الحقيقة لا يملك أي سلطة فعلية وإنما السلطة أصبحت بيد جمعية الاتحاد والترقي ، وتم زج الدولة المتداعية في أتون الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٣- ١٣٣٧هـ / ١٩١٤- ١٩١٨م وسقطت تركيا بعد

(١) هي جمعية تركية نشأت في أوربا كحركة مناهضة لنظام الخلافة العثمانية تحت ستار التجديد ويتركز نشاطها في بداية الأمر على الجانب الفكري . ثم تدرج العمل فيها حتى كونت خلايا سرية انضم إليها العديد من يهود الدونمه وهي في حقيقتها مؤسسة مأسونية يهودية أقيمت للإطاحة بالسلطان عبد الحميد . انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١٠٤٨/٢) إشراف وتخطيط ومتابعة الدكتور مانع الجهني . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع . الرياض . الطبعة الثالثة . عام ١٤١٨هـ .

هزيمتها في الحرب العالمية الأولى واحتل اليونان والحلفاء أجزاء منها ، وفي عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م أعلن قيام الجمهورية التركية وأسقطت الخلافة وألغيت في عام ١٣٤٢/ ١٩٢٣م وقد تم لأعداء الإسلام هدفهم المطلوب وهو إلغاء الخلافة الإسلامية ليشرعوا في تحقيق بقية أهدافهم المنشودة وهي :

. القضاء على الخلافة الإسلامية العثمانية.

. السيطرة على الأجزاء العربية من الدولة ووضعها تحت سيطرة الاحتلال البريطاني والفرنسي .

. إنشاء دولة لليهود في فلسطين[(١)]

٢. الاستعمار الغربي لمعظم البلاد الإسلامية بما فيها مصر:

كان الاحتلال الإنجليزي على مصر وقع عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م وكان احتلالا غاشما على البلاد استمر إلى النصف الثاني من القرن العشرين، وجلب للبلاد كثيرا من المتاعب ناهيك عن اعتدائه على دستور البلاد وحريات الناس لذا ثار الناس تحت وطأة هذا الاحتلال واندلعت الاحتجاجات وتعالت الأصوات بالمقاومة ضد الإنجليز ، فمثلاً ألف أنور الجندي[(٢)] رحمه الله كتابا أسماه "اخرجوا من بلادنا" يقول فيه :" ينبغي أن يعرف الناس من خلال هذه الصيحة أنه قد آن الأوان لأن يفهم الشعب حقوقه ويتمسك بها قوية حرا لا يهاب ولا يتراجع ولا يخاف ويطالب بها دون أن يعتمد على هذه الحفنة من الزعماء وينبغي أن نقول للانجليز من خلال هذه الصيحة في عزم وتصميم وفي مداومة وعلانية وفي كل مناسبة وفي غير مناسبة عندما يشرق الصباح وعندما يأتي المساء اخرجوا من بلادنا وأن النشيد الذي لا بد أن يردده كل مصري أخرجوا من بلادنا[(٣)] " وكان هذا في عصر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى، ولذلك نجد كتابه الاستعمار أحقاد وأطماع ليؤكد فيه الغزالي رحمه الله أن مستقبل أمتنا

---

(١)انظر : حاضر العالم الإسلامي للدكتور جميل المصري . صـ (١١٩) .دار أم القرى . عمان . الطبعة الثالثة عام ١٤٠٩هـ.

(٢)أنور الجندي: هو أحمد نور سعيد أحمد الجندي مرغلي فارس الشاعري، ولد في الخامس من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة، في مدينة ديروط من أعمال محافظة أسيوط بمصر، له العديد من المؤلفات في عدة ميادين مختلفة منها: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل وتقع في عشرة أجزاء، والموسوعة الإسلامية العربية، وموسوعة معالم الأدب العربي المعاصر، وموسوعة التأصيل الإسلامي... وغيرها من الموسوعات والكتب. توفي يوم الأثنين الثاني عشر من ذي الحجة سنة اثنان وعشرون وأربعمائة بعد الألف من الهجرة. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم. محمد مجذوب، صـ٤٦، دار الإعتصام القاهرة.

(٣)اخرجوا من بلادنا . لأنور الجندي . صـ (١٤-١٥) دار الطباعة : القاهرة . عام ١٩٤٦م.

لن يضيء إلا إذا نجا من حقد الحاقدين وطمع الطامعين ، ولذلك يتحدث في هذا الكتاب عن أكبر أعداء الإسلام وأشدهم خصومة ، ويصف مآسيه، ويعرف الناس بمخازي الاستعمار وأفاعيله ، ويقول لهم أن الاستعمار أحقادٌ دينية ومطامع دنيوية ، ولم تعرف الدنيا أناساً أوتوا المقدرة على إخفاء أحق النيات وراء معسول الكلمات ، مثلما عرفت ذلك في تجار الاستعمار الحديث.

وقد تنازع مصر في هذه الحقبة تياران :

تيار وطني يغلب عليه الاهتمام بالحرية والاستقلال وجلاء القوات المستعمرة من البلاد وهو تيار قوي له خلفية إسلامية ، وإن كانت أبعاد التنظيم الاجتماعي الإسلامي لم تكن واضحة أمامه .

وتيار علماني أنشأه المستعمر حمل لواء مصر للمصريين ويدعو إلى الانفصال عن العالم الإسلامي والبلاد العربية .....وكانت الغلبة للتيار التغريبي ؛ لأن بريطانيا كانت وراءه ، وكان النفوذ الغربي خلال أكثر من ثلاثين عاما يعمل على إعداد جيل من المتغربين (المتفرنجين) الذين لهم ولاء ثقافي واجتماعي للغرب.

وفي هذه المرحلة كانت مصر تحكمها ثلاث قوى هي :

١. الدولة المحتلة تحت اسم الحاكم الفعلي .

٢. القصر تحت اسم الحاكم الشرعي .

٣. الأحزاب . وكلها كانت ذات ولاء لبريطانيا وولاء للنظام الغربي الرأسمالي ، ولم يكن خلافها إلا في نوعية الحكم ووسائله وليس في غاياته فهي كلها تؤمن بالتعامل مع هذا النفوذ [(١)] .

ونتيجة لهذا الاحتلال الظالم قامت الاحتجاجات والثورات ، وكان لعلماء الأزهر الدور الكبير في عملية إذكاء روح الجهاد عند الشعب المصري ، ومن أبرز تلك الجهود ثورة الشعب المصري عام ١٩١٩م ضد الإنجليز ، إذ كان الأزهر هو المكان الذي انطلقت منه الثورة ، وظل يقاوم الاحتلال البريطاني في حدود ما توافر لديه من وسائل وإمكانيات لكن ما لبث أن انحصر دور الأزهر وضعف ؛ وذلك نتيجة استضعافهم من قبل الانجليز بعد أن انقسموا تجاه الحاكم والسلطة وهذا أثر بدوره على دور الأزهر إذ أصبح في نظر الأحزاب مؤسسة موالية للسلطة ، وفي هذا المناخ ظهرت جمعيات إسلامية أخذت تلعب دورا بارزا في المجتمع المصري

---

(١) انظر : عقبات في طريق النهضة لأنور الجندي . دار الاعتصام . القاهرة . ص(٨٢-٨٣)

منها (جمعية الشبان المسلمين[1]) ، (جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية[2]) و(جماعة الإخوان المسلمين[3]) عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م[4] .

لقد أخذ الشعب بشتى الوسائل لطرد الاحتلال فمرة يدعو إلى الثورات ، وتارة بالمعاهدات وأخرى بالمقاطعة العامة للاحتلال ليخرج من البلاد.

وجاءت خطوة أخرى وهي توقيع معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م ، ولكنها لم تحقق الجلاء الذي تنشده مصر بل قضت بانتقال الاحتلال إلى منطقة قناة السويس ، وأخذ الإنجليز يتدخلون في شؤون البلاد ويدبرون المؤامرات ، ويسقطون الوزارات ويفتعلون الأزمات ، وهذا ما دفع الشعب إلى المظاهرات والاحتجاجات مطالبة الانجليز بالجلاء وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وتحت هذه الضغوط بإعلان الجهاد ضدهم تم إجلاؤهم وخروجهم من مصر[5] .

وأعقب هذه المرحلة ثورة يوليو عام ١٩٥٢م والتي كانت نتيجة أسباب قوية مهدت وعجلت بها من أبرزها :

١. العبث بالدستور وبحقوق الأمة والعداء السافر لحزب الأغلبية .

٢. حرب فلسطين وما كشفت عنه من تهاون وخيانات .

٣. الاستعمار الطاغي الذي اتخذ من القصر ورجاله ومن سادة الإقطاع عونه ودعامته .

---

(١) هي جمعية أنشئت بالقاهرة عام ١٩٢٧م ممن أشرف عليها محمد الخضر حسين . من أهدافها : بث الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة وإنارة الأفكار بالمعارف وبث روح الشباب والفتوة والرياضة والتمرس . انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٨٨٦/٢) دار الجيل بيروت . الطبعة الثانية . عام ٢٠٠١م.

(٢) جمعية إسلامية أسسها الشيخ عبد الوهاب النجار مع محمد زكي سند " لتقاوم التبشير، ونجحت نجاحاً كبيراً وصارت لها فروع خارج مصر في فلسطين وسوريا والهند وإندونيسيا وغيرها . نظر : مجلة المنار العدد (٣٢) ص (٦٣٤).

(٣) الإخوان المسلمون إحدى الحركات الإسلامية المعاصرة التي نادت بالرجوع إلى الإسلام. وإلى تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة. وقد وقفت متصدية لسياسة فصل الدين عن الدولة ومنابذة موجة المد العلماني في المنطقة العربية والعالم الإسلامي. ومؤسس هذه الدعوة الشيخ: حسن البنا (١٣٢٤ . ١٣٦٨هـ) . تكونت أول هيئة تأسيسية للحركة عام ١٩٤١م من مائة عضو اختارهم الشيخ حسن البنا بنفسه.انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة(٢٠١/١)الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الرابعة. ١٤٢٠ هـ .

(٤) انظر : الأصولية في مصر غياب الديمقراطية أم فشل التنمية د. هدى رزق . صـ (١١-١٢).دار الفرات للنشر . بيروت . الطبعة الأولى . عام ٢٠٠٣م. صـ (١١-١٢)

(٥)انظر: مصر المجاهدة في العصر الحديث كفاح الشعب من الحملة الفرنسية إلى ولاية محمد علي. عبد الرحمن الرافعي (٤١/٦). الطبعة الثالثة مارس ٢٠٠٥م. دار الهلال.

٤ـ حريق القاهرة الذي اتخذ أساسا لإقالة حكومة الوفد، ولم تستطع الوزارات أن تستقر بعد هذه الإقالة [(١)] .

وقد انطلقت الثورة على ثلاث مراحل وهي :

المرحلة الأولى :

وكانت تهدف إلى العمل على السيطرة على القوات المسلحة بالاستيلاء على مبنى القيادة العسكرية بمنطقة كوبري القبة واعتقال كبار ضباط الجيش حتى لا يحرك هؤلاء قوات ضد الحركة ثم السيطرة على مداخل القاهرة ويقوم سلاح الطيران بالتحليق فوق القاهرة والإسكندرية لمنع (الملك فاروق [(٢)]) من الهرب والمراقبة للقوات البريطانية في القناة وتتجه وحدات من المشاة للسيطرة على الإذاعة وشبكة التلفزيون ويبدأ ذلك في منتصف الليل ٢٣.٢٢ يوليو.

المرحلة الثانية

السيطرة على الجهاز المدني بتعيين وزارة مدنية تنال ثقة الشعب ويتضح ولاؤها للانقلاب.

المرحلة الثالثة:

التخلص من الملك ، ونجحت الثورة في الوصول إلى ما تريد وطرد الملك من مصر وراح غير مأسوف عليه [(٣)] . ثم طرأ على الثورة ما غير مجراها واتضحت بعد ذلك حقيقة هذه الثورة نتيجة تلك الحقائق والوثائق التي بثتها كتابات رجال المخابرات الأمريكية المركزية وبعض ما شهد به رجال ثقات عاصروا تلك الأحداث ، فلم يعد خافيا أن الانقلاب العسكري الذي تم إنما كان انقلابا لصالح اليهود والنصارى في مصر.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د. أحمد شلبي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . الطبعة الخامسة . عام ٢٠٠٠م. (٥/٥٤٠-٥٤١)

(٢) فارُوق(١٣٣٨ - ١٣٨٤ هـ = ١٩٢٠ - ١٩٦٥ م) فاروق (الملك) بن أحمد فؤاد (الملك) بن إسماعيل (الخديوي) بن إبراهيم بن محمد علي: آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي. وآخر من لقب بالملك فيها. ولد في القاهرة وتعلم بها وبفرنسا وبانكلترة. وخلف أباه ملكا على مصر سنة ١٩٣٦ م. وأرغمته ثورة مصر (١٩٥٢ م) على خلع نفسه. فنزل عن العرش لابنه الطفل (أحمد فؤاد الثاني) الّذي ما لبث أن خلع. بتحويل مصر إلى جمهورية. وأقام فاروق في رومة (العامة الإيطالية) يزور منها أحيانا سويسرة وفرنسة. إلى أن توفي برومة. وكان قد أوصى بأن يدفن في المدينة المنورة.انظر الأعلام للزركلي (٥/١٢٨).

(٣)موسوعة التاريخ الإسلامي (٥/٢٦).

ثم بدأ عصر جديد هو عهد عبد الناصر [(١)] وما تلاه من أحداث جسيمة من أبرزها:

العدوان الثلاثي على مصر عام ١٣٧٥/ ١٩٥٦م على إثر إعلان تأميم قناة السويس، تمت الوحدة بين مصر وسوريا ، وصدرت القوانين التي عرفت بالقوانين الاشتراكية والتي قيل عنها أنها أفقرت الأغنياء وأجاعت الفقراء وقام بحرب على اليمن من سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م إلى سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ثم كانت حرب ١٩٦٧م التي سميت بالنكسة والحق أنها نتيجة طبيعية لمقدمات هزيلة فهي لم تكن حربا بالمعنى الصحيح ، وإنما كانت نزقا من القيادة ، ومن يوم إلى يوم تنكشف مواقف مخزية من الذين أعلنوها أو كانت في يدهم سلطات إدارتها [(٢)] .

لقد كانت سياسة عبد الناصر نكبةً على مصر وهو كما يسميه د.أحمد شلبي (عصر المظالم والهزائم) فقد قام بحل هيئة كبار العلماء ، وكان شديد القسوة على جماعة الإخوان المسلمين ؛ ألقاهم جميعا في السجون ، وعرضهم للتعذيب البشع ، وقتل شنقا صفوة من دعاة المسلمين من أمثال سيد قطب [(٣)] ، وأجرى ما أسماه تطوير الأزهر والذي يسميه الأزهريون تدمير الأزهر [(٤)] .

ويمكن تلخيص المراحل السياسية التي مرت بها مصر بثلاث مراحل من حيث الصراعات الداخلية وهي:

أولا: الصراعات الحزبية وتمتد من ٢رجب ١٣٤٠هـ ١٩٢٢م إلى ٢ذي القعدة ١٣٧١هـ ١٩٥٢. وتتميز هذه المرحلة بزيادة عدد الأحزاب في مصر مع مرور الأيام وعدد منها قد انشق

---

(١)جمال عبد النَّاصِر(١٣٣٦ - ١٣٩٠ هـ = ١٩١٨ - ١٩٧٠ م) جمال عبد الناصر بن حسين بن خليل ابن سلطان عبد الناصر: ثائر عسكري. حكم مصر ثمانية عشر عاما. في أيامه خرج آخر جندي بريطاني من الأرض المصرية وعلى أثر اجتماع عقده رؤساء الدول العربية في القاهرة وودعهم جمال. وقف قلبه فجأة وتوفي بعد ثلاث ساعات. من كتبه : فلسفة الثورة. انظر: الأعلام للزركلي(١٣٤/٢)..

(٢)حاضر العالم الإسلامي (٢٢٢/١).

(٣)سَيِّد قُطْب (١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٧ م) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري. من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و= =(الثقافة) وانضم إلى الإخوان المسلمين. فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣ - ٥٤) وسجن معهم. فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه. إلى أن صدر الأمر بإعدامه. فأعدم. وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة. منها (النقد الأدبي. أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (أشواك) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و(المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق). انظر : الأعلام للزركلي(١٤٧/٣) .

(٤) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامية والحضارة الإسلامية (٥٣٣/٥).

عن حزب الوفد ويلتقي معظمها على محاربة حزب الوفد ويتحكم في البلاد وتكون له القوة ربما خرج عن رأي المحتلين أما القصر فيختلف عن المحتل في نظرته هذه لأن الوفد على خلاف دائم مع القصر فكل منهما يريد أن لا يكون له منازع في حرية اليد، ولا معادي في بسط النفوذ.

ثانيا: الصراع بين السلطة والإخوان المسلمين وتمتد من ٢ذي القعدة ١٣٧١هـ إلى ١٥ شعبان ١٣٩٠هـ / ٢٨شباط ١٩٥٢م إلى ٢٣يوليو ١٩٧٠م وتتميز هذه المرحلة باتخاذ كل الإجراءات لإضعاف شأن الإخوان واستعداء الناس عليهم وتسخير وسائل الإعلام للنيل منهم وفي الوقت نفسه التمجيد لشخصية الحاكم وإرواء غروره بالسلطة .

ثالثا: تعدد الجماعات الإسلامية وتمتد من ١٥شعبان ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م إلى وفاة الشيخ محمد الغزالي تقريبا ، وتتميز هذه الفترة بعودة الحياة الحزبية فيما بينها وتنقل الأخوان بين الأحزاب وتعدد الجماعات الإسلامية.

ويتضح دور الغزالي رحمه الله في هذه الحالة بأنه كان يجاهد من أجل تحرير الأمة أفراداً وجماعات من ربقة الإذلال والاستبداد وكان هذا واضحاً فعلى سبيل المثال في كتابه" الإسلام والاستبداد السياسي" يقول : (كتبت هذه الصحائف من بضع عشرة سنة وكان دويها بعيد في إقلاق الظلمة وكان استجابة القدر أسرع مما يتصور الكثيرون .

فدكت عروش طالما عنت لها من دون الله الوجوه ، وزالت مآس كاد الإياس من زوالها يستولي على الأفئدة . لكن آفاق العالم الإسلامي لما يعمها الصفاء فبعد مضيء هذه السنين الحافلة نرنو بأبصارنا إلى أفكار شتى ، فإذا هي لا تزال ترسف في قيودها . بل إن أعراس الحرية كثيراً ما تحولت إلى مآتم يحفظها السواد الكثيب . وتلهف فيها الجماهير الشقية وتستباح فيها الدماء والأعراض ..!

والمسلمون أحوج أهل الأرض إلى الرواد الذين يمهدون لهم سبل الكرامة ويدفعون عنهم مكائد العسف. ونحن لن نتوانى عن أداء واجبنا الذي يسرنا الله له ، وأعاننا عليه . وسنظل نساند قضايا الحق ونناصر أهله حتى نلقى الحق جل شأنه صادقين أوفياء) [(١)] .

---

(١) الإسلام والاستبداد السياسي . ص ١١. طبعة نهضة مصر. الطبعة السادسة أكتوبر ٢٠٠٥م.

وكذلك كانت له رحمه الله مشاركات عظيمة في دفع المستعمر وفضحه فنجده مثلاً ألف كتاب " الاستعمار أحقاد و أطماع " ولذلك نستطيع القول أن الشيخ الغزالي رحمه الله لم يكن بعيداً رحمه الله عن حال أمته حتى وافته المنية .

ثانياً: الحالة الاجتماعية :

نتيجة لاستعمار البلاد من قبل الإنجليز حصلت انحرافات عقدية أدت إلى آثار سلبية على المجتمع المصري فقد دخلت بعض العادات والتقاليد الغربية التي لم يتقبلها جمهور المصريين مثل انتشار حانات الخمر ودور الملاهي الليلية ، ودور البغاء وأوراق اليانصيب ، وزادت دور السينما والمسارح الليلية وامتلأت صفحات المجلات في نقل أخبار الممثلين والممثلات والمغنيين والمغنيات والمراقص ، ودخلت الفتاة العارية مدرسة الفنون الجميلة فلقيت ترحيبا زاد عن زميلتها المحجبة ، وكثرت الترجمة للقصص الخليعة ، والمذاهب الأدبية الهدامة والمعادية للدين ، وكثرت حفلات الرقص في بيوت الأغنياء.

وكان لكل هذه المظاهر أثر على الشباب حيث صادفت هوى في نفوسهم وأغرتهم على التمرد على كل ما هو قديم والاستخفاف بالعادات الموروثة أو لقي في هذه العادات إرضاء لنزاوته فأقبل على تعلم الرقص مع الفتيات كي يجاري في عاداته أبناء الجاليات الأجنبية [(١)] .

ومن أشد تلك الآثار الاجتماعية ما حصل للشباب من إفساد ومسخ لهويتهم ؛ وذلك نتيجة " انتشار المخدرات انتشارا مروعا ينذر بالخطر الشديد ولا سيما بعد أن امتد إلى الشباب وهم جيل الغد وبعد أن ظهر نوع جديد لم يطرق اسمه أسماع الناس قبل الحرب العالمية الثانية وهو الكوكايين ومشتقاته واشتغلت الصحف بالكلام عن تفاقم هذا الداء الوبيل وطالبت بتشديد العقوبة فيه وتجارة الرقيق الأبيض ودور البغاء وكلها من الأدواء التي حملها إلينا الغرب وكله مما كان يحترفه الغربيون ويكادون يحتكرونه احتكارا [(٢)] .

وقد نتج عن هذا الاحتلال الكثير من الأخطار الاجتماعية كالدعارة الرسمية وانتشار المخدرات والإقطاع الاجتماعي والسخرة والكرباج ، كما أدى إلى منع الفلاح من التملك ، أو ظلمه في محصوله إلى أن ساءت حالة الفلاحين لدرجة اضطرت أكثر أهالي القرى إلى الهجرة من قراهم وزاد في ذلك أعمال السخرة التي كانت تستخدم لإصلاح أراضي الولاة والحكام وقد

---

(١) الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الثانية) لأنور الجندي . الشيخ محمد الغزالي حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم (١٦-١٦١)د. رمضان الغريب . ص (٥٩٨). دار الحرم . القاهرة . الطبعة الأولى . ١٤٢٣هـ.
(٢) انظر: الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية لأنور الجندي . ص(١٠٩)

حشد لها عدد كبير من شباب الفلاحين،وعملية حفر قناة السويس أسوا مثل لفقدان عشرة آلاف عامل من شباب الوطن . وقد كان الضرب بالكرباج عادة مألوفة في جباية الضرائب، ولم يكن هناك قانون يحمى الفقير أو المظلوم ولم تكن هناك رقابة على الحكام [1] .

ولم يتوقف تأثير الاحتلال وما عقبه من عصر المظالم على المجتمع الخارجي بل امتد أيضا إلى المحيط الداخلي فنجد أن المرأة المسلمة في الغالب الأعم غزاها الفكر الصليبي أو الصهيوني قصدا إلى إخراجها من فضائلها وفي مقدمتها الستر والعفة والشرف .... وقد دب فيها الوهن ، بعدما بعدت عن أحكام الإسلام فتوترت العلاقات الزوجية ، أو فترت على الأحسن ، كما تفككت العلاقات بين أفراد الأسرة الآخرين تقليدا للغرب الصليبي ، ومظاهر قطع الرحم والخصام تزيد عن مظاهر الوئام والسلام ، ومظاهر التظالم بين أفراد الأسرة الواحدة والتشاحن على الميراث وعلى غيره من أغراض الحياة الدنيا كثيرة وكبيرة وعميقة، والمجتمع المسلم لم يعد جسدا واحدا بل تقطعت أوصاله وأجزاؤه داخل البلد الواحد إلى أحزاب وفرق وعصبيات وساد الفكر الصليبي والصهيوني ، أو ما يريده هذا وذلك أن يسود وانتفى فيه التكافل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي [2] .

وقد شارك الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في نقد الواقع الاجتماعي ومعالجته ، قال رحمه الله تعالى : (وهناك تقاليد اجتماعية لابد من إعادة النظر فيها ليستقيم ديننا وأحكامه الصحيحة .. وهي تقاليد تتصل بوضع المرأة .. وتكوين الأسرة .

إنني أحد الذين حاربوا تقاليد الغرب الجنسية ، وجاهليته الذميمة في إشباع الغرائز من الحرام .. وقد وقفت في وجه الذين يحاولون نقل هذه التقاليد إلى بلادنا وقفة جرت علي المتاعب .. وأني لراض كل الرضا عما أصابني في هذا الميدان .. لأنه في سبيل الله)[3].

ثالثاً: الحالة الفكرية والثقافية :

تميز هذا القرن بثورة فكرية وثقافية عارمة وصراعا بين الدين والقيم من ناحية والأفكار الوافدة الهدامة من جهة أخرى ، فنجد أن الصحافة كان لها دور بارز في تبلور الاتجاهات الفكرية وخاصة ما يسمى بصحافة الرأي وهي التي شهدت العقود التي تلت ثورة ١٩١٩م

---

(١) انظر: تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال ما بين الحربين العالميتين لأنور الجندي . صـ (٦٦-٦٧). دار الاعتصام . القاهرة .

(٢) انظر: حاضر العالم الإسلامي صـ (٨٨-٨٩) .

(٣) هموم داعية . ص ١٤٣

نهضة صحفية كبرى شملت الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية العامة والمتخصصة كما شملت المجلات الشهرية وكانت الصحافة مستقلة أحيانا وتابعة للأحزاب أحيانا أخرى وقد تنافست هذه الصحافة لرفع المستوى الفكري والسياسي بين الجماهير ويمكن القول بأن مكانة الصحافة قبل ثورة ٢ يوليو أعظم بكثير من مكانتها بعد هذه الثورة سواء في ناحية العدد أو الحرية أو روعة التحرير والأداء (١)".

وقد مر التعليم في زمن المحتل بأسوأ المراحل حيث كان المستعمرون غاية في الدهاء عندما بدؤوا معركتهم مع المسلمين والعرب من المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خلال الإرساليات والسيطرة على أجهزة المعارف والتخلص من المناهج والمقررات والكتب التي كانت تدرس في مختلف أنحاء العالم الإسلامي والبلاد العربية كالأزهر والزيتونة والقرويين ومعاهد الحديث ورجالها والعاملين بها وإحلال مناهج جديدة ومقررات جديدة . وفي عهد الاحتلال ألغيت مجانية التعليم تدريجيا ووقفت حركة إنشاء المدارس وتم إغلاق بعضها وجعل تعليم العلوم بالإنجليزية ابتداء من الصف الثالث الابتدائي وحل المدرسون الإنجليز مكان المصريين ناهيك أن مناهج التعليم حرصت على إبعاد التاريخ القومي . أي الحكومي . عن التلاميذ لكي ينشأ الجيل جاهلا بتاريخ بلاده لا يفرق بين الاحتلال والاستقلال .... وصار غاية التعليم محاربة الشعور الوطني وإماتة النفوس وانحط التعليم في المدارس الثانوية وتضاءلت مناهجه وعصف الانحلال بالتعليم الحربي والصناعي (٢) ومع ذلك فقد شهد عصر ما قبل الثورة تحسنا كبيرا في مجال التعليم ، فكثرت المدارس كثرة هائلة ابتداء من رياض الأطفال حتى التعليم الجامعي ، ومن مفاخر هذه الفترة ، أنها قضت على الازدواج في التعليم الذي كان موجودا في المرحلة الأولى ، وفي عهد حكومة الوفد سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م أصبح التعليم الابتدائي مجانا ، وفي حكومة الوفد سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م صدر قانون بجعل التعليم الثانوي بالمجان كذلك ، ومن مفاخر هذا العصر أيضا أن الجامعات بدأت تكثر عددا وكيفا وقد أنشأت حكومة الوفد سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م جامعة الإسكندرية ، وجامعة عين شمس ، وجامعة أسيوط ، ونال الأزهر عناية كبيرة بعد نجاح ثورة ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م وبخاصة عندما صدر قانون إصلاح الأزهر سنة

---

(١) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية صـ (٩/٥٣).

(٢) انظر : مصر والسودان) عبد الرحمن الرافعي . صـ (١١٦-١١٨بتصرف .

١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م وبمقتضاها أصبح للأزهر معاهده وكلياته ، ودخلت إصلاحات كبيرة في مناهجه ، مما مكنه من القيام بنهضة عظيمة في مجال الدراسات الإسلامية واللغة العربية [١] .

وعندما جاء عصر الحكم الجمهوري وبعد رحيل الاحتلال ، تراجع التعليم كثيرا وأصبح تعليما علمانيا عمد إلى إقصاء الدين والتاريخ الإسلامي إلى الآن .

فقد رفع عبد الناصر أثناء حكمه شعار: (التعليم والماء كالهواء ينبغي إتاحته للجميع)، ولكن الحقيقة أن عبد الناصر أراد أن ينشئ أجيالا ذات ولاء لثورته عن طريق التعليم الإلزامي ، وفي خط موازٍ كان لا بد من التخفيف من ثقل الأزهر ، فكان ما عرف بمشروع التطوير في عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، وفرض الميثاق ، ورفع الولاء للقومية العربية والإشتراكية وهو ما يعرف في الأوساط الإسلامية بقانون تدمير الأزهر.

وحين جاء السادات وانقلب على حكم عبد الناصر أراد البحث عن الذات من جديد، فبدت المناهج مترددة بين الإسلام وبين العروبة حينا ، ثم لم تلبث أن نحت منحى جديدا رسم لها إبان الانفتاح وعقد الاستسلام مع الصهاينة ؛ حيث ظهرت سياسة تعليمية جديدة تتواءم مع استراتيجية السلام الأمريكية التي لم تقنع بمجرد تهميش الإسلام أو تفريغه من محتواه أو حتى اختزاله في بعض الشعائر والآداب ، وإنما الاستبعاد التام لكل ما هو إسلامي من أجل إعادة ترتيب أوضاع المنطقة وقد فرغت مناهج وزارة التربية من المحتوى الإسلامي [٢] .

لم يسلم العالم الإسلامي من غزو فكري وتغريبي منظم استخدمت فيه شتى الوسائل ، وقد كان لمصر النصيب الأوفر خلال هذا القرن فقد كانت الانحرافات الفكرية تعمل جنبا لجنب مع الاحتلال في تغريب الأمة ومسخ هويتها ، فظهرت الحملات التنصيرية المنظمة التي كانت تعمل علانية دون خفاء ومن تلك الوسائل إنشاء الجامعة الأمريكية التي تبنت كل المفاهيم التنصيرية في مصر وأخذت على عاتقها مهمة العمل التنصيري .

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي (٩/٥٢).

(٢) انظر : مجلة البيان. العدد ١٦١. ص٧٠.شهر محرم .سنة ١٤٢٢هـ.

كما ظهرت وبشكل خطير ومخيف مذاهب فكرية تناقض الإسلام تماما كالعلمانية[(١)] والوجودية[(٢)] والإباحية[(٣)] والقومية[(٤)] وغيرها من المذاهب الضالة الإلحادية كالمذهب الشيوعي[(٥)] الذي ينكر أن يكون هناك خالق ومع ذلك لقي قبولا بين فئات المثقفين في بعض المجتمعات[(٦)].

---

(١) العلمانية SECULArISM وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين . وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر. أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية.

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٦٧٩/٢).

(٢) الوجودية اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفرده وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه. وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع. وتعتبر جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم. ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار. انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٨١٨/٢).

(٣) هي التحلل من قيود القوانين والأخلاق ، وفرقة تبطل قدرة العبد على اجتناب المنهيات والإتيان بالمأمورات وتنفي ملكية الفرد وتشرك الجميع في الأموال والأزواج. انظر:المعجم الوسيط (٧٦/١) تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار). الناشر: دار الدعوة. بدون سنة نشر .

(٤) حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين . وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا. انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٤٤٤/١).

(٥) مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ، ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي، الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة، تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق. انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٩١٩/٢).

(٦) حاضر العالم الإسلامي (٥٦).

وهكذا أصبحت الحياة الثقافية والفكرية عبثا ومجونا مستمرا بين هؤلاء المستعمرين الذين بذلوا جهودهم في محاولة تحقيق أجيال ممسوخة التفكير تتسلم الراية عند رحيلهم وهو في الحقيقة ما جرى بحيث أصبح المتمسك بزمام الأمور في قنوات التأثير من أولئك المتغربين التابعين للغرب . ومع ذلك كله وجد في الأمة الإسلامية من كان يدرك خطر هذا الواقع المؤلم والمخزي فأخذ على نفسه مواجهة تلك الانحرافات وكشف زيفها والتحذير من مفاسدها ومن أولئك الشيخ محمد الغزالي . نحسبه كذلك والله حسيبه . الذي جعل من حياته محاميا ومدافعا عن الأمة وتراثها وكل ما يمكن أن يصيبها من مطاعن الأعداء.

وقد ألف الشيخ الغزالي رحمه الله كتاباً سماه " تراثنا الفكري في ميزان الشرع " وكذلك كتاباً آخر سماه " الغزو الثقافي يمتد في فراغنا " مع كتب أخرى يعالج فيها هذه القضية .

رابعاً: الحالة الدينية في مصر:

لقد كان للوضع المضطرب في مصر خلال الفترة الماضية ، كل التأثير على الحالة الدينية والاجتماعية ، فإن تلك الاضطرابات والانقلابات ، وما صاحب ذلك من احتلال صليبي ، والتمكين لأهل الذمة من السيطرة على وسائل التغير والتأثير . الأثر الواضح في حصول انحرافات عقدية ودينية كبيرة ، نتج عنها فساد في التصور وفساد في السلوك .

ومن أشد الانحرافات العقدية التي سادت هذه الفترة انتشار التصوف بعقائده الفاسدة المنحرفة فقد أحدث هذا الفكر مفاسد كثيرة في بنية الأمة ، ليس أقلها التواكل ، وترك الأخذ بالأسباب ، وإهمال عمارة الأرض ، والانحراف في عقيدة القضاء والقدر ، وعدم إحساس الإنسان بمسئوليته عن خطئه حين يخطئ ، والانصراف عن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والفصل بين الدنيا والآخرة ، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة في حس المسلم، وإفساد التوازن الدقيق الجميل الذي يحدثه الإسلام الصحيح في النفس ، فيجعل الإنسان يعمل بجهده كله في واقع الأرض ، وقلبه معلق بالله واليوم الآخر ، أو بعبارة أخرى التوازن الدقيق بين عالم الغيب وعالم الشهادة[(١)] .

وهذا الفساد صاحبه سيطرة ونفوذ من هؤلاء المتصوفة لمناطقهم "فكان المتصوف إذا خرج إلى الشارع أو سار في الأسواق تهافت عليه الناس ، وتكاثر حوله عددهم وسدوا طريقه ، وانهالوا على يديه وقدميه تقبيلا ولثما ..... وفي عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م كتب وزير الأوقاف

---

(١) انظر: كيف ندعو الناس .محمد قطب . (١٥٠) دار الشروق . القاهرة . الطبعة الثالثة عام ١٤٢٤هـ .

المصري كتابا إلى شيخ الأزهر الأستاذ (المراغي[١]) في شأن البدعة الشائعة ، واقترح تأليف لجنة يشرف عليها الأزهر ، وتكون مهمتها تمحيص هذه البدع الشائعة بين الطبقات في مصر ، ووضع قواعد تستند إليها الحكومة في مصادرة كل ما لا يتفق مع تعاليم الدين ، وبعد تبادل الرأي على تكوين لجنة يرأسها مفتى الديار المصرية الشيخ (عبد المجيد سليم[٢]) ، وصدر قرار لوضع كتاب جامع عن البدع الفاشية والمنافية للإسلام ، وما فرغوا من تكوين اللجنة حتى ثارت ثائرة الصوفية ، وأرسلت مشيختهم بيانا إلى الوزير تعلن فيه الاحتجاج اللين على معاليه ؛ لأنه تخطى بكتابه هذا سلطة يحق لها القانون الإشراف والهيمنة على كل ما يتعلق بشؤون الصوفية دون غيرها من السلطات ثم ختمت بيانها بتوجيه كلمة فيها شئ من العنف إلى شيخ الأزهر[٣]".

وقد كان من سمات التصوف في هذا العصر ، تحوله من ظاهرة وجدانية فردية ، إلى ظاهرة اجتماعية . تتمثل في حياة أتباعه في رحاب الزوايا تحت إرشاد شيوخهم ممن مكنتهم شخصياتهم من اجتذاب المريدين ويسرت لهم ثقة المحسنين من الأمراء والأثرياء الذين تكلفوا بكل ما تتطلبه حياة المجاورين . أما عن الطرق الصوفية التي ظهرت في هذا العصر ، فقد تجاوزت الثمانين طريقه منها الشاذلية[٤] والتيجاينة[٥] ... وكان يميز بعضها عن البعض الآخر

---

(١) الشيخ المراغي(١٢٩٨ - ١٣٦٤ هـ = ١٨٨١ - ١٩٤٥ م) محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي:باحث مصري. عارف بالتفسير. من دعاة التجديد والإصلاح. ممن تولوا مشيخة الجامع الأزهرله تآليف. منها : بحث في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية و تفسير سورة الحجرات . وغيرها . انظر الأعلام للزركلي(١٠٣/٧) لخير الدين بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي. الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة الختمس عشر أيار/ مايو ٢٠٠٢م.

(٢) عَبد المجيد سَليم (١٢٩٩ - ١٣٧٤ هـ = ١٨٨٢ - ١٩٥٤ م) عبد المجيد سليم الحنفي المصري: مفتي الديار المصرية. تخرج بالأزهر. وأخذ عن الشيخ محمد عبده. وتقلب في مناصب التدريس والقضاء والإفتاء. وولي مشيخة الأزهر مرتين. والإفتاء نحو عشرين عاما. ويقال: أصدر ما يقارب ١٥ ألف فتوى. بينها ما يرجع إليه الفقهاء والقانونيون.توفي بالقاهرة. انظر : الأعلام للزركلي(١٤٩/٤).

(٣) التصوف في مصر إبان العصر العثماني د. توفيق الطويل . صـ (١٨٥). مطبعة الاعتماد . القاهرة .عام ١٣٦٠ هـ.

(٤) طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي. يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية. وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمرًا "هو".انظر: الموسوعة الميسرة (٢٧٥/١).الطبعة الرابعة . ١٤٢٠هـ .

(٥) التيجانية: فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا. وأن النبي ﷺ قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق) التي تحتل لديهم

اللباس بألوانه المزركشة ، وكذا الأوراد التي كان يضعها شيخ كل طريقة ويحرص عليها أتباعه في حياته وبعد مماته ، وكانت تختلف هذه الأوراد في أسلوب إلقائها إما بمصاحبة الدفوف أو الإنشاد الحر، أما مضمونها فكان لا يعدو أن يكون بعض الأدعية ، أو اقتباسات من قصائد المديح النبوي ، أو محاكاة لمعاني القرآن الكريم ، أما عن شيوخ الطرق ، فكان معظمهم يستحل المحرمات ، ويخرج على العرف والقانون ، فنجد منهم من يستولي على الأموال الأوقاف والنذور ، ومن يستبيح الزنا والعبث بالغلمان ، ويستحل شرب الخمور وتعاطي المخدرات ، وغير ذلك من المخازي وانتهاك المحرمات وخرق الحدود الأمر الذي يؤكد ابتعاد مثل هذه الطرق عن الأخلاق الإسلامية التي يعبر عنها الزهد [(١)] .

يقول الجندي " لقد كان لانتشار المتصوفة الذين يدعون معرفة الأسرار وسقوط التكاليف السماوية أثره في فساد معنى الدين ، وقد حرص الأجانب على حضور حلقاتهم ونقلوا هذه الصور على أنها صورة الإسلام وكان يعمل في القاهرة وحدها ٨٠ مولدا في السنة يظهر فيها عديد من الأخطاء الاجتماعية [(٢)] .

وهناك جانب آخر لا يقل خطره عن التصوف ألا وهو الفكر الإرجائي [(٣)] الذي يعتبر من أشد الانحرافات التي كانت موجودة في هذه الفترة فقد أحدث مفاسد عظيمة في بنية الأمة منذ أخذت تتفلت من التكاليف ، والفكر الإرجائي يوهمها أنه لا بأس عليها من هذا التفلت، ما دام قلبها عامرا بالإيمان ! وتندرج الأمة في التفلت حتى تقع في الشرك الواضح الصريح ، سواء شرك الاعتقاد أو شرك العبادة أو شرك الحاكمية ، ثم يظل الفكر الإرجائي يوهم الناس أنهم ما زالوا بخير ، وما زالوا مؤمنين [(٤)] !

مكانة عظيمة.أسسها أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار ابن أحمد بن محمد سالم التيجاني.انظر: الموسوعة الميسرة (٢٨١/١).

(١) انظر : الفكر المعاصر بين النقض والنقد د. عصمت نصار . صـ (١١). المكتبة المصرية . الإسكندرية . الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤م .

(٢) تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال الحربين العالميتين. صـ (٦٦-٦٧).

(٣) المرجئة : هم الذين يقولون بإخراج العمل من الإيمان . ويقولون : لا يضر مع الإيمان معصية . كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وهم أصناف منهم مرجئة الفقهاء والجهمية والكلابية والكرامية والأشاعرة . انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي(١٣٩) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . بيروت . عام ١٤٢٤هـ . آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية د: عبد الله السند . صـ (٨٦). دار التوحيد . الرياض . الطبعة الأولى عم ١٤٢٨هـ .

(٤) انظر: دمعة على التوحيد . كتاب المنتدى صـ (٤٨) المنتدى الإسلامي . الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ .

- ومن مظاهر الانحراف العقدي في مصر خلال هذه الفترة بناء المساجد والقباب على الأضرحة والقبور حتى أصبحت تزيد عن الألف ضريح ، وهذه الأضرحة تجد عند الناس كل احترام وتبجيل مما دفع كثير من الناس الحرص على الصلاة في المسجد الذي به ضريح ، والتمسح بذلك الضريح وتقبيله طلبا للبركة ، وكذلك التوسل بجاه صاحبه، وإظهار الرجاء والحاجة لدى صاحب هذا القبر وبذل النذور والصدقات إليه [(١)] .

ومما سبب ضعف الحالة الدينية بمصر في ذلك الوقت كثرة انتشار البدع حتى غدت حياة أكثر المسلمين ممزوجة بها، فدخلت كثير من العبادات ألوانا شتى من البدع والمحدثات فعلى سبيل المثال نجد بدعة الموالد ويشتهر منها : المولد النبوي ، ومولد البدوي والذي حضره عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م حوالي ٣ملايين زائر [(٢)] ، ومولد أبي الحسن الشاذلي [(٣)] .... ويوم الاحتفال بالمولد النبوي يكون إجازة رسمية في البلاد ، ويقام في كل محافظة بمصر احتفالاً ، ويغلب على هذا الإحتفال الشعبي الفولكلوري المصطبغ بالصبغة الدينية ، وإنشاد المدائح النبوية التي لا تخلوا من ألفاظ شركية [(٤)] .

وتكثر المنكرات خلال هذه الاحتفالات الدينية حتى أسماها الشيخ رشيد رضا [(٥)] مفاسد لا موالد وقال عنها "فالموالد أسواق الفسوق ، فهي خيام للعواهر وحانات الكاسيات العاريات ،

---

(١)دمعة على التوحيد . ص (٤٨).

(٢)انظر : تقرير الحالة الدينية بمصر ص (٧٠)الصادر بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية سنة ١٩٩٧م عن مجلة البيان العدد ١٣٢ .

(٣)أَبُو الحَسَن الشَّاذِلي(٥٩١ - ٦٥٦ هـ = ١١٩٥ - ١٢٥٨ م) علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي. أبو الحسن: رأس الطائفة الشاذلية. من المتصوفة. ولد في بلاد " غمارة " بريف المغرب. ونشأ في بني زرويل (قرب شفشاون) وتفقه وتصوف بتونس. وسكن " شاذلة " قرب تونس. فنسب إليها. وطلب " الكيمياء " في ابتداء أمره. ثم تركها. ورحل إلى بلاد المشرق فحجّ ودخل بالعرق. ثم سكن الإسكندرية. وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج.

وكان ضريرا. ينتسب إلى الأدارسة أصحاب المغرب. أخبره بذلك أحد شيوخه عن طريق " المكاشفة " قال الذهبي: نسب مجهول لا يصح ولا يثبت. كان أولى به تركه.له : رسالة الأمين في آداب التصوف رتبها على أبواب. نزهة القلوب وبغية المطلوب. انظر : الأعلام للزركلي (٣٠٥/٤).

(٤) انظر : دمعة على التوحيد ص (٤٨-٤٩).

(٥)مُحَمَّد رَشِيد رِضا(١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م)محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني. البغدادي الأصل. الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب. العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. لازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له . مات ودفن بالقاهرة. أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدا. وتفسير القرآن الكريم. انظر : الأعلام للزركلي(١٢٦/٦).

ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل ، يقصد بها إضحاك الناس [1] ".

ونتيجة لهذا الانحراف والواقع الذي كانت تعيشه مصر ظهرت جماعات ودعوات سعت إلى إصلاح المجتمع وانتشاله من تلك المظاهر المنحرفة ، فظهرت جماعة أنصار السنة المحمدية [2] سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ، وبعدها ظهرت جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م وقبلهما كانت الجمعية الشرعية [3] التي أنشأها الشيخ محمود السبكي [4] . بالإضافة إلى بروز شخصيات علمية وفكرية كان لها دور كبير في مجابهة وسائل تغريب الأمة ومسخ هويتها ، وكان من بين أولئك الشيخ محمد الغزالي الذي استطاع رحمه الله أن يسهم بدور كبير في بيان خطر تلك الفرق التي دعمها الاستعمار الغربي ؛ وأن يكشف ما انطوت عليه من عقائد فاسدة منحرفة بعيدة تماما عن الإسلام ، وغيرها من التيارات الفكرية المنحرفة التي جل هدفها إخراج المسلم من دينه وجعله تابعا ذليلا للغرب .

---

(١) انظر : تفسير القرآن الحكيم (المنار) (٧٥/٢) محمد رشيد رضا . دار المنار . القاهرة . الطبعة الثانية . عام ١٣٦٦هـ .

(٢) جماعة أنصار السنة المحمدية: جماعة إسلامية سلفية قامت في مصر أولاًً ثم انتشرت في غيرها للدعوة إلى الإسلام على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة لتطهير الاعتقاد ونبذ البدع والخرافات كشرط لعودة الخلافة ونهضة الأمة الإسلامية . تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية عام (١٣٤٥هـ. ١٩٢٦م) بمدينة القاهرة. على يد الشيخ محمد حامد الفقي بمساعدة مجموعة من أنصاره .انظر : الموسوعة الميسرة (١٨٢/١) الطبعة الرابعة .

(٣) هئية دينية كبيرة أنشأها الشيخ محمود خطاب السبكي في بدايات القرن العشرين بمصر . تهدف إلى رعاية شعائر الدين وتطبيق أحكامه وتخليصها من البدع والأهواء التي ليست من الدين . وتسمى الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية . حملت هذه الجمعية على عاتقها أمانة الدعوة والإرشاد في جميع محافظات مصر . وشيدت كثيرا من المساجد العامة التي تضم إلى جانبها مستوصفات طبية وصيدليات عامة ومدارس ومكاتب تحفيظ القرآن إضافة إلى أقسام تهتم بتعليم الحرف اليدوية كالخياطة والآلة الكاتبة والتطريز . انظر الموسوعة العربية العالمية (٤٤٦/٨) الناشر : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع . الرياض . الطبعة الأولى . عام ١٤١٦هـ .

(٤) السُّبْكي(١٢٧٤ – ١٣٥٢ هـ = ١٨٥٧ – ١٩٣٣ م)محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكي. أبو محمد: فقيه مالكي أزهري. ولد في (سبك الأحد) من قرى أشمون بالمنوفية. وتعلم بالأزهر. كبيرا ودرّس فيه. وأسس الجمعية الشرعية وترأسها من سنة ١٣٣١ هـ إلى ١٣٥٢ وتوفي بالقاهرة. له كتب منها إرشاد الخلق إلى دين الحق و تحفة الأبصار والبصائر رسالة في مسألة فقهية. و الرسالة البديعة فتاوى في النهي عن بعض البدع. و غاية التبيان رسالة في ثبوت الصيام والإفطار. وشرح سنن أبي داود . أجزاء منه وفصل القضية. في المرافعات وصور التوثيقات والدعاوي الشرعية. انظر : الأعلام للزركلي(١٨٦/٧).

فها هو يصيح رحمه الله قائلاً: (والمتربصون بأمتنا الجريحة أيقاظ لمآربهم منها، فهم كلما خلخلوا لبنة من الكيان المعنوي لأمتنا سدوا مسدها ببديل من التقاليد الزاحفة مع غارة الاستعمار على تراثنا الروحي والمادي كله[1] .

ويقول كذلك: (وقد كنت . بحاسة المؤمن الغيور . أرصد أحوال الأمة العربية قبل الهزيمة وبعدها، فأشعر بمدى قربها أو بعدها من دينها، ومدى قدرة التيرات الأجنبية على التطويع بها هنا وهناك...)[2] .

ولذا نجده ألف عدة كتب يوضح بها غزو الأعداء لأمة الإسلام، وينافح من خلالها ويرد عليهم ومن تلك الكتب: كتاب الإسلام المناهج الإشتراكية، والاستعمار أحقاد وأطماع. وكتاب حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام، وإعلان الأمم المتحدة، وكتاب دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، وهكذا بقي رحمه الله إلى آخر نفس من حياته.

---

(١) حقيقة القومية العربية. صـ٧. طبعة: نهضة مصر ١٩٨٩م.

(٢) حصاد الغرور. محمد الغزالي. صـ١٢. دار القلم. ١٤١٤هـ.

المطلب الثاني: مولده ونشأته ووفاته.

اسمه وولادته:

محمد الغزالي أحمد السقا مرسي، و "محمد الغزالي" اسم مركب، سمي به تيمناً بحجة الإسلام الإمام "محمد الغزالي" [(١)].

مصري المولد، والنشأة.. ولد ـ لأسرة ريفية فقيرة ومتدينة ـ في قرية "نكلة العنب"، مركز "إيتاي البارود"، محافظة "البحيرة" بدلتا مصر يوم السبت ٥ من ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ، ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩١٧م [(٢)]. ومحافظة البحيرة هي إحدى المحافظات الكبرى بالوجه البحري بمصر [(٣)].

ولما ولد الشيخ محمد سارع أبوه إلى تنفيذ وصية الإمام الغزالي التي أوصاه بها في المنام، فسمى ولده "محمد الغزالي"، وهذه لها قصة ظريفة وهي أنه في ليلة من الليالي، تراءى له الإمام الغزالي في المنام وأخبره أنه سيتزوج وينجب غلاما، وأشار عليه أن يسميه "الغزالي".

لم تطل المدة على هذا المنام، حتى سعى الشاب أحمد إلى خطبة فتاة من بيت متدين، من قريته ذاتها، وتزوجها بعد موافقة أهلها. كما لم يمر زمن طويل حتى كانت هذه الفتاة حبلى بأول أولادها، وكان هذا الولد ذكرا، وقد ولد تحديدا في ٢٢ سبتمبر ١٩١٧م، فما كان من أبيه إلا أن سارع إلى تنفيذ وصية الإمام الغزالي التي أوصاه بها في المنام، فسمى ولده "محمد الغزالي" [(٤)].

---

(١) موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي من السنة النبوية. د. محمد سيد. ج١. ص٢٠. دار الصلاة للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية. د.محمد عمارة. ص٢٩. طبعة دار السلام. الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

(٣) من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة. عبدالله العقيل. ص٢٨. مكتبة المنار الإسلامية. الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

(٤) الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود. د. مسعود موسى فلوسي. ص٢٠. مكتبة وهبة. الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.

سبب تسميته محمداً:

وقد سماه والده باسم مركب هو "محمد الغزالي" تيمنا باسم الرسول ﷺ ، وتيمنا باسم أبي حامد الغزالي [1] . وتنفيذاً لوصية الإمام أبي حامد الغزالي التي رآها في المنام كما مرَّ بنا قبل قليل.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: (والدي . رحمه الله .كان يحب شيخ الإسلام أبا حامد الغزالي، وكان عاشقاً لعلم التربية والسلوك يحترم رجاله ويختار مسالكهم، لأنه كان حافظاً للقرآن جيد الفهم لنصوصه ويروي أبي لأصدقاء الأسرة أن تسميتي "محمد الغزالي" جاءت عبر رؤيا منامية وبإيماء من أبي حامد "رضي الله عنه")[2].

الكلام عن بلدته:

وقرية "نكلا العنب" لها تاريخ طيب، فمنها خرج المجاهد الشاعر "محمود سامي البارودي [3] " كما أن منطقة "إيتاي البارود" خرج منها عدد كبير من الرجال المخلصين، مثل الشيخ سليم البشرى [4] ، والشيخ إبراهيم حمروش [5]

---

(١) الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده وآراؤه. د. عبد الحليم عويس. ص٧. دار القلم. الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.

(٢) هكذا علمني الغزالي. علاء الدين آل رشي. ص٥٥. دار الوراق الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

(٣) البارُودي(١٢٥٥ - ١٣٢٢ هـ = ١٨٣٩ - ١٩٠٤ م)محمود سامي (باشا) ابن حسن حسني بن عبد الله البارودي المصري: أول ناهض بالشعر العربيّ من كبوته، في عصرنا، وأحد القادة الشجعان. جركسي الأصل، من سلالة المقام السيفي نوروز الأتابكي (أخي برسباي) . نسبته إلى (إيتاي البارود) بمصر، وكانت لأحد أجداده في عهد الالتزام.كان ميلاده ووفاته في القاهرة ، له ديوان شعر ومختارات البارودي . انظر: الأعلام للزركلي(١٧١/٧).

(٤) هو الشيخ سليم البشري المالكي المولود في محلة بشر من محافظة البحيرة عام ١٨٣٢ ميلادي الموافق لعام ١٢٤٨ هجري. درس الشيخ سليم في أعرق جامعة إسلامية سنية ألا وهي جامع الأزهر الشريف وقد ترقى في المراتب العلمية والروحية حتى نال تلك المنزلة الرفيعة وهي تولي مشيخة الأزهر لفترتين متعاقبتين كانت الأولى سنة١٩٠٠ الموافق لعام ١٣٢٠ هجري، والثانية استمرت من سنة ١٩٠٩ ميلادي حتى سنة وفاته ١٩١٦ ميلادي الموافق ١٣٣٥ هجري. تميزت فترة توليه لمشيخة الأزهر بالحزم وحسن الإدارة حيث تم في عهده تطبيق نظام امتحان الراغبين في التدريس بالأزهر.له مؤلفات منها: الاستئناس في بيان الأعلام وأسماء الأجناس وغيرها.

(٥) الشيخ إبراهيم حمروش(١ مارس ١٨٨٠/٢٠ ربيع الأول ١٢٩٧هـ - ١٣٨٠م -١٩٦٠) الإمام الرابع والثلاثون في سلسلة مشايخ الجامع الأزهر وأول عميد لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر .

والشيخ محمد عبده، والشيخ محمود شلتوت [1]، والشيخ حسن البنا [2]، والدكتور محمد البهى [3]، والشيخ محمد المدني [4].

---

(١) شَلْتُوت(١٣١٠ - ١٣٨٣ هـ = ١٨٩٣ - ١٩٦٣ م) محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري. ولد في منية بني منصور (بالبحيرة) وتخرج بالأزهر (١٩١٨) وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧) وكان داعية إصلاح نير الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد. وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه، فعمل في المحاماة (١٩٣١ - ١٩٣٥) وأعيد إلى الأزهر، فعين وكيلا لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء (١٩٤١) ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦) ثم شيخا للأزهر (١٩٥٨) له مصنفات عدة منها التفسير و حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي والقرآن والمرأة ، والقرآن والقتال ، و عنصر الخلود في الإسلام، والإسلام والتكافل الاجتماعي، وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي(١٧٣/٧).

(٢) الشيخ حَسَن البَناَّ (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م) حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا: مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنظم جماعتهم. ولد في المحمودية (قرب الإسكندرية) وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، فتنقل في بعض البلدان متعرفا إلى أهلها، مختبرا طباعهم وعاداتهم. واستقر مدرسا في مدينة الإسماعيلية، فاستخلص أفرادا صارحهم بما في نفسه، فعاهدوه على السير معه (لإعلاء كلمة الإسلام) واختار لنفسه لقب (المرشد العام) فأقاموا بالإسماعيلية أول دار (للإخوان) وبادروا إلى إعلان (الدعوة) بالدروس والمحاضرات والنشرات، وانفرد هو بزيارة المدن الأخرى.انظر: الأعلام للزركلي(١٨٣/٢).

(٣) هو محمد محمد البهي قرقر. ولد يوم الخميس الثالث من شهر أغسطس من عام ١٩٠٥م بقرية "اسمانية" التابعة لمركز "شبرا خيت" بمحافظة "البحيرة ."نشأ — رحمه الله — نشأة دينية، فأتم حفظ القرآن الكريم في الكُتَّاب ولما يجاوز العاشرة من عمره.

درس في المعهد الأزهري "بدسوق" ثم بمعهد "طنطا" وأخير بمعهد "الإسكندرية . "تولى إدارة جامعة الأزهر و لم تمض مدة طويلة على مباشرة الدكتور إدارة جامعة الأزهر حتى نقل إلى وزارة الأوقاف وشئون الأزهر وذلك في التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٢م. وبقي فيها حتى ٢٥ من مارس ١٩٦٤م . بعد بلوغ الدكتور سن المعاش سنة ١٩٦٥م اعتزل الناس وعكف في بيته على الكتابة والتأليف فكتب معظم كتبه في هذه الفترة التي امتدت إلى أن وافته المنية يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٤٠٢هـ الموافق للعاشر من سبتمبر سنة ١٩٨٢م، عن عمر جاوز السابعة والسبعين عاماً فرحمه الله رحمة واسعة انظر في ترجمته : الدكتور محمد البهي ومنهجه في الدفاع عن الإسلام. رسالة ماجستير بجامعة الأزهر، إعداد : ماجد عبدالسلام إبراهيم. ص١٠، وقد التقى الباحث ابن أخ الدكتور البهي: محمد إسماعيل البهي، ونقل عنه جوانب من حياته الشخصية .ومقدمة كتاب : حياتي في رحاب الأزهر، للدكتور البهي ، مقدمة : وهبة حسن وهبة، صاحب مكتبة وهبة التي اختصها الدكتور بطباعة مؤلفاته ، ص ٤.

(٤) المدني هو: محمد بن المدني بن علي جنون، أبو عبد الله، المستاري أصلا، الفاسي مولدا وقرارا ووفاة: (٠٠٠ - ١٣٠٢ هـ = ٠٠٠ - ١٨٨٥ م) فقيه مالكي، من رجال الإصلاح الديني. أصله من بني (مستارة) يتصل نسبه بالأدارسة. كان رأس علماء المغرب في القرن= =الثالث عشر، مفتيا محدثا لغويا، قوالا للحق، نزيها، دؤوبا على نشر العلم والإرشاد والنهي عن البدع. وأوذي بسبب ذلك، وسجن، فاعتصبت الطلبة وقامت قيامة الجمهور، فأطلق. له تآليف، منها التسلية والسلوان لمن ابتلي بالأذية والبهتان وحاشية على موطأ مالك، سماها (التعليق الفاتح ، و العقد الفريد في بيان خروج العوام من ربقة التقليد و نصيحة النذير العريان من مخالطة أهل الغيبة والنميمة والبهتان، وغيرها. انظر الأعلام للزركلي(٩٤/٧).

والشيخ عبد العزيز عيسى [١]، والشيخ عبدالله المشد [٢]، وغيرهم [٣].

نشأته:

وقد نشأ الشيخ محمد الغزالي بين سبعة أخوة، كان هو أكبرهم، ولهذا كان والده يعلق أكبر آماله في رعاية الأسرة عليه، فكان الوالد إذا مرض يقول لزوجته وأولاده: لا تحزنوا تركت لكم بعد الله ـ محمد الغزالي [٤].

أهم ما يميز أسرة الشيخ رحمه الله أنه ولد لأب تقي ورع يحب الله ورسوله ويحرص على تعلم كتاب الله عز وجل وتعليمه، إذ كان من حفظة القرآن يتلوه ويتدبره، ويتعهده بالتثبيت في صدره.

ولما كان رحمه الله رجلا فقيرا متديناً، فقد كان يعلق آمالاً كبيرة على ولده البكر. لذلك، لم يكن غريباً أبدا، أن ينشئه على ما نشأ عليه هو وأحبه وأخلص له، ألا وهو حفظ القرآن الكريم، ولذلك، شرع يهتم به ويوفر الظروف اللازمة لتربيته وتهذيبه وتعليمه، فما إن بلغ الخامسة حتى أدخله الكتاب، ليحفظ القرآن مع غيره من الصبية، ولما كان هو أيضاً من الحفاظ، فقد تعاون مع فقهاء الكتاب على ألا يضيع ولده الوقت سدى، "فكان يحفظ حصته المقررة على الشيخ، ويضيف إليها حصة أخرى على والده، فما إن بلغ العاشرة حتى كان قد حفظه كله [٥].

كما يصف الغزالي أيضاً بعض الظروف التي مرت بها حياته في الكتّاب فيقول: (لم أكن بليداً ولا نابغاً، كنت متوسط الذكاء، ضئيل الجسم، قصير القامة! وكان وقع العصا على جلدي رهيباً عندما أخطئ، وربما أكرهتني الهيبة على التلعثم، فإذا ارتفعت العصا أسرعت إلى استعادة وعيي وتابعت القراءة، فإما نجوت، وإما ضربت ضربة خفيفة..!!

---

(١) لم أعثر عليه .

(٢) لم أعثر عليه .

(٣) الشيخ محمد الغزالي رائد منهج التفسير الموضوعي في العصر الحديث. د. مسعود موسى فلوسي. ص١٥.

(٤) الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده وآراؤه. ص٧.

(٥) الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود. ص٢٣.٢٤.

إن الكتّاب شيء مقلق، قاعة واحدة واسعة مليئة بعشرات المستويات، تضم قريباً من مائة صبي بين السادسة والسادسة عشرة، كل منهم عاكف على اللوح الذي يكتب فيه أو يقرأ منه، وهناك من يقرؤون في المصاحف، بعد ما انتهوا من مرحلة الكتاب.

وعلى بعد مائة ذراع تسمع هدير التلاوة، تقطعه بين الحين والحين استغاثة مضروب لم يحسن الأداء، يتوجع من لذع العصا..

والآباء يوصون المعلمين بألا تأخذهم شفقة في التعليم والتأديب، فعصا الفقيه من الجنة كما يقولون!!...

بقيت في الكتّاب إلى سن العاشرة، فأتممت حفظ الكتاب العزيز، وعرفت مبادئ الحساب، وشيئاً قليلاً من قواعد الإملاء، ورأى أبي أن يقدم على مرحلة تعد عصيبة بالنسبة له، لكنها مهمة بالنسبة لي)[1].

صفاته:

لقد تحلى الشيخ الغزالي رحمه الله بصفات جميلة شهد له بذلك كل من عرفه، وإن لم نكن قد رأيناه وعايشناه إلا أن من يقرأ كتبه وما سطرت يداه يوقن أن الشيخ رحمه الله كان يتحلى بصفات قلَّ أن توجد في غيره.

يقول الشيخ يوسف القرضاوي: (قد تخالف الغزالي أو يخالفك، في قضايا تصغر أو تكبر، وتقل أو تكثر، ولكنك. إذا عرفته حق المعرفة. لا تستطيع إلا أن تحبه وتقدره، لما تحسه وتلمسه من إخلاص لله، وتجرد للحق، واستقامة في الاتجاه، وغيرة صادقة على الإسلام.

صحيح أنه أخذ على الشيخ أنه سريع الغضب، وأنه إذا غضب هاج كالبحر، حتى يُغرق، وثار كالبركان حتى يُحرق!

وسر هذا أن الرجل يبغض الظلم والهوان لنفسه وللناس، ولا يحب أن يَظلم أو يُظلم، ولا أن يستخف بكرامة أحد، كما لا يستخف بكرامته أحد. كما أنه لا يطيق العوج ولا الانحراف، وخصوصاً إذا لبس لبوس الاستقامة، أو تستر بزي الدين، فهو الذي يقاتله سراً وعلانية.

فإذا رأى ظلماً أو عوجاً. في رأى نفسه على الأقل. لم يستطع أن يغلق فمه أو يغمد قلمه، بل صب عليه جام سخطه، ولم يحفل بما يصيبه من شرار الصدام.

---

(١) الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود. ص٢٦،٢٥.

ولكن يكمل هذا أن الشيخ لا يفجر في خصومته، ولا يفتري على خصمه، أو يتمنى له السوء، أو يشمت به إذا نزل به بلاء، إنما هو كما قال القائل: رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت!

ثم إن صفات الغزالي أنه كان سريع الغضب فهو سريع الفيئ، رجاع إلى الحق إذا تبين له، ولا يبالي أن يعلن خطأه على الناس علانية، وهذه شجاعة لا تتوافر إلا للقليل النادر من الناس.

فهو شجاع يهاجم ما يعتقده خطأ، شجاع عندما يعترف بأنه لم يحالفه الصواب فيما كان قد رآه) [(١)] .

ويقول الشيخ القرضاوي أيضاً: (عرفت الشيخ الإمام منذ نحو نصف قرن، فعرفت فيه العقل الذكي، والقلب النقي، والخلق الرضي، والعزم الأبي، والأنف الحمي.

عرفت الغزالي، فما عرفت فيه إلا الصدق في الإيمان، والسداد في القول، والإخلاص في العمل، والرشد في الفكر، والطهارة في الخلق، والشجاعة في الحق، والمعاداة للباطل، والثبات في الدعوة، والمحبة للخير، والغيرة على الدين، والحرص على العدل، والبغض للظلم، والوقوف مع المستضعفين، والمنازلة للجبابرة والمستكبرين مهما أوتوا من قوة) [(٢)] .

ويصفه أيضاً فيقول : (وقد وجدنا الذي يشتد ويحتد في نزاله الفكري، فيهدر كالموج، ويقصف كالرعد، ويزأر كالأسد، حتى إنك لتحسبه في بعض ما يكتب مقاتلاً في معركة، لا مجادلاً في قضية، وتحسب القلم الذي بيده، السيف أو الرمح في يد ابن الوليد! وجدناه ـ عن كثب ـ إنساناً رقيق القلب، قريب الدمعة، نقي السريرة، صافي الروح، حلو المعشر، رضي الخلق، باسم الثغر موطأ الأكناف، عذب الحديث، سريع النكتة، بسيطاً متواضعاً، هيناً ليناً، بعيداً عن التكلف والتعقيد والتظاهر والإدعاء، تسبق العبرة إلى عينيه إذا سمع أو رأى موقفاً إنسانياً، ويهتز خشوعاً وتأثراً إذا ذكر الله والدار الآخرة، ولا يأنف أن يتعلم حتى من تلاميذه،

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن. د. يوسف القرضاوي. ص٤٠. دار الشروق

(٢) و أخيراً هوى النجم . يوسف القرضاوي . مجلة المجتمع الكويتية . عدد ١١٩٢ . ٢٩ شوال ١٤١٦هـ . وانظر : غصن باسق في شجرة الخلود . ص ١١١

يعترف لكل ذي موهبة بموهبته، لا يحسد ولا يحقد، يكره الظلم والتسلط على عباد الله، يقول بصراحة: لا أحب أن أتسلط على أحد، ولا أن يتسلط علي أحد)[1] .

ويقول الدكتور أحمد العسال: (ولعل مفتاح شخصية عالمنا الكريم هي مجموعة من الصفات المتكاملة تأتي في أولها الصدق، والشجاعة، والإباء، واستقامة الفكر، والتواضع، وإيثار الحق على غيره مهما كان الثمن، وكراهية الظلم، وطلب العدل والإنصاف، والجهاد من أجل تحرير الأمة أفراداً وجماعات من ربقة الذل والاستبداد)[2] .

لقد كان سمته الصدق في كل أحواله: مع نفسه، وفي عمله الوظيفي، ومع إخوانه، فإذا رأي أمراً يمضي على عوج سارع بالصدع برأيه والوقوف عنده[3] .

ويتكلم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عن نفسه فيقول: (لم أكن أتخيل في طفولتي ولا يفاعتي أنني سأكون يوما ما داعية إلى الدين. وما حسبت ولا حسب القريبون مني أنني أصلح للعمل في هذا الميدان الذي تواضع الناس على ترشيح أقوام معينين له، يمتازون بطراز خاص من الخلق والسلوك، ويضفي المجتمع عليهم تقاليد دقيقة تتحكم في بيئاتهم وهيئاتهم، وسائر مناحي حياتهم.

إنني لا أطيق التزمت، ولو تكلفته ما أحسنته! وأحب أن أسترسل مع سجيتي في أخذ الأمور وتركها، وقلما اكترث للتقاليد الموضوعة، والمفروض أن اللازم الأولى في رجال الدين . كما يسمون أنهم أهل توقر وسكون.

وأنا أجنح إلى المرح رغبة عميقة، وأتلمس الجوانب الضاحكة في كل شيء، وأود لو استطعت أن أعيش هاشاً باشاً، والمفروض أن الناس يتوقعون من أمثالنا تواصل الأحزان، وإطراق الكآبة، حتى يكون تذكير بالآخرة، وإنذاره العصاة بالنار، متفقاً مع مخايل الجد والعبوس التي لا تفارق وجهه أبدا!!.

ثم إنني شعبي في تصرفي، لو كنت ملكاً لأبيت إلا الانتظام في سلك الأخوة المطلقة مع الجماهير الدنيا، أخدمهم ويخدمونني على سواء!.

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن. ص ١٩.

(٢) العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي. حلقات دراسية. المحرر: د. فتحي حسن ملكاوي. ص٢٧.

(٣) المرجع السابق. ص٢٩.

وقد تكون الأيام غيرت مني، والتجارب القاسية علمتني، فجعلتني . وأنا الضحوك المبتهج . أغوص في بحار من الأكدار، أو أتحرى موضع قدمي، وأنا أسير بين الناس، كأنما أحاذر شراكا منصوبا، أو أصعر خدي . علم الله لا عن كبر . بل إحجاماً عن قبول الدنية ورفضاً لهضمهم الحقوق!.

وما اضطررت إليه من عمل ينافي طبعي، فإن مرده طبيعة الأحوال التي أحيا فيها، وليس البتة من طبيعة الرسالة التي أؤديها بعد ما صرت إلى خطة القدر لي، أي رجلاً من الدعاة إلى الله، وهمزة وصل بين الأرض والسماء!) [(١)].

وفاته:

توفي الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – في الرياض يوم ١٩٩٦/٣/٩م . ١٤١٦هـ ونقل إلى المدينة المنورة، حيث دفن في مقابر البقيع. وكان لصاحب السمو الملكي الأمير آنذاك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود دوره المشكور في تقدير الرجل وتكريمه في حياته وبعد مماته ومواساة أسرته [(٢)].

ففي المهرجان الوطني للثقافة . الجنادرية . لبى نداء ربه، فصعدت روحه إلى بارئها . في قاعة الملك فيصل . والقلم في يده يدون نقاطاً للدفاع عن الإسلام [(٣)].

وقد صور أحد المشاركين في مهرجان الجنادرية اللحظات الأخيرة من حياة الشيخ، وكان جالساً على مقربة منه، فقال:

(كنا نجلس في الصفوف الأولى لا تفصلنا عنه . أي الغزالي . سوى خطوات معدودات، وقد لحظنا قبل دقائق من الحدث أن الشيخ يرفع رأسه إلى الخلف ثم يستعيد وضعه مرة أخرى، ولقد اعتقدنا للوهلة الأولى أنه يتحدث مع أحد الجالسين خلفه، ولكنا أدركنا بعد ذلك أنه كان يقاوم الآلام، فقد شهق فجأة وأصيب بإغماء هب على أثرها الجميع نحوه.

ومرت الثواني بطيئة على الحضور في المقاعد الخلفية وهم يتابعون التجمهر، حيث كان الشيخ الغزالي جالساً دون أن يعرف أحد ما حدث إلى أن قطع الدكتور فهمي السماوى حالة التساؤل والترقب بطلب الطبيب، أي طبيب يوجد في القاعة، ليدخل بعدها مجموعة من

---

(١) المرجع السابق. ص٢٠٣.٢٠٤.

(٢) من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة. ص٣٧.٣٨.

(٣) الموقع الفكري والمعارك الفكرية. ص٤٠.

الأطباء . وجدوا مصادفة بين الحاضرين . في صراع مرير مع الموت، ورغم أن الوجوم والترقب ساد أجواء القاعة، فإن الهلع بدا واضحاً على وجوه المتحلقين حول الغزالي، حيث كان مسجى في دائرة طوقها أربعة أطباء في محاولات يائسة بذلوا خلالها أقصى ما يمكنهم من الإسعافات الأولية، تنفس صناعي، وتدليك متواصل لعضلة القلب، ولكن حشرجة الموت كانت واضحة أمام العيان) [1] .

وتحركت طائرة ملكية إلى القاهرة تحمل إلى السعودية أسرته الكريمة، ثم تحركت طائرة ملكية أخرى تحمله إلى البقيع، ليدفن مع طليعة خير أمة أخرجت للناس... مع صفوة الصفوة، رضي الله عنهم، تلامذة محمد صلى الله عليه وسلم، الذين عاش معهم الغزالي بوجدانه طيلة عمره. رحمه الله رحمة واسعة [2] .

رجال تأثر بهم الشيخ محمد الغزالي:

في كل شخصية يكون هناك شخصيات مؤثرة، وقد تأثر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله بعدد من الشخصيات العظيمة فكان لها أبلغ الأثر في صقل شخصيته.

يحدثنا الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عن هذا فيقول:

(تأثرت بالشيخ العظيم الزرقاني [3] الذي كان مدرساً بكلية أصول الدين وهو صاحب كتاب "مناهل العرفان في علوم القرآن" وكان عالماً يجمع بين العلم والأدب وعباراته في كتابه المذكور تدل على أنه راسخ القوم في البيان وحسن الديباجة ونقاء العرض.

وفي معهد الإسكندرية الديني تأثرت بالشيخ إبراهيم الغرباوي [4] ، والشيخ عبدالعزيز بلال[4]، وكانا يشتغلان بالتربية النفسية ولهما درجة عالية في العبادة والتقوى، وكانا يمزجان الدرس برقابة الله وطلب الآخرة وعدم الفتنة بنيل الإجازات العلمية لأن الألقاب العلمية طنيناً ربما ذهب معه الإخلاص المنشود في الدين.

---

(١) الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود. ص١٠٣

(٢) الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده وآراؤه.. ص١٥

(٣) الزُّرْقاني هو : محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٦٧هـ) . من كتبه :مناهل العرفان في علوم القرآن و بحث في الدعوة والإرشاد. انظر : الأعلام للزركلي(٦/ ٢١٠).

(٤) لم أعثر عليه .

(٤) لم أعثر عليه .

وقد تأثرت أيضاً بالشيخ محمود شلتوت [1] الذي أصبح فيما بعد شيخاً للأزهر، إذ كان مدرساً للتفسير، وله قدرة ملحوظة في هذا المجال إلى جانب رسوخ قدمه في مجال الفقه وعلوم الشريعة إجمالاً، وقد كان رحمه الله شخصية عالمية بارزة يلتف حولها الكثيرون.

أما تأثري الأكبر فقد كان بالإمام الشهيد حسن البنا [2] ، وكان عالماً بالدين، كأفقه ما يكون علماء العقيدة والشريعة.وكان خطيباً متدفقاً ينساب الكلام منه أصولاً لا فضولاً) [3] .

(١) سبق ترجمته ، ص ٢٨.

(٢) سبق ترجمته ، ص ٢٨

(٣) هكذا علمني الغزالي. ص٧٥ .

المبحث الثاني: حياته العلمية وفيه مطالب:

المطلب الأول: دراسته وتلقيه العلم.

حفظ الشيخ الغزالي القرآن الكريم في سن مبكرة من عمره حيث يقول: (وقد استطعت .كعدد كبير من الأولاد . أن أحفظ القرآن الكريم كله وأنا ابن عشر سنين، وبديهي أن يكون المسجد في ذاكرتي هو الشكل "الموضوع" وهو الألفاظ لا المعاني، هو الصور البادية للقرآن لا السور المفعمة بالروح والنور والقوة.. الخ) [(١)] .

وبقي الشيخ في الكتاب حتى سن العاشرة، عرف فيها مبادئ الحساب، وشيئاً قليلاً من قواعد الإملاء، ثم انتقل إلى معهد الاسكندرية بناءً على رغبة والده الذي باع دكانه الذي كان يمتلكه، ورحل إلى "الاسكندرية"، وذلك ليواصل الشيخ الغزالي تعليمه.

وفي معهد الاسكندرية سنة "١٩٢٨" انتظم الشيخ الغزالي في صفوف الطلاب وعمره حينئذ إحدى عشرة سنة، لمدة تسع سنين كاملة على نظام اليوم الكامل، وكانت مناهج الدراسة مزيجاً من العلوم الدينية والمدنية، ما عدا اللغات الأجنبية التي لم تكن مقررة.

يحدثنا الشيخ الغزالي عن نفسه في معهد الاسكندرية فيقول: (وبعد أن حفظت القرآن الكريم، انتسبت إلى المعهد الديني بالإسكندرية، أخذني والدي وتركني هناك صبياً صغيراً في الحادية عشرة من عمري، وكان علي أن أعيش في تقشفٍ شديد بعد أن زادت أعباء والدي تجاه بقية إخواني، كنت أفترش الجرائد القديمة على الأرض مع فراش رقيق، الكتب من حولي تتناثر هنا وهناك، ولما اشتد ضغط الواقع قيض الله لي تاجراً أرمينياً كان ابنه في حاجة إلى تعليم اللغة العربية، وهكذا استخدمت علمي ولغتي في تعليم ابنه لغتنا مقابل مبلغ زهيد، كان يومها مبلغاً محترماً) [(٢)] .

---

(١) نظرات في القرآن الكريم. ص٢٦٦.٢٦٧.

(٢) الشيخ محمد الغزالي غصن باسق ص٢٨.٢٩.

إذن لقد تحمل الشيخ الغزالي المتاعب والمشقة لأجل تحصيل العلم، وهذه سنة الله في عباده من العلماء وطلاب العلم ولله الحكمة البالغة.

وفي سنة "١٩٣٨م" التحق الشيخ الغزالي بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر الشريف ـ وقد ظل الشيخ الغزالي في سنوات الكلية يدرس بحماس، ويشارك الدعوة بعمله وجهده في هذه المرحلة، وقد ظهر له أول مقال له وهو طالب في السنة الثالثة في الكلية، وقد كان الشيخ رحمه الله الغزالي معجباً بكتاباته [(١)].

ولقد سطر الشيخ الغزالي في ديوانه "الحياة الأولى" عن سنين طلب العلم في حياته، وما حفلت به من جهد وكفاح، وصراع وبطولة فيقول:

ثمــــاني عشــرةً مرت طــلاباً	حثيث السير ما همدت نفادا
كـــأني إذا أطل على رحاب	حواها الأمس يوسعها ابتعادا
تلـــوح لملـــتقى أعـــلام نفس	محـيرة لنشـــيدتها ارتــــيادا
يشـــع لها ومـــيض من حياة	تحـــس بخيمها العــاني المرادا
تحـــتس بخيمها العاني شرودا	يـــراودها لِيُسْــلِسَهَا القيادا
فتـــهزمــــه وترجــــعه فلــــولا	كبيــحات تحـــذره المعـــادا
كأن النصـــر خامرني انتشاء	وقــد نكـــبت أثقــالاً شدادا
وزالت عن وهيجي مظلمات	صنعن له حجاباً أو رمادا [(٢)]

(١) موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي. جـ١. صـ٢٧.

(٢) الحياة الأولى. صـ٤٤.

إننا نستطيع القول أن حياة الشيخ الغزالي رحمه الله حفلت بالجد والاجتهاد في العلم منذ الصغير ، ومرّ تلقيه العلم بعدة مراحل هامة ، نستطيع أن نلخص هذه المراحل بإيجاز :

١- المرحلة الأولى في تعليمه هو : "كتّاب القرية " ففيه حفظ القرآن الكريم وسنه عشر سنوات وفيها أيضاً تعلم مبادئ القراءة والكتابة .

٢- المرحلة الثانية : التحقق فيها بمعهد الإسكندرية ، وحصل منه على (شهادة الكفاءة) وهي ثلاث سنوات بعد (الإبتدائي) ثم حصل على (الثانوية) وهى سنتان بعد (الكفاءة) .

٣- المرحلة الثالثة : التحق فيها بكلية أصول الدين – جامعة الأزهر سنة (١٩٣٧م) ، وتخرج منها سنة (١٩٤١م) وتخصص في الدعوة ، وحصل على درجة التخصص في التدريس – وهي تعادل درجة الماجستير – سنة (١٩٤٣م) من كلية اللغة العربية [١] .

---

(١) موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي رحمه الله من السنة النبوية. ص ٢٩

المطلب الثاني: مؤلفاته.

كتبه ومؤلفاته والكلام عنها:

في المدة التي عاشها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله أخرج لنا الشيخ للمكتبة الإسلامية عدة كتب في عدة نواحي من أمور الحياة، فلا تكاد تجد أمراً ما إلا وقد ألف الشيخ رحمه الله فيه كتاباً إما تأليفاً لسبب ما أو ابتداءً أو رداً على فكرة خاطئة أو دعوة باطلة، فكان نتاج ذلك كثرة كاثرة من الكتب الزاخرة، أذكرها هنا وأذكر بشكل سريع فكرة كل كتاب بشكل مختصر.

١. الحياة الأولى:

ديوان شعر نظمه الشيخ الغزالي في شبابه الباكر.

٢. الإسلام والأوضاع الاقتصادية:

هدف المؤلف من وراء إخراجه إلى إعطاء القارئ صورة صادقة عن الفكرة الذاتية للدين، والروح العامة لمبادئه، والموقف الذي قد يفقه بإزاء الأفكار الاقتصادية المختلفة.

٣. الإسلام والمناهج الاشتراكية.

يتضمن الكتاب تحديد موقف الإسلام من العلم والنظام السياسي، والنظام الاقتصادي، والنظام الاجتماعي، ومواقفه من المذاهب الحديثة.

٤. الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين.

هذا الكتاب هو في مجمله كشف جريء للمظالم الاقتصادية المؤلمة التي تئن تحت وطأتها الشعوب في البلدان الخاضعة للاستعمار الأبيض والأحمر على سواء.

٥. الإسلام والاستبداد السياسي.

هذا الكتاب في أصله محاضرات ألقاها الغزالي على رفاقه في معتقل الطور في أواخر الأربعينيات.

٦. من هنا نعلم.

ألف الغزالي هذا الكتاب ليرد به على كتاب صديقه الشيخ خالد محمد خالد "من هنا نبدأ"، "ليدحض الشبهات التي أثارها، ويميط اللثام عن أخطاء كبيرة وقع فيها، ويظهر الإسلام في نقائه وصفائه".

٧. تأملات في الدين والحياة.

هو مجموعة من المقالات والخواطر والبحوث واللفتات، عالجت أمورا لا تزال تستحق من النقد والنظر.

٨. عقيدة المسلم.

هو كتاب في العقيدة الإسلامية، ضمنه المؤلف شرحاً تفصيلياً لأركان العقيدة ومبادئها، مقرونة بالدليل والبرهان.

٩. خلق المسلم.

عرض المؤلف مبادئ الأخلاق الإسلامية وصورها السلوكية وآثارها في حياة الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامي، في ضوء النقل من الكتاب والسنة.

١٠. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام:

ألف الشيخ هذا الكتاب رداً على كتاب أصدره أحد النصارى الأقباط، افترى فيه على الإسلام، واجترأ على حماه.

١١. فقه السيرة.

ألفه الشيخ في رحاب المسجد النبوي، وفي ظلال الروضة الشريفة ، وهو كتاب يتجلى فيه قلم الأديب ، وفكر العالم ، وروح الداعية ، وعاطفة المحب للرسول صلى الله عليه وسلم . حتى ذكر أنه كان كثيراً ما كان يكتب ودموعه تنهمر على الورق الذي يكتب فيه، فيختلط الدمع بالمداد. وهو كتاب واضح من اسمه عن السيرة النبوية ، بفقه الدعوة إلى الله تعالى ، وتحليل المواقف النبوية ، والاستفادة منها دروساً وعبرا.

١٢. في موكب الدعوة.

في هذا الكتاب جمع الشيخ عدداً من مقالاته التي كتبها . أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات . يدافع بها عن الإسلام والدعوة الإسلامية.

١٣. ظلام من الغرب.

مواجهة سافرة ومكشوفة يفتحها المؤلف على المستغربين الذين يعيشون بأجسادهم في الشرق، ولكن عقولهم وأفكارهم في الغرب.

١٤. جدد حياتك.

كتاب جميل ولطيف يعنى فيه إلى أدب النفس والتربية الذاتية.

١٥. ليس من الإسلام.

يتضمن هذا الكتاب أبحاثاً فقهية، جرت العادة على دراستها في معاهد متخصصة بعيداً عن القارئ العادي.

١٦. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث.

ينطلق الغزالي في كتابه هذا من فكرة مفادها أن ما أصاب المسلمين في هذا العصر وفي العصور التي سبقته، لا يُسأل عنه أعداؤه قدر ما يُسأل عنه أبناؤه.

١٧. كيف نفهم الإسلام.

يهدف فيه المؤلف إلى نفي الزيف والخطأ الواقع في أفهام بعض المسلمين.

١٨. الاستعمار أحقاد وأطماع.

يتحدث الكتاب عن أكبر أعداء الإسلام وأشدهم خصومة، ويصف مآسيه، يورد أحداثاً مخزية عن أفاعيل الاستعمار، ثم يبحث في الإسلام والسلام.

١٩. نظرات في القرآن.

وهو الكتاب الذي انصب اهتمام المؤلف فيه على الحديث عن القرآن والقضايا المتصلة به.

٢٠. مع الله .. دراسات في الدعوة والدعاة.

هذا الكتاب دراسة لنظرية الدعوة الإسلامية، وبيان لمفهومها ووجه الحاجة إليها، ونقد لموقف المسلمين من هذه الدعوة وتفريطهم حقها.

٢١. معركة المصحف في العالم الإسلامي.

هذا الكتاب هو جهد رديف للجهود المبذولة للدفاع عن المصحف المهاجم وأمته المعاناة في أنحاء الأرض.

٢٢. كفاح دين.

أظهر المؤلف في الكتاب ما يقع للإسلام وأهله من أذى، حيث تنجح سياسة الاستعمار في إقامة حكومات موالية لها.

٢٣. الإسلام والطاقات المعطلة.

يعرض فيه المؤلف الأهداف الخالدة للإسلام، ويقارنها بواقع المسلمين المؤسف في حياتهم كلها.

٢٤. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة.

يتناول هذا الكتاب الذي كتبه في الستينيات، مبادئ حقوق الإنسان.

٢٥. هذا ديننا.

هذا الكتاب عرض موجز للنظام الإسلامي في جملته.

٢٦. الخديعة .. حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي.

هذا الكتاب "كان في الأصل محاضرات ألقاها الغزالي على طلاب كلية الشريعة بالأزهر، إبان الحقبة الناصرية.

٢٧. الجانب العاطفي من الإسلام.

يتضمن إبراز لهذا الجانب المهم، الذي صد عن بعض الناس، نظراً لما شابه من بعض الشركيات في العقيدة، والبدع في العبادة، والسلبية في التربية، والإهمال لسنن الله في الكون والحياة.

٢٨. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين.

الكتاب مناقشة حرة للمستشرق المجري "جولد تسيهر" في كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" المتلئ بالأحقاد والضغائن ضد الإسلام.

٢٩. ركائز الإيمان بين العقل والقلب.

هذا الكتاب دراسة للجانب الروحي من نظام الإسلام وهي دراسة حديثة بأسلوب جديد مبتكر، تقوم أساساً على نقد الثقافة الإسلامية التقليدية في هذا المجال.

٣٠. حصاد الغرور.

يرصد هذا الكتاب :أحوال الأمة قبل الهزيمة أمام اليهود سنة ١٩٦٧م وبعدها، وبين مدى قربها أو بعدها عن دينها، ومدى قوة التيارات الأجنبية على التطويح بها.

٣١. الإسلام في وجه الزحف الأحمر.

في هذا الكتاب يتولى الغزالي فيه الكشف عن زيف الشيوعية.

٣٢. قذائف الحق.

تناول المؤلف هذا الكتاب "قضية العقيدة ومفهومها في التصور الإسلامي، والدلائل والواضحة في الكائنات على الوحدانية.

٣٣. الثقافة الإسلامية.

هو كتاب دراسي جامعي، يتضمن مقرر مادة الثقافية الإسلامية في الجامعات السعودية.

٣٤. الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر.

في هذا الكتاب يقوم المؤلف بإلقاء نظرة سريعة على مسيرة الدعوة الإسلامية خلال تاريخها الطويل.

٣٥. فن الذكر والدعاء خاتم الأنبياء.

هذا الكتاب دراسة لجانب هام من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، هو جانب الذكر والدعاء.

٣٦. دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين.

يتعرض هذا الكتاب لحاضر المسلمين ومستقبلهم. وهو عبارة عن شرح للأصول العشرين التي وضعها الإمام حسن البنا رحمه الله.

٣٧. واقع العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

كتيب صغير يتناول المؤلف قضية المؤامرات التي تدبر لهذا الدين، ولأتباعه.

٣٨. مشكلات في طريق الحياة الإسلامية.

هذا الكتاب يعرض لمجموعة من مشكلات قديمة جديدة تعيق نهضة المسلمين اليوم.

٣٩. هموم داعية.

في هذا الكتاب حدد الغزالي "ساحات المعارك الإسلامية القائمة بحق أو باطل، وأماط اللثام عن الأعداء الظاهرين أو المقنعين.

٤٠. مائة سؤال عن الإسلام.

يقع هذا الكتاب في جزئين، ويتضمن إجابات الشيخ الغزالي على مائة سؤال وجهها إليه الناشر، وهي أسئلة تدور موضوعاتها حول استفسارات المسلمين.

٤١. علل وأدوية.

هذا الكتاب عبارة عن دراسات في أمراض أمتنا ووسائل الاستشفاء منها، مع تصحيح لما وجه التاريخ الإسلامي من أخطاء.

٤٢. مستقبل الإسلام خارج أرضه... كيف نفكر فيه؟

يتساءل المؤلف في هذا الكتاب: "هل أدى المسلمون رسالتهم في إبلاغ الإسلام ونفع الناس به؟ وما الأسلوب الذي اتبعوه في البلاغ؟ أكان منصفاً للحقيقة مستجمعاً لأسباب النجاح؟.

٤٣. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا.

لا حظ المؤلف أن مشكلات الدعوة الإسلامية تتكرر في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، فأزمة الدعاة الواعيين شديدة، وأهل الذكر الجامعون بين القراءة والفقه قلة

نادرة، والمسلمون الحريصون يسيئون إلى أنفسهم وأهليهم لأنهم يدركون الأمور على غير وجهها، أو تملكهم العاطفة المنفصلة عن التعقل، فتضر ولا تنفع.

٤٤. سر تأخر العرب والمسلمين.

هذا الكتاب دراسة ناقدة لأسباب تأخر المسلمين.

٤٥. الحق المر.

الكتاب عبارة عن تجميع للكلمات التي سطرها المؤلف تعليقاً على ما يقع بالعالم الإسلامي أو ما يقع عليه، خلال عقدي الثمانينات والتسعينيات.

٤٦. قصة حياة.

مذكرات يتحدث فيها الشيخ الغزالي عن نفسه وحياته.

٤٧. الطريق من هنا.

في هذا الكتاب، ينتقد الغزالي تخلف المسلمين، وينتقد كذلك أساليب المسلمين في مواجهة هذا التخلف، وذلك من خلال نقد مناهج الدعوة الإسلامية المعاصرة التي يسعى بعضها للوصول إلى السلطة.

٤٨. جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج.

في هذا الكتاب يقارن الغزالي بين ما كان عليه سلفنا الأول من علو ورفعة ومكانة سامية في العالم، وبين ما نعيشه اليوم من هوان وذل وانهيار حضاري شامل.

٤٩. نماذج من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

كتاب نشره المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة، وهو يحتوي مجموعة المحاضرات التي ألقاها الشيخ في قاعة ابن خلدون.

٥٠. خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة.

الكتاب في عدة أجزاء، وهو تجميع لعدد معتبر من خطب الشيخ الغزالي التي ألقاها في مختلف المساجد التي خطب فيها الجمعة والعيدين.

٥١. محاضرات الشيخ محمد الغزالي في شؤون الفرد والمجتمع.

هو أيضاً تجميع لعدد محدود من محاضرات الشيخ الغزالي التي ألقاها في مصر خاصة.

٥٢. السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث.

ألف الشيخ هذا الكتاب بتكليف من المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، إنصافاً للسنة النبوية.

٥٣. المحاور الخمسة للقرآن الكريم.

الكتاب عرض موضوعي لآيات القرآن الكريم المتعلقة بالمحاور الكبرى الخمسة التي تدور عليها موضوعات القرآن كله، وهي: الله الواحد، الكون الدال على خالقه، القصص القرآني، البعث والجزاء، والتربية والتشريع.. وقد جمع لكل واحد من هذه المقاصد ما يتعلق به من السور والآيات.

٥٤. كيف نتعامل مع القرآن .

الكتاب عبارة عن مدارسة جرت بين الشيخ محمد الغزالي والأستاذ عمر عبيد حسنة، وهي تدور حول مناهج فهم القرآن المجيد وقضايا تفسيره وتأويله وتصنيفه وتبويبه.

٥٥. صيحة تحذير من دعاة التنصير.

ألف الغزالي هذا الكتاب بعد أن اطلع على كتاب التنصير الذي يمثل سجلاً للممارسات والمحاورات والمقترحات والنتائج التي انتهى إليها أحد المؤتمرات التبشرية في أمريكا.

٥٦. أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية.

يتحدث الشيخ الغزالي في الكتاب عن أهمية الشورى التي تعتبر من أهم الركائز التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي والقانون الدستور الإسلامي.

٥٧. قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة.

يقوم الغزالي في هذا الكتاب بتصحيح المفاهيم الخاطئة التي يفهمها المسلمون وغيرهم عن المرأة.

٥٨. تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل.

هذا الكتاب عبارة عن غربلة شاملة للتراث العلمي الإسلامي.

٥٩. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن.

هذا الكتاب يتضمن تفسيراً موضوعياً لكل السور القرآنية.

٦٠. كنوز من السنة.

طبع هذا الكتاب بعد وفاة الشيخ، وقد أعده وقدم له تلميذه وسكرتيره الخاص الأستاذ محمد خالد القعيد.. وهذا الكتاب عبارة عن أوراق وتأملات في السنة النبوية وخواطر دونها رحمه الله.

المطلب الثالث: المناصب التي تولاها.

الأعمال والمناصب التي تولاها:

في حياة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله الحافلة بالجد والعمل الدؤوب تولى الشيخ عدداً من الأعمال والمناصب التي شرفت به.

فبعد أن تخرج من كلية أصول الدين، تقدم إلى مسابقة للعمل بوزارة الأوقاف، واستطاع أن يجتاز اختبارها، وعين أماماً وخطيباً بـ"مسكة عذبان" بالعتبة الخضراء في القاهرة عام "١٩٤٣م"، وكانت هي أول وظيفة حكومية له.

ومما يدل على نجاحه في ميدان الدعوة أنه استطاع في وقت قصير أن يجمع في مسجده أكبر عدد من المصلين، ويذكر ذلك فيقول: (ولم يمض شهر حتى كان جزء كبير من ميدان العتبة يفرش بالحصر، وتنقل الخطبة بالمكبرات).

ثم عمل الشيخ رحمه الله مفتشاً لمساجد القاهرة، ولأن هذا العمل يعتبر إدارياً فهو لا يروق لرجل مثل الغزالي الذي يهوي الخطابة والكتابة، ولذلك نراه يقول: (مذ عملت في السلك الإداري، وأنا أرفض الاكتفاء به، وأركض ركضاً إلى المساجد والأندية والكليات، أتحدث عن الإسلام أذود عنه المهاجمين، وأكشف كامنه للمتوسمين، وأتعرض للمدح والقدح والتكريم والإهانة).

ثم نقل بعد ذلك إلى الأزهر فعمل واعظاً، ثم رئيساً لتحرير مجلة "نور الإسلام" لمدة عامين عام "١٩٤٦م"، "١٩٤٧م" التي يصدرها الأزهر، وكانت هذه المجلة تخص علماء الدعوة الإسلامية، ثم عاد مرة أخرى ليعمل وكيلاً لإدارة المساجد، ثم مديراً للمساجد [(١)].

وعمل مدرساً للدعوة بكلية أصول الدين ، ومدرساً للسيرة التحليلية بكلية والتربية ، وفي سنة ١٣٩٢هـ ،-١٩٧١م ، أعير للمملكة العربية السعودية كأستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وكذلك أستاذاً في جامعة قطر ، و أمين أمناء الجامعة الإسلامية في دولة باكستان ، كما تولى رئاسة المجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر الجزائري الإسلامية بالجزائر لمدة خمس سنوات [(٢)].

---

(١) موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي من السنة النبوية. ج١. ص٣٠.٣٢.٣٣.

(٢) انظر : من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة . ص ٢٩ . وموقف الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي من السنة النبوية . ص ٣٦

المطلب الرابع: أقوال العلماء والمفكرين فيه.

قالوا عن الغزالي:

الشيخ محمد الغزالي رحمه الله من الشخصيات النادرة والعجيبة ولذلك فلا عجب أن نجد الثناء العاطر من شخصيات معتبرة تثني عليه وتذكره بكلمات يندر أن تقال في غيره، وقد كفاني الدكتور مسعود موسى فلوسي جمع هذه الأقوال من مصادرها المختلفة، فأحببت أن أنقلها للقارئ الكريم مشيراً إلى مصدر ذلك للدكتور مسعود فلوسي.

- **(جمع الله فيه ما تفرق في غيره:**

(لقد أبلى الإمام محمد الغزالي شبابه وأفنى عمره في سبيل الله، يدعو إليه على بصيرة، ويجادل عن دينه بالعلم الغزيز والكتاب المنير، ويدفع خصومه بالحجة الدامغة والحكمة البالغة، ويرابط على ثغور المسلمين الحضارية، وسيلته عين ساهرة وأذن حاضرة، وسلاحه قلم سيال وفكر جوال ولسان قوال. لقد جمع الله في كثيرا مما تفرق في غيره).

الشيخ عبدالرحمن شيبان.

- **رجال عاش للإسلام:**

(عرفت الغزالي، فعرفت رجلاً يعيش للإسلام، وللإسلام وحده، لا يشرك به شيئا، ولا يشرك به أحدا، الإسلام لحمته وسداده، ومصبحه وممساه، ومبدؤه ومنتهاه، عاش له جندياً شاهر السلاح، فإيما عدو أقترب من قلعة الإسلام يريد اختراقها، صرخ بأعلى صوته، يوقظ النائمين، وينبه الغافلين. أحسبه كذلك، ولا أزكيه على الله).

الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي.

- **قمة من قمم الفكر الإسلامي:**

(سيبقى الشيخ محمد الغزالي قمة من قمم فكرنا الإسلامي وسيبقى داعية أدى دوره في حدود إمكاناته البشرية التي تخطئ وتصيب، لكنه الداعية الذي عاش في مصر وفي غير مصر أكبر من كل المناصب والإغراءات.. واجه رؤساء دول، وواجه نظماً شيوعية واشتراكية وعلمانية وقومية لا دينية.. وقامت الجماهير بأقوى مظاهرات وراءه تطالب بتحكيم الإسلام وبرفض الانسحاق أمام الإديولوجيات المستوردة أو المفروضة علينا من الشرق أو الغرب .. أيام كان هناك شرق!!).

الدكتور عبدالحليم عويس.

- **شيخ الدعوة وفقيهها:**

(الشيخ محمد الغزالي ... يعتبر بحق أحد شيوخ الدعوة الإسلامية الحديثة وفقهائها، يحمل تاريخ نصف قرن أو يزيد من العمل الإسلامي، وهو أحد معالم الحركة الإسلامية الحديثة ورموزها، رافق نشوء الحركة الإسلامية الحديثة في مصر، كما أنه شارك في رسم سياستها، وكان على مدى هذه الأعوام الطوال: العقل المفكر، والقلم المسطر، واللسان الناطق، حتى ليمكننا القول بأن مؤلفاته التي تشكل بمجموعها جانباً هاماً من مكتبة الدعوة الإسلامية الحديثة، يمكن اعتبارها سجلاً لتاريخ الدعوة الفكري إلى حد بعيد، وبذلك نستطيع أن نترسم الملامح الرئيسية للدعوة الإسلامية الحديثة وتطويرها من خلال هذه المؤلفات. ذلك أن فهمه للقضية الإسلامية لم يكن فهم مؤلفات وأوراق بعيدة عن دخان المعركة ومثار نقعها وجلبة سلاحها، وإنما جاءت كتاباته من أرض المعركة وبأحد أسلحتها..).

الأستاذ: عمر عيد حسنة.

- **نصف قرن من العطاء:**

(على مدى نصف قرن تحرك الغزالي بفكره الإيماني المؤثر، ورؤيته المقارنة الذكية وأسلوبه المتميز ذي النكهة العذبة، لكي يقول أشياء كثيرة، ويفصل الحديث في معضلات شتى، ويكتب عن هموم الإسلام والمسلمين، ويؤكد قيماً ويرفض أخرى، وعبر ألوف الصفحات التي كتبها ـ في هذا المدى الزمني الطويل ـ لم يكد يترك مسألة تتميز بحساسية ما في الساحة الإسلامية إلا ووقف عندها دارساً، متفحصاً، محللاً، ومتواصلاً ـ في نهاية الأمر ـ إلى حشد قيم من النتائج والمعطيات التي أغنت حركة الفكر الإسلامي المعاصر، وغذت مكتبته الناشئة ـ يومها ـ بالعديد من المؤلفات القيمة).

الدكتور عماد الدين خليل.

- **شخصية علمية متكاملة:**

(الشيخ الغزالي شخصية توافرت لها كل مقومات الشخصية العلمية، سواء كانت مقومات بيئية بعناصر المختلفة، أو مقومات جسمية، أو مقومات عقلية، أو مقومات نفسية خلقية).

الدكتور محفوظ عزام.

- **جهاد موصول يبتغي وجه الله:**

(عهدنا وعهد المسلمين جميعاً بفضيلة الشيخ محمد الغزالي، أنه يصدر في كل كلمة يخطها عن عقيدة راسخة إيمان ثابت ويقين عميق، وأنه منذ فجر شبابه يجاهد بقلمه وفكره من أجل إنهاض هذه الأمة، لا يدركه ملل، ولا يناله فتور، ويواجه مشكلات المسلمين بالرأي المدعوم بالحجة، والفكر المشفوع بالبرهان، والمنطق المصحوب بالدليل .. ولا يطلب على عمله الإسلامي أجراً، وإنما أجره على الله).

عبدالله حجاج.

- **أمة في رجل:**

(الشيخ محمد الغزالي .. أمة فر رجل .. عاش حياته كلها عبداً للحق وحده .. وحسبه عند الله درجة ـ ولا نزكيه على الله ـ أن اختاره إلى جواره وهو ينافح وسط ميدان الدعوة حتى النفس الأخير .. كما اختار له صحبة أهل البقيع وجواره مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم).

مجلة "المجتمع" الكويتية.

- **حياة الغزالي نموذج لأفكاره:**

(كانت حياة الشيخ محمد الغزالي نموذجاً لأفكاره الثابتة، فكان يقدم القدوة والمثل، ليس فقط فيما يكتب، وإنما أيضاً بما يمارسه في حياته الخاصة والعامة من تصرفات. وهذا الاتساق مع النفس هو ما يجعل الشيخ الغزالي يحقق المصداقية لدى كل من تعاملوا معه وعايشوه وقرأوا أفكاره وكتبه).

مجلة "سيدتي" اللندنية.

- **ضمير أمة:**

(فضيلة الشيخ الغزالي .. يمثل ضمير أمة. كان يحكم شرع الله في كل جوانب الحياة، ولكن بتحضر. لقد جمع بين رقة وعذوبة الأديب، وبين فقه وصفاء المتصوف الفقيه. لقد كان يملك القدرة، على احتواء قلب وعقل القارئ له. ويشهد له التاريخ بآرائه التي عبر عنها بشجاعة يحسده عليها الكثيرون).

الدكتورة عيلة الكحلاوي.

- **دقة الفكر ودقة الفهم:**

(كان الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ دقيق الفكر، دقيق الفهم، تتداعى الآيات والأحاديث على لسانه وكأنها طوع بناته. وكان ضد التطرف في كل شئ، فهو يرفض فرض

الإسلام بالقوة، كما يتصدى لمن يريدون إبعاد الإسلام عن الحياة. وقدم لنا مشروعاً حضارياً إسلامياً معاصراً، وكان من المجتهدين في ذلك).

الدكتور مصطفى محمود.

- **مفكر حر يحترم قيمة الإنسان:**

(الشيخ محمد الغزالي كان يحركه الإيمان بالله والأمانة في ممارسة الحياة، فقد كان رحمه الله مؤمناً بالله يجد حلاوة الإيمان في قلبه وتتجاوب في نفسه أصداء القرآن الذي صحبه طول عمره. وكان أيضاً مفكراً حراً شديد الاحترام لقيمة الإنسان، وشديد الإيمان بالحرية، وشديد الاقتناع بأن النهضة لا بد أن تقوم على أساس العلوم العقلية والنقلية معاً. وقد اتخذ طريقاً واحداً لممارسة أفكاره، فكان مجاهداً في سبيل ما يؤمن به، لا يلين ولا يحابي، ويستعلي على الترغيب والترهيب، ويترفع عن كل الأمور الشخصية والصغيرة).

الدكتور أحمد كمال أبو المجد.

- **الشاكر الصابر:**

(تقلب الدهر على الشيخ ـ رحمه الله ـ بنعمائه وبأسائه، فما لانت قناته، ولا تحولت قناعاته، فكان في كلا الحالين شاكراً وصابراً، لم تبطره النعمة، ولا تهنه من صرامته الأذى أو الحرمان .. لم تقعده شيخوخته ولا ضعف جسمه عن الضرب في الأرض مجاهداً في سبيل الله، معلماً لكتابه، ناشراً لدينه، مبتغياً من فضله، مقيماً للصلاة، مؤتياً للزكاة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مقرضاً ربه قرضاً حسناً، مقدماً بين يدي قدمته على خالقه ما هو واجده خيراً وأعظم أجرا).

محمد الجاهوش.

- **مثله لا يغيب إلا بجسمه:**

(مثل الغزالي لا يغيب عن الحياة إلا بجسمه، فمؤلفاته الرائعة ومواقفه الجهيرة، وسلوكه المثالي، قد كتب له في سجل الخلود صفحات تقرأها الأجيال، فتردد ذكره العاطر بألسنة الثناء والتقدير.

كان الغزالي مدينة حافلة ذات ميادين شتى، متعسة الأرجاء، فهو مؤلف بارع، ومجاهد صادق، وخطيب مؤثر، وعالم بأدواء المجتمع الإسلامي في شتى ربوعه).

الدكتور محمد رجب البيومي.

- **عالم واسع الأفق:**

(المطالع لآثار الشيخ الغزالي، مؤلفات ومقالات ومحاضرات وأحاديث، يستشعر بقوة سعة الأفق الذي يطل به على مختلف فروع العلم .. وأول ما يطالعه من خلالها جميعاً، تلك الموهبة الفنية التي تفرغ على تعابيره ألق البيان العفوي الجميل. فالقارئ المتذوق لهذا الضرب من البلاغة لا يسعه أن يمر بكتاباته دون أن يتوقف بين الحين والآخر ليتمتع وجدانه بتلك الصياغة الموفقة).

محمد مجذوب.

- **حجة الصحوة الإسلامية:**

(لئن كان أبو حامد الغزالي قد استحق لقب حجة الإسلام قديماً بما قدم في إحياء علوم الدين، فإن محمد الغزالي يستحق أن يلقب في عصرنا بحجة صحوة الإسلام، بما قدم للعقل المسلم من فقه وفكر مستنير، ومنهج تجديدي وفير).

الدكتور عبدالرزاق قسوم.

- **قدوة لمن يبحث عن قدوة:**

(الأستاذ الغزالي قدوة صالحة يتميز بالصدق في كل حال، مع الحاكم والمحكوم، بغير نظر إلى العواقب، فالصدق أولاً وأخيراً. والشيخ الغزالي قدوة صالحة لمن يبحث عن قدوة، ومثال يحتذى لمن يبحث عن البطولة والأبطال).

أسعد سيد أحمد.

- **ظاهرة فريدة في هذا العصر:**

(الشيخ الغزالي ظاهرة فريدة في هذا العصر .. وقد لفت نظري أن حب المسلمين . المؤمنين بالدعوة الحقة . لشيخنا ... قد شرق وغرب. وكنت أرقب ذلك عيون الناس وتصرفاتهم معي حين أذكر لهم أني من مريدي الشيخ وأتباعه، إذ كان بعضهم يحاول تقبيل يدي تبركاً وتيمناً بواحد ممن تلقى علمه على الشيخ).

الدكتور رمضان عبد التواب [١] [١].

ويقول الدكتور عبدالله العقيل: (لقد استفاد شباب الصحوة الإسلامية المباركة من علم الشيخ الغزالي وجرأته وصراحته، وصدقه ووضوحه، وكان له تلامذة في الأزهر في مصر وفي أم

---

(١) جميع ما سبق من الأقوال التي قيلت في الشيخ محمد الغزالي رحمه الله نقلتها من كتاب الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود. د. مسعود موسى فلوسي. ص١٣٤ إلى ١٣٩.

[١] جميع ما سبق من الأقوال التي قيلت في الشيخ محمد الغزالي رحمه الله نقلتها من كتاب الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود. د. مسعود موسى فلوسي. ص١٣٤ إلى ١٣٩.

القرى في مكة المكرمة وفي كلية الشريعة في قطر وفي جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية في الجزائر، ومن خلال الخطب والدروس والمحاضرات والندوات والكتب والمقالات، والاجتماعات والمؤتمرات.

وهؤلاء التلاميذ يعدون بالألوف من أنحاء العالم الإسلامي، وهم أوفياء لدعوة الإسلام حملوا الراية مع أستاذهم وشيخهم وانطلقوا يبلغون دعوة الله وينشرون رسالة الإسلام ويقودون الأمة إلى مواطن الخير والفلاح والنصر والنجاح.

وقد برز منهم أساتذة كبار وعلماء فحول، تقر بهم العيون وتعلق عليهم الآمال، ومن هؤلاء العلامة الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ مناع القطان [(١)] والدكتور أحمد العسال وغيرهم) [(٢)].

(١) هو الشيخ مناع بن خليل أبو محمد القطان . ولد في شهر أكتوبر من عام خمسة وعشرين وتسعمائة وألف في قرية شنشور مركز أشمون من محافظة المنوفية بمصر. وإلى قريته هذه ينسب الشيخ الشنشوري شارح (الرحبية) في علم الفرائض. نال الشهادة العالمية مع إجازة التدريس عام واحد وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد . اشتغل بالتدريس حتى وافاه الأجل سنة ١٤٢٠هـ . من مؤلفاته : مباحث في علوم القرآن . تفسير آيات الأحكام . الحديث والثقافة الإسلامية . الإسلام رسالة الإصلاح . موقف الإسلام من الاشتراكية وغيرها. مصدر هذه الترجمة :موقع ملتقى أهل الحديث ورابطه: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/index.php

(٢) من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة. ص٣٤.٣٣.

الفصل الثاني

منهج الشيخ محمد الغزالي في تقرير مسائل الاعتقاد

مقدمة :

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله : (وقد حاولت في أثناء الكتابة عن عقيدة المسلم أن أرطب جفاف التفكير العقلي برشحات من المشاعر الحيّة، ولم أتكلف لذلك إلا أن أجعل نصوص الكتاب والسنة نصب عيني [١]).

وهذا يعني أن الشيخ الغزالي رحمه الله استمد العقيدة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية فيقول: (ينبغي أن لا نتجاوز كتاب ربنا وسنة نبينا، فذاك نهج سلفنا الأول [٢]).

ولهذا يرى عدم تقديم شيء على الكتاب والسنة فيقول لمن يدعي النبوة: (نحن الآن في القرن الخامس عشر الهجري ونهايات القرن العشرين الميلادي وقد ورثنا رسالات شتى، ومن حقنا أن نوازن وأن نرجح، والحق أقول أني أمام تراث محمد من كتاب وسنة لا أقدم أحداً، أو بتعبير أقرب إلى الإنصاف، أصدقه حين يقول إن رسالته تمثل الوحي القديم والأخير معاً، وإن ما خلفه هو مزاعم بشر وليس وحياً سماوياً [٣]).

وفي موطن آخر يقول: (الخطة المثلى أن نتقبل ما ورد به الشرع، وألا نتكلف علم ما لم نطلب بعلمه مما يدق عن الإفهام [٤].

ويقول: (ليت المسلمين استمدوا عقائدهم تصوراً وتصويراً من القرآن وحده!

إذن لأراحوا واستراحوا.

إن بعض هواة الجدل لم يتورعوا عن كثرة اللفظ في قضايا العقيدة، فضلوا وأضلوا، ويشبه هؤلاء في الانحراف قوم غرتهم فلسفة اليونان وخيالاتهم النظرية، تحدثوا عن أصول

---

(١) عقيدة المسلم. ص٨. طبعة دار الدعوة. الطبعة الخامسة.

(٢) السنة النبوية بين أهل الحديث وأهل الفقه. ص١٧٦. طبعة دار الشروق.

(٣) من مقالات الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله. جـ٢. ص٣٨. جمع عبدالحميد حسنين حسن. الطبعة الثانية سبتمبر ٢٠٠٢م.

(٤) المحاور الخمسة للقرآن الكريم. ص١٣. دار الشروق سبتمبر ٢٠٠٢م.

الإيمان، فزادوا الطين بلة.. ولا عاصم من هذه المزالق كلها، إلا التزام المنهج القرآني، والسير في معالمه... [1]).

ويكتفي في تكوين العقيدة بالآيات المحكمات فيقول: (لم أجشم نفسي مشقة البحث في المتشابه، مكتفياً في تكوين عقيدتي وتربية نفسي وأداء حق ربي بالآيات المحكمات، فهن أم الكتاب لبابه..! [2]).

هذا وإن اعتبر الشيخ الغزالي رحمه الله السنة هي المصدر الثاني للعقيدة، إلا إننا نجده ينظر إلى سياق الحديث، فإن وافق ما فهمه من المعنى القرآني أخذ به. وإن لم يوافق معنى الحديث المعنى القرآني الذي فهمه لم يأخذ به وإن كان صحيحاً، يقول الدكتور محمد سيد أحمد شحاته: (الشيخ لا يهمه السند، ولا يعبأ بالمنهج الذي وضعه علماء الحديث، بل اعتمد على ذوقه وفهمه واستحسانه.

والشيخ يرد الحديث الصحيح لمخالفته لظاهر القرآن.

والشيخ يصحح الحديث الضعيف إذا وافق آية من كتاب الله أو أثراً من صحيحة) [3].

وهذا يعني أنه يرد بعض الأحاديث الصحيحة، ويأخذ ببعض الأحاديث الضعيفة يقول محمد سيد شحاته: (مواقف الشيخ الشيخ الغزالي رحمه الله كثيرة تجاه الأحاديث النبوية الصحيحة، والأحاديث الضعيفة، يأخذ منها ما يشاء، ويرفض منها ما خالف هواه، دون أن يستند في ذلك على قاعدة تذكر عند أحد من العلماء [4]).

ويقول الشيخ الألباني [5]: ... فهو لا يقبل الحديث الصحيح، ولو كان من المتفق على صحته عند المحدثين جميعاً إذا كان مضمونه غير مقبول عنده بسبب توهمه، وعلى العكس فهو يأخذ بالحديث الضعيف عندهم إذا كان معناه مقبولاً في نظره.. [6]).

---

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم. صـ١٣.

(٢) المحاور الخمسة للقرآن. صـ١٧.

(٣) موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله من السنة النبوية. جـ١ صـ٢٧٨.

(٤) موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله من السنة النبوية صـ٢٦٤.

(٥) الألباني هو : أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم. الأشقودري الألباني . والمتوفى في رجب "١٤٢٠هـ". وهو محدث الشام. له مصنفات وتآليف مشهورة كثيرة منها سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. وسلسلة الأحاديث الصحيحة. وكتاب إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. وكتب كثيرة.انظر تقديم سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٨/١) بقلم : محمد أيمن الشبرواي . الناشر: دار الحديث- القاهرة. الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٦) انظر: كتاب غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للألباني. ص ٥،٦.

- وذهب إلى أن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته تخالف غيرها فيقول: (ومخالفة الذات الإلهية لغيرها من المحدثات ظاهرة، والبداهة تقضي بأن بين المخلوق والخالق أمداً بعيداً، وأن الخالق لا يشبه شيئاً من خلقه، لا في ذاته، ولا في صفاته.
- وقد وصف الله عز وجل نفسه بصفات كثيرة، من الصعب إدراك حقيقتها على النحو الذي ندرك به أمورنا المعتادة، بل هذا مستحيل!.. [1]).

لهذا نجده يقرر بأنه يؤثر مذهب السلف على غيره في مسألة الصفات حيث يقول: (وأنا شخصياً أوثر مذهب السلف.. وأرتضى قبول الآيات والأحاديث التي تضمنت أوصافاً لله جل شأنه دون تأويل) [2].

- وفي الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى استخدم الشيخ الغزالي رحمه الله عدة أدلة على وجوده وهي: دليل الإبداع، والعناية، والحركة، والحدوث).
- ثم يلجأ الشيخ الغزالي رحمه الله إلى العقل عند فقدان الأدلة الثلاثة، وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، ويرى أن الدين عقل يحترم الدليل ويحتج، وما خالف العقل لا يكون ديناً [3].

ويرى أن أعظم مزية يمتاز بها الإسلام على غيره من الأديان السماوية:

(أنه جعل لـ"العقل" السلطان الأعلى في إدراك كل معنى في الوجود، ويأمرنا أن نحتكم إليه حتى في الإيمان بوجود الله ووحدانيته والإيمان بالرسل [4]).

ويستخدم الشيخ الغزالي رحمه الله الأمثلة العقلية كثيراً وذلك للوصول إلى الإقرار بوجود الله تعالى، وإثبات أن له الخلق والأمر، وما يتبع ذلك من آثار في نفس المسلم. فمثلاً اقرأ وهو يتحدث عن هذا العالم لم يخلق صدفة، ويوضح الترابط الموجود في الكون والتوافق في السماء والأرض في الغلاف الهوائي ويستدل بذلك على وجود الله تعالى حيث يقول: (إني أحياناً أسرح الطرف في زهرة مخططة بعشرات الألوان، ألتقطها بأصابع عابثة من بين مئات الأزهار الطالعة في إحدى الحدائق. ثم أسأل نفسي: بأي ريشة نسقت هذه الألوان؟ إنها ليست ألوان الطيف

---

(١) عقيدة المسلم. صـ٣٧.

(٢) عقيدة المسلم. صـ٣٩.

(٣) انظر كتاب نحو تفسير موضوعي لسور القرآن. صـ٤١٦،٢٧١. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق. الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ.

(٤) ظلام من الغرب. صـ٥٢. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الأولى أكتوبر ١٩٩٧م.

وحدها. إنها مزيج رائق ساحر من الألوان التي تبدو هنا مخففة وهنا مظللة، وهنا مخططة، وهنا منقطة. وأنظر إلى أسفل، إلى التراب الأعفر الذي اطلع على هذه الألوان، إنه . بيقين . ليس راسم هذه الألوان، ولا موزع أصباغها.

هل الصدفة هي التي أشرفت على ذلك؟ أي صدفة؟

إن المرء يكون غبياً جداً عندما يتصور الأمو ر على هذا النحو... [(١)]).

ويقول: (لماذا يطلب مني إذا رأيت ثوباً مخططاً أنيقاً . أن أتصور خيطاً قد دخل من تلقاء نفسه في ثقب إبرة، اشتبكت من تلقاء نفسها في نسيج الثوب، أو أخذت تعلو وتهبط صانعة الصدر والذيل والوسط والأكمام والأزرار، والفتحات والزركشة والمحاسن، إلخ؟!

إن إحالة الأمور على المصادفات ضرب من الدجل العلمي، يرفضه أولوا الألباب.. [(٢)]).

ثم يقول: (إن العالم مفتقر في إحداثه إلى سبب، وإن الأحياء محتاجة في وجودها إلى خالق. قيل: بل يجوز أن يتم ذلك من تلقاء نفسه.

وإذا كانت حركة المرور في القاهرة . مثلاً . تتطلب فرقة من الجنود لتنظيمها وإلا لسرت الفوضى في أرجائها، فهل يستغرب القول بقدرة منظمة مشرفة على الألوف المؤلفة من الكواكب السيارة في الفضاء؟

وهل يعتبر القول بأن المصادفات المخصصة هي التي تتولى هذا التنظيم.. هل يعتبر إلا لغواً ومجوناً؟ [(٣)]).

ورغم أن الشيخ الغزالي رحمه الله أقر بأنه يؤثر مذهب السلف في الصفات ، إلا أننا نجده يؤول بعض الصفات على غير طريقة السلف المعتبرة، حيث أقر تأويل صفة القَدَم كما أولها بعض علماء التأويل فيقول: (فأين القدم التي يمشي عليها في هذا السياق المبين؟

إن العقائد لا تخترع ولا تفتعل على هذا النحو المضحك! عقيدة رِجْل الله!!ما هذا؟ [(٤)]).

---

(١) عقيدة المسلم. صـ١٩.٢٠.

(٢) نفس المرجع . صـ٢٠.

(٣) نفس المرجع . صـ٢٧.

(٤) سر تأخر العرب والمسلمين. صـ٥٥. محمد الغزالي. مطبعة نهضة مصر. الطبعة السادسة مايو ٢٠٠٤م.

ولهذا نجده يمدح مذهب الأشاعرة في التأويل فيقول: (أما الأشاعرة فتنزيههم لله واضح، وثناؤهم عليه جميل، وقد اقتصدوا في التأويل، وسلكوا مسلكاً وسطاً جعل جماهير المسلمين تنضم إليهم من ألف سنة إلى اليوم[1]).

ثم اعتذر عن تأويلهم فقال: (إن المتكلمين من سلف وخلف اضطروا إلى التأويل في بعض جمل من الكتاب الكريم . والسنة كذلك . توفيقاً بينها وبين الآيات الأخرى، وتمشياً مع حكم العقل في إثبات الكمال كله لله تبارك اسمه، ونفي أي إيهام بما لا يليق![2]).

ويقول: (ما دام هناك من يعتنق مبدأ التأويل ويستمسك به، فليس من السائغ أن نرميه بالإفك ونسلخه من الملة كما يفعل الجهال[3]).

ويقول: (فإذا استحق الأشعري لوماً، لأنه أول آيات ومرويات ابتغاء تنزيه الله تبارك وتعالى فغيره كذلك ملوم ولا معنى لنهمش الرجل وحده لأسلوب المسعور الذي نراه الآن!!

هل يعني ذلك أننا مع الأشعري في منهجه؟

الحق أني مع السلف الأول من صحابة رسول الله، ومع دولة الخلافة الراشدة، التي لم تفتح باباً لهذه البحوث!.

وأنظر إلى ابن تيمية[4] والأشعري[5] على أنهما سواء في الإيمان الصحيح، والغيرة على الإسلام.

وما يأخذ الكاشحون على أبي الحسن عن الله فلا يثبت ولا ينفي، وهذا خطأ، وكان ينبغي أن يلتزم بقوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[الشورى:١١]. فيجزم بالنفي! كما يؤخذ عليه أيضاً نفيه للمجاز في القرآن وفي اللغة العربية كلها، إن علماء اللغة وأدباءها وشعراءها يبتسمون من هذا النفي الغريب...

---

(١) المصدر السابق. ص٥٦.

(٢) المصدر السابق. ص٥٦.

(٣) عقيدة المسلم. ص٤٩.

(٤) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ).

(٥) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ).

ولكن الهنات لا تنال من قدر إمام شامخ كبير العقل راسخ اليقين شديد البلاء، في نصرة الإسلام، ورد أعدائه [1]).

ومع أن الشيخ الغزالي رحمه الله يؤول،ويمدح الأشاعرة في تأويل الصفات إلا أننا نجده يذم علماء الكلام نتيجة للأسلوب الموجود في كتب هذا العلم فقال:(وقد كنت أرقب . عن كثب . ما تخلقه دروس التوحيد من كتبه المقررة، فما كنت أجد فارقاً يذكر . لدى السامعين . بينها وبين شروح المعادلات الجبرية مثلاً.

كلاهما ترويض للعقل بثبوت الصلة بالفؤاد، فكأن الطالب يذكر طائفة من الأدلة على الوجود الدائم "لواجب الوجود" [2]، ولا يستشعر في قرارة نفسه عظمة الخالق المتعال. أو يختلج في بدنه عرق من الرغبة أو الرهبة نحو من سوّاه، وألهمه فجوره وتقواه. أفهكذا تدرس العقيدة؟ [3]).

ثم يقول: (وقد كنت حريصاً على إصلاح علم الكلام [4]، حتى يمكن الانتفاع به في تربية الأمة على الإيمان.

إذا لا يمكن إصلاح جماعة خَرّب الإلحاد جوانبها الروحية، ولكن يظهر أن الغزو الثقافي كان أسرع مني في صرف الأجيال الناشئة عن هذا الميراث المهلهل، ولقد صرفها إلى الفراغ الذي خلقه، بل إلى الشكوك التي بثها في كل مكان، وهز بها حقائق الإيمان.. [5]).

وبناء على ما سبق اتضح لي بأن الغزالي رحمه الله ، استمد عقيدته من نصوص القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية المتواترة ، ثم يستخدم العقل أيضاً في الاستدلال على وجود الله. ومع هذا يقر بأنه يؤثر مذهب السلف في الصفات إلا أننا نجده أول بعض الصفات على طريقة الأشاعرة حيث امتدحهم في التأويل ، وينظر إلى ابن تيمية والأشعري على أنهما سواء في الإيمان الصحيح والغيرة على الإسلام . وعلى هذا أرى أنه أقرب إلى مذهب الأشاعرة من

---

(١) سر تأخر العرب والمسلمين. ص٥٧.

(٢) هو : الذي يقول وجوده من ذاته ولا يحتاج إلى شيء أصلاً . انظر : التعريفات للجرجاني (٢٤٩/١) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.

(٣) عقيدة المسلم. ص٨٧.

(٤) علم الكلام : علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام . انظر : التعريفات للجرجاني (١٥٦/١) .

(٥) كيف نفهم الإسلام. محمد الغزالي. ص١١٨. طبعة نهضة مصر. الطبعة الثالثة. مارس ٢٠٠٥م.

مذهب السلف وسيتضح لنا هذا من خلال عرضنا التفصيلي في مصادر الاستدلال عنده فيما يلي .

المبحث الأول: مصادر الاستدلال عند الشيخ الغزالي وموقفه منها وفيه مطالب:

١- القرآن الكريم[(١)] .

يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن القرآن الكريم هو (المصدر الأول لتعليم الإسلام،وهو من المصادر الأخرى بمنزلة الجذع من فروع الشجرة وثمارها)[(٢)] .

واستدل على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم:«فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه[(٣)] ».

فيرى أن كلام الله تعالى فوق كل كلام. وبذلك يكون القرآن الكريم هو: (قطب الإسلام، ومنبع شرائعه، والدستور الذي يعتمد الصدارة فيما يضم من توجيه وأدب، ووصايا وأحكام.

وقد تضمن أصول الإسلام. ومنه تؤخذ الصور العامة لما يرضاه الله لعباده في شئون حياتهم ، ومناحي تفكيرهم ، ومعالم سلوكهم[(٤)]).

---

(١) القرآن لغة: قال ابن فارس : (قري) القاف وَالراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع ، من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها .

ثم قال : ومنه القرآن، كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك[(١)]). انظر: معجم مقاييس اللغة . (٧٨/٥-٧٩)

وفي الاصطلاح: قال الطحاوي: (وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ،ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر:٢٦] فلما أَوْعَدَ الله بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[المدثر:٢٥] عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ) شرح العقيدة الطحاوية(١٢٧/١) لابن أبي العز الحنفي. تحقيق: أحمد شاكر الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية. والأوقاف والدعوة والإرشاد. الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٢) انظر: ليس من الإسلام ص٢٩ .

(٣) سنن الترمذي (٥/ ١٨٤حديث رقم ٢٩٢٦)،قال :هذا حديث حسن غريب ،وقال: الألباني : ضعيف .وسنن الدارمي (٤/ ٢١١٢) حديث رقم (٣٣٩٩) باب: فضل كلام الله على سائر الكلام . و شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٧٤حديث رقم(٥٥٧).

(٤) ليس من الإسلام ص٢٩. محمد الغزالي. طبعة مكتبة وهبة. الطبعة السادسة ١٤١١هـ.

(وهو عنده عبارة عن مجمع ما حفلت به من عقائد وعبادات وآداب ومعاملات ، وما استعرضته من قصص وبراهين ، ونظرات كونية ونفسية [(١)]).

واعتبر الشيخ الغزالي رحمه الله القرآن الكريم المصدر الأول لتقرير عقيدة الوحدانية حيث يقول: (والقرآن المصدر الأول ـ أو قل المصدر الأوحد ـ لتقرير الوحدانية، ولذلك وصف بأنه قويم الفكرة والتوجيه بريء مما لحق غيره من آفات [(٢)]).

وذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن القرآن الكريم هو: (الهداية الأولى للناس التي صدرت
عن الله محصية قواعد الحق وضمانات النجاة، فآيات هذا القرآن تحتوي على معالم الصراط المستقيم مثلما تحتوي آفاق الكون على أسرار العلم وقواه المذخورة للخلق.. [(٣)]).

ويؤكد الشيخ الغزالي رحمه الله أن القرآن الكريم حقيقة علمية ثابتة مثل الحقائق الكونية الدائمة، فيقول: (ونحن المسلمين نرى القرآن الكريم حقيقة علمية ثابتة كهذه الحقائق الكونية الدائمة، فهو هو منذ بدأ لم يزد حرفاً، ولم ينقص...!!

نقله جبريل عن الله بأمانة، ونقله كذلك محمد عن جبريل، ونقله الصحابة عن محمد، ثم تتابعت الجماهير الغفيرة، تنقله عبر القرون، حتى بلغت إلينا مثلما نزل أربعة عشر قرناً، وسنورثه عن غيرنا بهذه الهيئة المكتملة المصونة، وسيظل الحفظة يروونه للأعصار المقبلة إلى أن ينفض سرادق الحياة والأحياء، وينقلب الناس جميعاً إلى الله... [(٤)]).

ويقول: (إن هذا القرآن قد اختصه الله بالحفظ والخلود. فهو حقيقة محصنة من التحريف. وهو حقيقة تغالب الفناء وتغلبه ... [(٥)]).

طرق ثبوت القرآن الكريم عند الشيخ الغزالي رحمه الله:

يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن أخذ القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام، وانتشاره بين الناس بعد، ثبت بطريقين.

١. طريق التلقي والتواتر والاستفاضة:

(١) ركائز الإيمان بين العقل والقلب ـ محمد الغزالي. طبعة دار القلم. ١٤١٩هـ.

(٢) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ص٢٢٩ .

(٣) ليس من الإسلام ص٣٠ .

(٤) نظرات في القرآن ص٢٢ ـ محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الخامسة مايو ٢٠٠٤م.

(٥) نفس المصدر ص٢٢ .

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (فالنبي ﷺ يقرأ ما يجيئه من عند الله، والصحابة يسمعون منه بآذانهم فيعرفون منه حقيقة النظم القرآني، وأسلوب أدائه معاً، كأنواع المدود ومخارج الحروف وما إلى ذلك)[١].

ثم يقول: وهذا الضرب من التلقي لم ينتقل به القرآن الكريم من الرسول إلى أصحابه مرة واحدة أعقبها صمت طويل. كلا: فإن تكرار القراءة جعل تداول الوحي الأعلى أمراً مفروضا فالرسول يحفظه، وأصحابه الآخذون عنه يحفظونه، ثم يعود هذا المحفوظ إلى الظهور في الصلوات الموقوتة، فالرسول يقرأ والصحابة يستمعون.

وإذا أراد مسلم أن يتعبد، قرأ في جوف الليل، أو في وضح النهار، وإذا أراد أن يتغنى بالقرآن فعل، وإذا أردا أن يخطب به فعل، وإذا أراد أن يدرسه فعل، وهكذا. ما إن ينزل شيء من القرآن حتى تستوعبه الصدور، ثم تردده في كل أفق، لا في يوم أو عام: بل في قرابة ربع قرن، ولا مع رجل واحد، أو قبيلة واحدة. بل بين الألوف المؤلفة من الناس..!!

إن هذه الأشرطة الحية لم تكن فقط مستودعاً يحفظ القرآن لتتيسر عند اللزوم إذاعته، بل كانت تهدر بآيات الله آناء الليل، وأطراف النهار، في حلق الذكر ومجالس العلم، ومحاريب الصلاة، وخطب الجمع ، والمجامع العامة..!! وبهذا التواتر الرائع ثبت القرآن ثبوتاً لا مجال فيه لظنون أو أوهام[٢].

واستدل الشيخ الغزالي رحمه الله على ذلك بما قاله السيوطي[٣] : (والأمة كما هي متعبدة بفهم معاني القرآن وأحكامه، متعبدة بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من الأئمة القراء[٤] ، وهي الصفة المتصلة بالحضرة النبوية[١]). أي أنه لا يكفي الأخذ من المصاحف بدون تلق عن أفواه المشايخ المتفرغين للتلاوة..!

---

(١) نظرات في القرآن الكريم. صـ٢٣.

(٢) نفس المصدر. صـ٢٣.

(٣) السيوطي هو : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي. جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب ولد سنة (٨٤٩) كان يلقب بابن الكتب. لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب. ففاجأها المخاض. فولدته وهي بين الكتب! توفي سنة (٩١١) له مصنفات عديدة منها : الإتقان في علوم القرآن وإسعاف المبطإ في رجال الموطأ والأشباه والنظائر في العربية. والأشباه والنظائر في فروع الشافعية. وغيرها . انظر : الأعلام للزركلي (٣/٣١١)

(٤) الأئمة القراء منهم : نافع المدني : هو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نُعيم . مولى جَعُونة بن شعوب الليثي . حليف حمزة بن عبد المطلب . أصله من أصبهان . ويكنّى : أبا رويم . وقيل : أبا الحسن . وقيل : أبا عبد الرحمن . وتوفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء(٣/١٦٠) لشمس الدين الجزري. الناشر: مكتبة ابن تيمية الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر .

يدل على ذلك ما رواه الطبراني وغيره عن مسعود بن زيد الكندي، قال: (كان عبدالله بن مسعود يقرئ رجلاً، فقرأ الرجل الآية: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا ﴾ [التوبة: ٦٠] قراءة مرسلة خطف فيها المدود فلم يشبعها كما ينبغي، فقال عبدالله بن مسعود:ما هكذا أقرأنيها ثم تلاها مرة أخرى:﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ ﴾[التوبة: ٦٠]ومد الفقراء المد اللازم[٢]المعروف[٣]).

٢. الطريق الثاني هو الكتابة:

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (أن الكلام الإلهي كما استوعبته صدور الحفاظ استوعبته سطور الصحف..!!

كانت الآيات تنزل فيبادر الكتبة إلى تسجيلها، ويخطون في صحائفهم معالمها، وإن هذا التسجيل يجيء كتوثيقات العقود في عصرنا أي بعد تمامها علمياً أو عملياً والعرب أمة

وابن كثير المكّي : هو عبد الله بن كثير الداري . مولى عمرو بن علقمة الكناني . والداري العطار . ويكنى : أبا مَعْبَد . وهو من التابعين . وتوفي بمكة سنة عشرين ومائة انظر : غاية النهاية في طبقات القراء(١/٤٤٣) .

وأبوعمرو البصري : هو أبو عمرو ابن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحُصين بن الحارث وقيل اسمه : زبّان . وقيل : العريان . وقيل : يحيى . وقيل : اسمه كنيته . وقيل غير ذلك . وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة. انظر : غاية النهاية في طبقات القراء(١/٤٣٨) =

=وابن عامر الشامى : هو عبد الله بن عامر اليَحْصُبي قاضى دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك . ويكنى : أبا عمران . وهو من التابعين .وليس في القرّاء السبعة من العرب غيره . وغير أبي عمرو . وتوفي بدمشق سنة ثماني عشرة ومائة انظر : غاية النهاية في طبقات القراء(١/٤٢٥) .

وعاصم الكوفي : هو عاصم ابن أبي النجّود . ويقال له : ابن بَهْدَلة . وقيل اسم أبي النجود : عبد . وبَهْدَلة : اسم أمّه . وهو مولى نصر بن قعين الأسدي . ويكنى : أبا بكر . وهو من التابعين . لحق الحارث بن حسان وافد بني بكر . وتوفي بالكوفة سنة ثمان . وقيل : سنة سبع وعشرين ومائة. انظر : غاية النهاية في طبقات القراء(١/٣٤٧) .

وحمزة الكوفي : هو حمزة بن حبيب بن عُمّارة بن إسماعيل الزيات الفرضى التميمي مولى لهم . ويكنى : أبا عمارة . وتوفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومائة. انظر : غاية النهاية في طبقات القراء(١/٢٢١) .

والكسائي الكوفي : هو على بن حمزة النحوي . مولى لبني أسد . ويكنى : أبا الحسن . وقيل له : الكسائي ؛ من أجل أنه أحرم في كساء . وتوفي برَنْبُوية : قرية من قرى الري . حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة انظر : غاية النهاية في طبقات القراء(١/٥٣٥) .

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٢١٠) لشمس الدين الجزري.. المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ). الناشر: الطبعة التجارية الكبرى.

(٢) المد اللازم هو: أن يقع سكون أصلي – أي في الوصل والوقف – بعد حرف المد واللين أو بعد حرف اللين وحده في كلمة أو في حرف . وسمي لازما للزوم سببه في حالتي الوصل والوقف. أو للزوم مده عند كل القراء مدّاً متساوياً بمقدار ست حركات اتفاقاً سواء في الوصل أو في الوقف. انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري(١/٣٣٧)تأليف: عبد الفتاح بن السيد الشافعي . الناشر : مكتبة طيبة. المدينة المنورة. الطبعة : الثانية.

(٣) نظرات في القرآن ص٢٩.

أمية، بيد أن شيوع الأمية فيهم حتى ولو وصلت نسبتها إلى ٩٥% لا يبخس القلة الكاتبة حقها، ولا ينقص خطرها، فليس من الضروري لثبوت الكتابة أن تطبع ألوف النسخ من كتاب واحد، بل يكفي أن توجد جملة من النسخ المطابقة المتوافقة تتسق مع المحفوظ ويتم تسجيلها بإشراف النبي نفسه وجهد كتبة الوحي معه[١]).

ثم يستطرد الشيخ الغزالي رحمه الله فيقول: ولعل من الإشادة بخط الكتابة في نشر القرآن قول الله عز وجل في أول آيات أنزلت:﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق:١-٥] والذي يعنينا إظهار المدى الواسع الذي انتشرت فيه صحف الوحي، فإن القرآن المكتوب كان متداولاً في دائرة رحبه، وكان معروفاً في كثير من البيوت التي يتقن أصحابها الكتابة، وقد شرعت له أحكام فقهية خاصة، منها ألا يمسه جنب[٢] وألا يسافر به إلى أرض العدو[٣] المحارب مخافة امتهانه ، وكان للوحي كتاب مخصوصين، أشبه بالموظفين المنقطعين له يؤدون له واجب التدوين في السفر والإقامة، ويملي عليهم الرسول ما ينزل به الملك، ذاك عدا الذين يكتبون لأنفسهم ما يحفظونه أو ما ينقلونه. فلما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى كان القرآن كله محفوظاً في الصدور، وكان ذلك مثبتاً في السطور .. [٤]).

ومما يؤكد الشيخ الغزالي رحمه الله على تعدد مصادر الاستدلال واعتبار القرآن الكريم هو المصدر الأول من هذه المصادر أنه ردَّ على القرآنيين(٥) فقال: (ظهرت في هذه الأيام

---

(١) نفس المصدر . ص٢٧.

(٢) قال ابن قدامة المقدسي : مسألة: قال: ولا يمس المصحف إلا طاهر يعني طاهرا من الحدثين جميعا. روي هذا عن ابن عمر والحسن وعطاء وطاوس والشعبي والقاسم بن محمد وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي. ولا نعلم مخالفا لهم إلا داود فإنه أباح مسه. المغني (١٠٨/١) لا بن قدامة المقدسي . الناشر: مكتبة القاهرة بدون طبعة .

(٣) قال ابن قدامة المقدسي : ولا يجوز المسافرة بالمصحف إلى دار الحرب؛ لما روى ابن عمر. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو؛ مخافة أن تناله أيديهم.». المغني لابن قدامة (١١٠/١) .

(٤) نظرات في القرآن ص٢٧.٢٨

(٥) القرآنيون اسم أطلق على منكري السنة النبوية . وفكرة إنكار السنة ظهرت لأول مرة على يد الخوارج الذين رفضوا إقامة حد رجم الزاني ومسح الخفين وغيرها من التشريعات المنقولة رواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تكن مذكورة بالنص في القرآن الكريم .

أما في العصر الحديث فظهرت فكرة إنكار السنة في الهند في فترة الاحتلال الإنجليزي على يد أحمد خان الذي فسر القرآن بمنهج عقلي. ووضع شروطا تعجيزية لقبول الحديث مما جعله ينكر أغلب الأحاديث. ثم تلاه عبد الله جكرالوي في باكستان الذي كان يشتغل بدراسة الحديث. من ثم اصطدم بالعديد من الشبهات حوله. فتوصل في النهاية لإنكار كافة الحديث وأن القرآن هو ما أنزله الله على الرسول محمد. وأسس جماعة تسمى أهل الذكر والقرآن التي دعا من خلالها إلى أن القرآن هو المصدر الوحيد لأحكام الشريعة وألف في ذلك كتباً كثيرة. وتبنى نفس الفكر أحمد الدين الأمرتسري مؤسس

النكدات فرق من الناس تحمل أفكاراً مستغربة، لم تعرفها أمتنا في تاريخها الطويل، ولا تستقيم مع طبيعة الرسالة الخالدة التي عرفنا أصولها وفروعها ومصادرها! وما أجمع المسلمون عليه، وما اختلفوا فيه ، وما انعقد حوله شبه إجماع وما تساوي فيه . على وجه التقريب . وجهات النظر.

من أولئك الناس من تسموا أهل القرآن وهم ينكرون السنة إجمالاً وتفصيلاً، ويزعمون أن الإسلام يقوم على القرآن وحده ، وعلى ما تأخذه من أفهامهم منه) [(١)] .

وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن باطلهم ينكشف من ناحيتين فقال:

أولهما: أن العبادات الرئيسية في الإسلام أجملها الكتاب العزيز، وفصلتها سنن متواترة، فما نعرف نصلي مثلاً إلا من الأحاديث الشارحة لهيئات هذه العبادات وأوقاتها وأعدادها .. الخ.

واختراع عبادات أخرى غير ما تواتر بيانه في السنة جنون، وإنكار التواتر مدرجة لإنكار القرآن نفسه، فإن في إثباته على هذا التواتر الذي يريدون الإفلات منه !.

الثانية: أن محمدا عليه الصلاة والسلام أحق بشر بتبيين ما أنزل إليه، وأحق إنسان بأن يعرف تراثه كله من قول وفعل وحكم وتقرير وخلق وسيرة ! وإذا أهدرنا هذه الحياة الخصبة الزاكية فيجب أن تطوى صحائف العظماء كلهم، وألا تؤثر عن أحدهم كلمة!

إن محمداً ليس رسولاً عادياً! ولا قائداً يشبه قواد العالم المرموقين الجديرين بالدراسة والإعجاب والمتابعة والتأسي ! إنه أفق وحده لا يدانيه أفق!

ويوم تترك سيرة محمد وسنته فيجب إهالة التراب على تراث النبيين والحكماء من بدء الخلق إلى أخر الدهر!!

من هنا ندرك سر اتفاق الأمة على جعل الكتاب والسنة معاً المصادر الأولى للإسلام!

فإذا نجمت فتنة في هذا العصر تريد استبعاد السنة، فإن المقصود في الواقع إضاعة الكتاب والسنة جميعاً، والإتيان على الإسلام من القواعد) [(٢)] .

جماعة أمة مسلمة التي كان يدعو فيها لأفكاره. وأخيرا غلام أحمد برويز. ثم انتشرت أفكارها في مصر والسودان . انظر: كتاب شبهات القرآنيين حول السنة النبوية للأستاذ الدكتور : محمود محمد مزروعة.

(١) مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ص١٦١. محمد الغزالي. طبعة مؤسسة الشرق، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

(٢) انظر: مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ص١٦٢.١٦١ .

نـــــــــقد

يلاحظ على الشيخ الغزالي رحمه الله في هذا المصدر ما يلي:

١/ نجد الشيخ الغزالي رحمه الله وصف القرآن بعدة صفات ، منها: أنه الدستور الذي هو بمثابة الصدارة للتوجيه والآداب والوصايا وغيره. واعتبره مجمع حافل بالعقائد والعبادات والمعاملات... وهو الهداية الأولى للناس، وهو الحقيقة العلمية الثابتة، وهو المصدر الأول لتقرير الوحدانية واختصه الله بالحفظ والخلود[١] .

وهذه الصفات والخصائص قد وافق فيها السلف .

قال أبو جعفر[٢] : (فجعله لهم في دجى الظلم نورا ساطعا، وفي سدف الشبه شهابا لامعا، وفي مضلة المسالك دليلا هاديا، وإلى سبل النجاة والحق هاديا، ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة:١٦] حرسه بعين منه لا تنام، وحاطه بركن منه لا يضام، لا تَهي على الأيام دعائمه، ولا تبيد على طول الأزمان معالمه، ولا يجور عن قصد المحجة تابعه، ولا يضل عن سبل الهدى مصاحبه. من اتبعه فاز وهدى، ومن حاد عنه ضل وغوى. فهو موئلهم الذي إليه عند الاختلاف يئلون، ومعقلهم الذي إليه في النوازل يعتقلون، وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون، وحكمة ربهم التي إليها يحتكمون، وفصل قضائه بينهم الذي إليه ينتهون، وعن الرضا به يصدرون، وحبله الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون[٣]).

---

(١) انظر: ص ٥٦-٥٧ .

(٢) هو:محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. أبو جعفر الطبري .كان حافظاً لكتاب الله. بصيراً بالمعاني. فقيهاً في أحكام القرآن. عالماً بالسنن وطرقها. صحيحها وسقيمها. ناسخها ومنسوخها. عالماً بأحوال الصحابة والتابعين. بصيراً بأيام الناس وأخبارهم. مولده بآمل سنة أربع وعشرين ومائتين ومات عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة. واجتمع في جنازته خلق لا يحصون. له مصنفات عدة أعظمها تفسيره قال عنه الخطيب: لم أر مثله في معناه. انظر: طبقات المفسرين العشرين(٩٥/١) لجلال الدين السيوطي .تحقيق : علي محمد عمر . الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة .الطبعة: الأولى. ١٣٩٦

(٣) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبو جعفر الطبري (٦/١) دار هجر. تحقيق: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي. الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

وقال الشاطبي[1]: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾[الشورى:٢٥] فهو عليه الصلاة والسلام أول من هداه الله بالكتاب والإيمان ، ثم من اتبعه فيه والكتاب هو الهادي والوحي المنزل عليه مرشد ومبين لذلك الهدى والخلق مهتدون بالجميع[2].

ويسوق حسين بن غنام[3] النجدي الأحاديث والآثار التالية:

عن عبد الله قال: قال: رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه[4]». وروى من حديث حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك.

عن علي رضي الله عنه في نعت القرآن: "وهو صراط الله المستقيم وحبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم" الحديث. وقد رواه أحمد والترمذي بطوله[5] "

وقال مناع خليل القطان[6]: (وذكر بعض العلماء أن تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم. كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله:

---

(١) هو : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية.توفي سنة تسعين وسبعمائة. من كتبه : الموافقات في أصول الفقه والإفادات والانشادات . والاعتصام وشرح الألفية والاتفاق في علم الاشتقاق وغيرها .انظر:الأعلام للزركلي(٧٥/١).

(٢) الاعتصام (٢ / ٣٣٨) للإمام الشاطبي . تحقيق: سليم بن عيد الهلالي . الناشر: دار ابن عفان. السعودية .الطبعة: الأولى. ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م

(٣) هو الشيخ حسين بن غنّام النجدي الأحسائي المالكي من تلاميذ محمد بن عبد الوهاب .توفي بالأحساء سنة ١٢٢٥هـ. من تصانيفه: تاريخ نجد. العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين. روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام .انظر: معجم المؤلفين (٣١٧/٣/١) لعمر بن رضا كحالة.الناشر: مكتبة المثنى - بيروت. دار إحياء التراث العربي بيروت . وقد ترجم له ترجمة وافية محقق كتابه العقد الثمين الشيخ محمد بن عبد الله الهبدان في مقدمة الكتاب.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه . باب أخبار في فضائل القرآن جملة برقم(٢٠٤٠) المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم .تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا. الناشر:دار الكتب العلمية .بيروت الطبعة: الأولى. ١٤١١ - ١٩٩٠ . والبيهقي في شعب الإيمان . فصل في إدمان تلاوة القرآن برقم(١٨٣٢) شعب الإيمان لأحمد بن الحسين البيهقي تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي. صاحب الدار السلفية ببومباي الهند . الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. الطبعة: الأولى. ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٥) رواه الترمذي (٢٩٦٠) وأحمد (٩١/١) وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال .

(٦) سبقت ترجمته. ص٥٣..

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[النحل:٨٩] وقوله: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام:٣٨] [1]).

في هذه النصوص السابقة إشارة إلى أن القرآن الكريم مليء بكل ما اشتملت عليه العلوم ، وفي هذا اتفاق إلى ما أشار إليه الشيخ الغزالي رحمه الله بأن القرآن مجمع حافل بالعقائد والعبادات والمعاملات، وهو الحقيقة العلمية الثابتة[2] .

٢/ ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله طريقتين لثبوت القرآن الكريم وبلوغه إلينا وهما:

١. طريقة التلقي والتواتر.

٢. طريقة الكتابة.

وهو بهذا يتفق مع السلف .

قال الإمام أبو عمرو الداني[3]: (وجملة ما نعتقده من هذا الباب وغيره من إنزال القرآن وكتابته وجمعه وتأليفه وقراءته ووجوهه ونذهب إليه ونختاره أن القرآن منزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف وحق وصواب وأن الله تعالى قد خير القراء في جميعها وصوبهم إذا قرؤوا بشيء منها وأن هذه الأحرف السبعة المختلف معانيها تارة وألفاظها تارة مع اتفاق المعنى ليس فيها تضاد ولا تناف للمعنى ولا إحالة ولا فساد وأنا لا ندري حقيقة أي هذه السبعة الأحرف كان آخر العرض أو آخر العرض كان ببعضها دون جميعها وأن جميع هذه السبعة أحرف قد كانت ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضبطتها الأمة على اختلافها عنه وتلقتها منه ولم يكن شيء منها مشكوكا فيه ولا مرتابا به وأن القرآن لم ينزل بلغة قريش فقط دون سائر العرب وإن كان معظمه نزل بلغة قريش وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سن جمع القرآن وكتابته وأمر بذلك وأملاه على كتبته وأنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى حفظ جميع القرآن جماعة من أصحابه

---

(١) مباحث في علوم القرآن (١٦).

(٢) انظر : الرسالة صـ ٥٦ .

(٣) هو:الإمام الحافظ المجود المقرئ الحاذق عالم الأندلس أبو عمرو؛ عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم الأندلسي القرطبي ثم الداني ويعرف قديما بابن الصيرفي . إليه المنتهى في تحرير علم القراءات وعلم المصاحف مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو وغير ذلك. له مصنفات منها : التيسير و جامع البيان والأحرف السبعة للقرآن . وغير ذلك.توفي سنة ٤٤٤هـ وشيع جنازته خلق كثير. انظر : سير أعلام النبلاء(٣١٧/١٣).

وحفظ الباقون منه جميعه متفرقا وعرفوه وعلموا مواقعه ومواضعه على وجه ما يعرف ذلك اليوم من ليس من الحفاظ لجميع القرآن. (1)

وفي هذا النص إشارة إلى ما ذهب إليه الشيخ الغزالي رحمه الله في طريق التواتر والتلقي .

وفي صحيح البخاري : عن ابن السباق أن زيد بن ثابت الأنصاري ، رضي الله عنه ، وكان ممن يكتب الوحي قال أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن قال أبو بكر قلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل ، ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي ﷺ فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾[التوبة:١٢٨] إلى آخرهما وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر. (2)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:«لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي – قال همام أحسبه قال – متعمدا فليتبوأ مقعده من النار(3)».

وعند الطبراني: عن خارجة بن زيد بن ثابت ، أنه قال :(دخل نفر على زيد بن ثابت ، فقالوا: حدثنا بعض حديث حديث رسول الله ﷺ، فقال: وما أحدثكم ؟كنت جاره ،

---

(١) الأحرف السبعة للقرآن (٦٠) لأبي عمرو الداني. تحقيق: د. عبد المهيمن طحان . الناشر: مكتبة المنارة – مكة المكرمة . الطبعة: الأولى. ١٤٠٨.

(٢) أخرجه البخاري في باب قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) (٧١/٦) برقم (٤٦٧٩).

(٣) أخرجه مسلم في باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم .(٢٢٩٨/٤) برقم (٣٠٠٤).

فكان إذا نزل الوحي أرسل إلي ، فكتبت الوحي ، وكان إذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، فكل هذا أحدثكم عنه [1]).

وعند أحمد: عن علي قال: إن أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر الصديق، كان أول من جمع القرآن بين اللوحين[2].

وعند ابن أبي داود: عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر على القرآن أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: (اقعدوا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه[3]).

وإذا نظرنا إلى النصوص السابقة نجد أن الشيخ الغزالي رحمه الله يتفق مع ما ذهب إليه السلف في طريقة ثبوت القرآن بطريقة الكتابة .

٣/ وفي رد الشيخ الغزالي رحمه الله على القرآنيين(٤) أرى أنه لم يعتمد في رده على نصوص من السنة النبوية أو آثار من السلف(٥) ، بينما نجد أحاديث عن رسول الله ﷺ وآثارا عن السلف الصالح من المناسب ذكرها في هذا المقام، ومنها :

ما ساقه الإمام ابن ماجه في بداية سننه مجموعة من الأحاديث تبين مكانة السنة في التشريع الإسلامي وترد على القرآنيين وهذه بعضها:

عن أبي جعفر قال:(كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺحديثا لم يعده، ولم يقصر دونه[6]).

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نذكر الفقر ونتخوفه، فقال: «آلفقر تخافون؟والذي نفسي بيده، لتصبن عليكم الدنيا صبا، حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه، وأيم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء »قال

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٥ / ١٤٠).

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة: (٥١٣) (١ / ٣٥٤).

(٣) المصاحف لابن أبي داود (٥١) لأبي بكر بن أبي داود السجستاني .تحقيق : محمد بن عبده . الناشر: الفاروق الحديثة – مصر / القاهرة . الطبعة: الأولى. ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(٤) سبق التعريف بهم ص٦٥ . ٦٦ .

(٥) انظر كلام الشيخ الغزالي رحمه الله في هذا . ص٦١

(٦) أخرجه ابن ماجه:باب إتباع سنة رسول الله ﷺبرقم (٤) وصححه الألباني. سنن ابن ماجة .تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

أبو الدرداء: صدق والله رسول الله ﷺ:(تركنا والله على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء[١]) .

عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم كما حرم الله[٢]».

عن العرباض بن سارية السلمي قال نزلنا مع النبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه وكان صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا فأقبل إلى النبي –ﷺ– فقال يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا فغضب يعنى النبي ﷺ وقال: « يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن وأن اجتمعوا للصلاة ». قال فاجتمعوا ثم صلى بهم النبي – ﷺ – ثم قام فقال: «أيحسب أحدكم متكئا على أريكته قد يظن أن الله لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن ألا وإني والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر، وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم [٣]».

عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي –ﷺ– قال: « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه[٤]».

---

(١) أخرجه ابن ماجه: باب اتباع سنة رسول الله ﷺبرقم (٥) وحسنه الألباني. سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

(٢) أخرجه الترمذي باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ. برقم : (٢٦٦٤) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني. سنن الترمذي . تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١. ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤. ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية.١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

(٣) أخرجه أبو داود . باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات برقم : (٣٠٥٠). سنن أبي داود . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية. صيدا – بيروت.

(٤) أخرجه ابن ماجه. باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ. برقم : (١٣) وأبو داود. باب لزوم السنة . برقم : (٤٦٠٥) وهذا لفظه. والترمذي باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ. برقم: (٢٦٦٣) وصححه الألباني.

قال الإمام الشافعي: (لم أسمع أحدًا – نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم – يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباعُ أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والتسليم لحكمه؛ بأن الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد، لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا فرقة سأصف قولها إن شاء الله تعالى[1]).

وقال أبو محمد[2] بعد بيانه أن القرآن هو الأصل الأول:(لما بينا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه في الشرائع نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفا لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾[النجم:٣-٤] فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم على قسمين أحدهما وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن والثاني وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء وهو الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا قال الله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل:٤٤] ووجدناه تعالى قد أوجب طاعة هذا الثاني كما أوجب طاعة القسم الأول الذي هو القرآن ولا فرق فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩] فكانت الأخبار التي ذكرنا أحد الأصول الثلاثة التي ألزمنا طاعتها في الآية الجامعة لجميع الشرائع أولها عن أخرها وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩] فهذا أصل وهو القرآن ثم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

---

(١) الأم . كتاب جماع العلم (٢٨٧/٧) للإمام الشافعي. الناشر: دار المعرفة – بيروت. الطبعة: بدون طبعة . سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢) هو : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلثمائة في الجانب الشرقي منها. وكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه. مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة . وتوفي سنة ٤٥٦هـ . له العديد من المصنفات منها : المحلى والإحكام في أصول الأحكام وغيرها . انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان(٣٢٥/٣) لابن خلكان. تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: ٠. ١٩٠٠.

وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء:٥٩] فهذا ثان وهو الخبر عن رسول الله ﷺ ثم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء:٥٩]. فهذا ثالث وهو الإجماع المنقول إلى رسول الله ﷺ حكمه وصح لنا بنص القرآن أن الأخبار هي أحد الأصلين المرجوع إليهما عند التنازع قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء:٥٩] (١).

وقال رحمه الله: (والبرهان على أن المراد بهذا الرد إنما هو إلى القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ لأن الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا وإلى كل من يخلق ويركب روحه في جسده إلى يوم القيامة من الجنة والناس كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله ﷺ وكل من أتى بعده عليه السلام وقبلنا ولا فرق وقد علمنا علم ضرورة أنه لا سبيل لنا إلى رسول الله ﷺ وحتى لو شغب مشغب بأن هذا الخطاب إنما هو متوجه إلى من يمكن لقاء رسول الله ﷺ لما أمكنه هذا الشغب في الله عز وجل إذ لا سبيل لأحد إلى مكالمته تعالى فبطل هذا الظن وصح أن المراد بالرد المذكور في الآية التي نصصنا إنما هو إلى كلام الله تعالى وهو القرآن وإلى كلام نبيه ﷺ المنقول على مرور الدهر إلينا جيل بعد جيل) (٢).

وقال أيضا رحمه الله: (فليس في الآية المذكورة ذكر للقاء ولا مشافهة أصلا ولا دليل عليه وإنما فيه الأمر بالرد فقط ومعلوم بالضرورة أن هذا الرد إنما هو تحكيم وأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ موجودة عندنا منقول كل ذلك إلينا فهي التي جاء نص الآية بالرد إليها دون تكلف تأويل ولا مخالفة ظاهر) (٣).

وقال: (والقرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض وهما شيء واحد في أنهما من عند الله تعالى وحكمها حكم واحد في باب وجوب الطاعة لهما لما قدمناه آنفا في صدر هذا الباب قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾[الأنفال:٢] فبين تعالى بهذه الآية أنه لم يرد منا الإقرار بالطاعة لرسول الله

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١ / ٩٦ . ٩٨)لابن حزم الأندلسي الظاهري. تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر . قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس . الناشر: دار الآفاق الجديدة. بيروت.

(٢) نفس المصدر. ص(١ / ٩٦ . ٩٨).

(٣) نفس المصدر. ص(١ / ٩٦ . ٩٨).

بلا عمل بأوامره واجتناب نواهيه وهذه صفة المقلدين فإنهم يقولون طاعة رسول الله ﷺ واجبة فإذا أتاهم أمر من أوامره يقروه بصحته لم يصعب عليهم التولي عنه وهم ﷺ يسمعون نعوذ بالله من ذلك[1]).

وقال أيضا :(ولو أن امرأ قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن، لكان كافرا بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر؛ لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حد للأكثر في ذلك، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال[2]).

وقال الإمام الشاطبي[3] (..إن الاقتصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم خارجين عن السنة إذ عولوا على ما بنيت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شئ فاطرحوا أحكام السنة فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله[4]).

وقال ابن تيمية: (وهذه السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها[5]).

وما ذكرته من نصوص وآثار هي تدعيم لما ذهب إليه الشيخ الغزالي رحمه الله ، ولا يعني هذا أن الشيخ الغزالي رحمه الله اختلف مع السلف ، ومن النصوص السابقة الوارد ذكرها في أبي داود وابن ماجه والإحكام نجدها تؤكد على أهمية السنة ومكانتها ، وأنها مثل القرآن ، وهذا هو ما ذهب إليه الشيخ الغزالي رحمه الله .

---

(١) نفس المصدر. ص(١ / ٩٦ ـ ٩٨).

(٢) المصدر السابق (٢ / ٨٠) .

(٣) هو : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية.توفي سنة تسعين وسبعمائة. من كتبه : الموافقات في أصول الفقه والإفادات والانشادات . والاعتصام وشرح الألفية والاتفاق في علم الاشتقاق وغيرها .انظر:الأعلام للزركلي(١/٧٥)

(٤) الموافقات (٤ / ٣٢٥) للإمام الشاطبي. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الناشر: دار ابن عفان. الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥) مجموع الفتاوى(١٩/٨٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم . الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة النبوية. المملكة العربية السعودية .عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢- السنة [(١)].

(١) تعريف السنة في اللغة: قال ابن فارس:(سن: السين والنون، أصل واحد مطَّرد، وهو جريان الشيء واطّراده في سهولة. والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسنّه سنًّا، إذا أرسلته إرسالا) انظر: معجم مقاييس اللغة": (٣/ ٦٠. ٦١)

وتطلق السنة في اللغة على عدة معان ، منها :

١. الطريقة ، قال الجرجاني : (فالسنة في اللغة: هي الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية) انظر: تعريفات الجرجاني ص(١٢٢) . المحقق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: درا طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

٢. العادة: قال الجرجاني:(السنة لغة العادة) انظر: المصدر السابق ص(١٢٢) .

٣. السيرة قال ابن فارس : (ومما اشتق منه: السنة، وهي السيرة. وسنة رسول الله ﷺ: سيرته التي كان يتحراها.

وتطلق السنة في الشرع على عدة معانٍ،منها:

١- الشريعة، وبهذا المعنى جاء قولهم: الأولى بالإمامة الأعلم بالسنة، أي: بأحكام الشرع.

٢. وعند الفقهاء تفيد بأنها الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب. انظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (٣٠٢/٢) لعبد العزيز بن أحمد بن محمد. علاء الدين البخاري الحنفي الناشر: دار الكتاب الإسلامي . الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ. وإرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول(٩٥/١) للشوكاني. تحقيق : الشيخ أحمد عزو عناية. دمشق - كفر بطنا . قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور . الناشر: دار الكتاب العربي . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣- وتطلق السنة عند علماء أصول الفقه: على ما صدر عن النبي - ﷺ - من غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير. انظر: المصدر السابق.

٤- وعلماء الحديث يطلقون السنة في الأكثر: على ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير فهي مرادفة للحديث عند علماء الأصول وهي أعم منه عند من خص الحديث بما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام من قول فقط. انظر: توجيه النظر إلى أصول الأثر(٤٠/١) لطاهر بن صالح (أو محمد صالح) السمعوني الجزائري. ثم الدمشقيّ .تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة . الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية — حلب . الطبعة: الأولى. ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٥- كما تطلق السنة أيضا على ما يقابل البدعة كقولهم فلان على السنة. انظر: إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول(٩٥/١).

ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله فقد ذهب إلى أن السنة النبوية هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم فيقول:

(وما من شك في أن السنة هي الركن الثاني في الدين، والمصدر الذي يلي القرآن في التشريع[1]).

ويرى أن المسلمين متفقون على اتباع السنة ووصفها المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم فيقول: (إذا صح أن رسول الله ﷺ أمر بشيء أو نهى عن شيء فإن طاعته فيه راجية، وهي من طاعة الله،وما يجوز لمؤمن أن يستبيح لنفسه التجاوز عن أمر للرسول فيه﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾[النساء:٨٠] و﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾[الأحزاب:٣٦]).

ويرى أن السنة شارحة ومفصلة ومخصصة لما في القرآن الكريم فيقول: (والسنة التي تكون بهذه المتابعة في تقرير غايات القرآن المرسومة أو المفهومة أو التي تفصل مجمله وتوضح مشكله... تأخذ قسطاً كبيراً من عناية المسلمين، ومنزلتها من أدلة الأحكام الشرعية معروفة ..وهناك سنن أخرى تخصص أحكاماً عامة في القرآن[2]).

ويضرب الشيخ الغزالي رحمه الله أمثلة على ذلك:

. ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ﴾[النساء:١٠-١١] وبينت السنة أن الابن القاتل لا حظ له في ميراث.

---

(١) هذا ديننا ص٢٠٧. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق. الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ.

(٢) ليس من الإسلام ص : ٣٥ .

. وفي قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة:٣] بينت السنة أن هناك مباحين في كل هذه المحرمات: (أحلت لنا ميتتان ودمان: السمك والجراد، والكبد والطحال [(١)]).

. وفي قوله عز وجل: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾[المائدة:٣٨] .

بينت السنة أن ليس كل سارق يقطع. إذ لا قطع فيما دون النصاب المقرر، ولا قطع على جائع ينشد طعامه، ولا على مغصوب يسترد ما أخذ منه.

فإذا ثبت القطع، ففي اليمين، وعند الرسغ، كما بينت السنة..

وقد جاءت السنة بأحكام يسرت بعض العزائم التي أمر الكتاب العزيز بها.

فالقرآن مثلاً يأمر بغسل القدمين ويعد ذلك ركنا في الوضوء...وتنظيف الرجلين أمر لا بد منه في صحة الصلاة.

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل إذا أدخل قدميه طاهرتين في خفيه أو جوربيه ، فليس بضروري أن يعيد غسلهما كلما أراد الوضوء [(٢)] .

وبحسبه أن يمسح على ظاهرهما . فوق الحذاء أو الجورب . إشارة إلى الركن الذي لحقته الرخصة.

---

(١) سنن ابن ماجه باب صيد الحيتان. والجراد (٢/ ١٠٧٣حديث رقم ٣٢١٨) قال الألباني:صحيح. و مسند أحمد ط الرسالة (١٠/ ١٥حديث رقم٥٧٢٣) قال التركي: حديث حسن. وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح. سريج: هو ابن النعمان الجوهري اللؤلؤي.

(٢) قد يفهم من كلامه أنه مطلق ؛ والصواب أنه مقيد بالمدة التي حددت في الحديث عند مسلم في صحيحه عن شريح بن هانئ. قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين. فقالت: عليك بابن أبي طالب. فسله فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه فقال: «جعل رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر. ويوما وليلة للمقيم» صحيح مسلم باب التوقيت في المسح على الخفين (١/ ٢٣٢).

وهذا الذي صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر به ليس هوى جنح إليه: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ ﴾[النجم:٢-٣] إنما هو إرشاد الله له، وهو عمل يتسق مع قاعدة الإسلام الأولى في السماحة والتيسير وليس فيه أي تناقض مع تعاليم القرآن [(١)]).

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن (حديث الرسول الكريم إلى الناس فيما يتصل بشئون دينهم إذا لم يكن وحياً مباشر من الله، فهو مولد من حقائق القرآن التي أوحيت إليه واختلطت بفؤاده وعقله، والتي ينبعث عنها ويوجه غيره إليها.

ومن السذاجة تصور النبوة ترديدا مجردا لأخبار الملأ الأعلى.

أو تصور الرسول شخصاً لا يتكلم ولا يحكم ولا يفتي ولا ينصح إلا إذا همس في آذانه الملك بما يقول وبما يفعل...

إن الرسالة أجل من ذلك وأخطر.

والرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن أفعمت أقطار نفسه بهذا القرآن العظيم، وتشربت روحه ما أودع فيه من هدى وخير أصبح من ذاته ينطق بالحكمة، ويفسر القرآن.

يفسره بألوف من الأقوال والأعمال والتقريرات والإجابات التي نشأت عنه وتمت في حرارته وسناه...) [(٢)].

ويقول الشيخ الغزالي رحمه الله : (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا كله لا يمكن أن تكون إلا حقاً، لأنه إما أن يلهم الحق ابتداء . وهو لذلك أهل .، وإما أن يهدى إليه إذا اجتهد في أمر وفاته الصواب، فإن الوحي الأعلى لا يقره على خطأ. ومن هنا ينتفي . بتة . أن يكون في السنة النبوية ما يخالف القرآن، أو ما يسر في وجهة تضاد وجهته، إن معنى ذلك ابتداء كذب هذه السنن المنسوبة ، وغربتها عن الصراط المستقيم [(٣)]).

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن (تكذيب السنة على طول الخط احتجاجاً بأن القرآن حوى كل شيء بدعة جسيمة الخطر.

فإن الله عز وجل ترك لرسوله السنن العملية يبينها ويوضحها.

وقد ثبتت هذه بالتواتر الذي ثبتت به القرآن فكيف تجحد؟

---

(١) ليس من الإسلام ص٣٥.٣٦ .

(٢) هذا ديننا ص: ص٢٠٨.

(٣) نفس المصدر. ص: ٢٠٧.٢٠٨ .

بل كيف تُجحد وحدها ويعترف بالقرآن؟.

وكيف نصلي ونصوم ونحج ونزكي ونقيم الحدود، وهذه كلها ما أُدركت تفاصيلها إلا من السنة؟.

وإن إنكار المتواتر من السنن العملية خروج عن الإسلام ...

وإنكار المروي من السنن الآحاد ـ لمحض الهوى ـ عصيان مخوف العاقبة...

والواجب أن ندرس السنة دراسة حسنة، وأن ننتفع في ديننا بما ضمت من حكم وآداب وعظات...

وإن الولع بالتكذيب لا إنصاف فيه ولا رشد) [(١)].

ثم يقول: (وقد تعقبت طائفة من منكري السنن [(٢)] فلم أر لدى أكثرهم شيئا يستحق الاحترام العلمي.

قالوا: إن السلف اهتموا بالأسانيد وحبسوا نشاطهم في وزن رجالها.

ولم يهتموا بالمتون، أو يصرفوا جهدا مذكوراً في تمحيصها..

وهذا خطأ. فإن الاهتمام بالسند لم يقصد لذاته وإنما قصد فيه الحكم على المتن نفسه. ثم إن صحة الحديث لا تجئ من عدالة رواته فحسب، بل تجئ أيضاً من انسجامه مع ما ثبت يقيناً من حقائق الدين الأخرى، فأي شذوذ فيه، أو علة قادحة من نطاق الحديث الصحيح ...

على أن اتهام حديث ما بالبطلان مع وجود سند صحيح له، لا يجوز أن يدور مع الهوى، بل ينبغي أن يخضع لقواعد فنية محترمة.

هذا ما التزمه الأئمة الأولون، وما نرى نحن ضرورة التزامه [(٣)]).

ويبين الشيخ الغزالي رحمه الله أهمية الإسناد فيقول: (والإسناد ـ وإن شاع الجهل به الآن ـ إلا أنه شئ خطير في حقيقته وأثره. ولذلك قال العلماء: الإسناد من الدين ولولاه لقال من شاء ما شاء [(٤)] !!

---

(١) ليس من الإسلام ، ص ٣٩

(٢) وهم كل من يرى كفايته في القرآن الكريم وأنه المصدر الوحيد للتشريع كالقرآنيين ومن نحا نحوهم .

(٣) ليس من الإسلام ص٣٩-٤٠ .

(٤) قال مسلم في مقدمة صحيحه : (باب في أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة=

وذلك أن المسلمين متفقون على أن ما أمر به الرسول أو نهى عنه يجب أن نطيعه فيه.

فذاك حقه بل حق الأنبياء كلهم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾[النساء:٦٤] [1]).

وذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن السنة منها ما هو متواتر ومنها ما هو آحاد فيقول: (من السنة ما هو متواتر لا يقل في ثبوته عن القرآن الكريم نفسه كهيئات الصلاة مثلاً.

ومنها ما هو متواتر المعنى أي أن النقول تجئ بوقائع شتى وألفاظ متفاوتة، ولكن ينتظمها جميعاً قدر مشترك من المعاني..

ومنها ما جاء بأسانيد آحاد) [2].

. ثم يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن ما تواتر نقله من الأحاديث فله حكم القرآن في وجوب العمل به، وما صح عن رسول الله ﷺ لزمنا قبوله، وأنزلناه منزلته في الاستدلال والحكم حيث يقول: (إننا نعتقد . مثل كثير من العلماء المحققين . أن الأحكام التي توجد في الأحاديث الصحيحة فهي مأخوذة ومستنبطة من القرآن الكريم، استنبطها النبي عليه السلام من القرآن بتأييد إلهي، وبيان رباني، ولذلك يجب علينا قبولها والعمل بها بشرط ثبوتها عن النبي ﷺ ، وهذا الفهم والاستنباط يسمى في اصطلاح القرآن تارة (تبيينا) وتارة (إراءة)، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل:٤٣-٤٤]

وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾[النساء:١٠٥]) [3] .

= وقال حدثني محمد بن عبد الله بن قهزاذ من أهل مرو. قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك. يقول: «الإسناد من الدين. ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» صحيح مسلم (١/ ١٥).

(١) من مقالات الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله . ج١ . ص١١٨ .

(٢) نفس المصدر ج١ ، ص ١١٨

(٣) هذا ديننا ، ص ٢٠٧

. والشيخ الغزالي رحمه الله يرى أن العقائد أو أركان الإيمان تؤخذ من قطعي الثبوت وهو المتواتر عنده فيقول: (إن أركان الإيمان تؤخذ من نص قطعي الثبوت أي متواتر، قطعي الدلالة أي لا يحتمل معنى آخر [1]).

ويقول في موطن آخر: (ولا شك أن العقائد كلها وجمهرة الأحكام التي هي عماد الدين بلغت الناس بطرق مشهورة لا محل للجهل بها [2]).

. ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن خبر الآحاد لا يفيد القطع، وإنما يفيد الظن، ومجاله فروع الشريعة لا أصولها.

وأما العقائد فلا تؤخذ من خبر الآحاد، فيقول: (القول بأن أحاديث الآحاد تبني العقائد وتفيد اليقين، قول غير صحيح...

ولا يمكن بناء عقيدة على أحاديث الآحاد، خاصة وأن العقائد قد تكفل بها القرآن، وليست . عندنا . من صنع المجامع، كما هي في المسيحية، ولا من صنع مرويات أحادية إطلاقاً... ولكن يمكن أخذ أحاديث الآحاد في العقائد، شارحة أو مبينة لما تواتر في الكتاب والسنة [3]).

ويقول كذلك: (فكيف يقال في حديث الآحاد إنه يفيد عقيدة وهو لا يفيد حكماً بطريق اليقين؟ ولولا أن الأحكام الشرعية تؤخذ بالظن، ما كان يعمل بحديث الآحاد.. إنه يفيد الظن، ويؤخذ به لأننا إذا أتينا بشاهدين على القتل، هذا لا يفيد اليقين، لأنهما يحتمل أن يتواطآ على شيء.. فكيف يقال إن حديث الواحد يفيد اليقين؟ هذا كلام باطل..ونحن ليست لدينا عقيدة مأخوذة من حديث أبداً.. ولكن يمكن أن تؤخذ أحاديث الآحاد في العقائد إذا كانت شارحة القرآن مثل أحاديث عذاب القبر وثواب القبر، وما إلى ذلك.وهذا كلام موجود كله في القرآن،ولكن بطريقة القرآن في الإجمال،مثل قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأنعام:٩٣].

---

(١) سر تأخر العرب . ص:٥٥ .

(٢) من مقالا الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله . ج:١ . ص:١١٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١١٥

فماذا يعني اليوم، يعني أنه سيعذب اليوم ولن ينظر إلى يوم الساعة ويبقى هذا العذاب هو عذاب البرزخ، عذاب القبر.. وكذلك الثواب، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[آل عمران:١٦٩-١٧٠] [1]).

ويقول كذلك: (وكل أحاديث عذاب القبر وثوابه لا تغير عقيدة بذاتها ولكنها أفادت بعد أن مهد القرآن لها بحوالي خمس آيات قرآنية.. ولو فرضنا أن هناك من قال: إن ربنا لا ينزل إلى السماء الدنيا، بل يتجلى، فهذ ليست عقيدة، ولكنه يكشف معنى عبارة وردت في حديث الآحاد.. ولا يمكن أن نعتبر هذه عقيدة.. نزول الله ليس عقيدة [2]... هناك أشياء كثيرة وسنن في الآحاد ولكنها تفسير أو لبنات في البناء الإسلامي تؤخذ في حدودها.

وهذا ما مشى عليه المسلمون فما خالف اليقين من أحاديث الآحاد، مرفوض.. ولذلك، القراءات الشاذة برغم أنها جاءت بأحاديث صحيحة، لكنها مرفوضة لأنها خالفت المتواتر الذي يفيد علم اليقين [3]).

ثم يذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أسلوب المسلمين في تلقي خبر الآحاد فيقول: (بيد أن هناك أحكاما جاءت عن طريق سنن الآحاد. ونحن نريد أن ننظر بإنصاف وفي حياد تام إلى أسلوب المسلمين في تلقي هذه السنن.

هل هو أسلوب يتم بالمجازفة والتراخي أو هو أسلوب يتسم باليقظة والدقة؟ ونضرب مثلاً بالأخبار التي تذاع عن الرؤساء الكبار في عصرنا!

هب أن مستشاراً لرئيس دولة كبرى أدلى بتصريح عن رأي رئيسها في قضية ما فنقل هذا التصريح بأنه خبر يحتمل الصدق والكذب ولا يترجح إلى أحد الناحيتين إلا إذا عرفنا قيمة المصدر الذي أتى منه هذا النبأ.

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن ص: ١١٥. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة السادسة يوليو ٢٠٠٥م.

(٢) بل هي عقيدة . قال ابن قدامة : ومن السنة. قول النبي ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا»متفق عليه . ثم قال بعد أن أورد أدلة من السنة : فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته. نؤمن به. ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره. ولا نشبهه بصفات المخلوقين. ولا بسمات المحدثين. انظر : لمعة الاعتقاد(١١/١) لابن قدامة. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية . الطبعة: الثانية. ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٣) كيف نتعامل مع القرآن ص (١١٧) .

فإذا عرفنا أن الخبر نقلته الصحيفة بالفعل عن رجل الحاشية، عن مستشار الرئيس مباشرة.

وكان كل واحد من هؤلاء مشهوراً بأمرين: الضبط التام لما يسمع، والصدق التام فيما ينقل .. فما يكون رأينا في هذا الخبر أنصدقه أو نكذبه؟

الجواب أننا نتجه إلى تصديقه.

وذلك هو ما يطلب علماء المسلمين توافره في الخبر ليكون صحيحاً، ونقبل نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم . بل هم يزيدون أمرين آخرين[1].

لقد اطمأنوا إلى الخبر من ناحية مصدره، أعني الرواة الذين نقلوه، لكن الخبر نفسه ما هو؟ أنه قد يكون مخالفاً لما استقر بطريقة أوثق، فإذا كان مخالفاً عد شاذاً[2] ، ووقع التوقف فيه، ثم قد تكون هناك علل[3] أخرى خفية تتسرب إلى الحديث المروي فترتفع الثقة به ولا يعد الحديث صحيحاً إلا إذا برئ من سائر هذه العلل القوادح.

ثم ماذا بعد هذه الاشتراطات كلها؟

إن الحديث بعد أن نطمئن إلى سلسلة الرواة الذين نقلوه، وأنهم أمناء واعون، وإن كل واحد منهم تلقى عن الآخر تلقياً مباشراً، وأن ما نقلوه متفق مع ما علم من الدين بالطرق الأخرى وليست هناك علة فيه. هذا الحديث يفيد العلم الظني، أي أنه ليس مصدرا للعقائد الدينية وإنما مجال الأخذ به في الأعمال الشرعية الأخرى[4]).

---

(١) شروط الحديث الصحيح عند علماء الحديث هي : العدالة. وتمام الضبط. واتصال السند. وانتفاء الشذوذ. وانتفاء العلة. وهذه الشروط أجمع المحدثون أنها إذا اجتمعت في حديث أنه حديث صحيح . فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (١/ ٢٨) للسخاوي تحقيق: علي حسين علي . الناشر: مكتبة السنة — مصر . الطبعة: الأولى. ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣

(٢) تعريف الحديث الشاذ عند المحدثين .هو:(ما يخالف فيه الراوي من هو أرجح منه) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لإبن حجر العسقلاني (ص: ٥٩) حققه على نسخه مقروءة على المؤلف وعلق عليه: نور الدين عتر . الناشر: مطبعة الصباح. دمشق .الطبعة: الثالثة. ١٤٢١ هـ –٢٠٠٠م.

(٣) العلل جمع علة . والعلة عبارة عن سبب غامض قادح مع أن الظاهر السلامة منه. انظر: التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث (١/٤٤) للنووي. تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت . الطبعة: الأولى. ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م

(٤) من مقالات الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله ص:١١٨،١١٩ .

ثم يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن أحاديث الآحاد تحتوي على تفاصيل كثيرة فيقول: (إن أحاديث الآحاد تحتوي على تفاصيل كثيرة، وتتفاوت الأنظار في تقويمها سنداً ومتناً ومكانها الطبيعي في المجالس المتخصصة، وبين الأئمة الأصلاء في الفقه..

أما أن يتناولها العوام، ويستخلصوا منها أحكاماً، ويجعلوها محور الدعوة أو القنطرة إلى الإسلام فهذا عبث بالدين[1]!

ويقول الشيخ ليبين ما ذهب إليه أن أحاديث الآحاد تحوي تفاصيل كثيرة، وتتفاوت الأنظار في تقويمها: خذ هذا الحكم المقرر من مات من أولاد الكفار، فقد اختلف العلم فيهم على أربعة أقوال:

أحدها: أنهم في الجنة، واحتج من رأى ذلك بما رواه احمد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « المولود في الجنة[2] » وبما رواه البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام مع إبراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين[3] !

واختُلف بعد ذلك أيكونون خدماً لأهل الجنة أيكونون مثل غيرهم؟؟

القول الثاني: أنهم مع آبائهم في النار لما رواه أحمد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« هم تبع لآبائهم[4] ».

القول الثالث: التوقف في تحديد مصيرهم لما في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أطفال المشركين؟ فقال: « الله أعلم بما كانوا عليه[5] ».

القول الرابع: أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار!).

---

(١)مستقبل الإسلام خارج أرضه. صـ١٧٠.

(٢) عن حسناء. امرأة من بني صريم. عن عمها. قال: سمعت رسول الله □. يقول: " النبي في الجنة. والشهيد في الجنة. والمولود في الجنة. والوئيد في الجنة " مسند أحمد ط الرسالة (٣٤/ ١٩٠حديث رقم ٢٠٥٨٣) وقوله: "المولود في الجنة" هو الطفل والسقط. ومن لم يدرك الحِنث. أي: لم يبلغ من التكليف.

(٣) حديث صحيح. عن ابن عباس رضي الله عنه. قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين. فقال: «الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين» رواه البخاري (٢/ ١٠٠حديث رقم ١٣٨٣)

(٤) لم أجده حديثاً وإنما هو معنى من معاني الحديث السابق.

(٥) متفق عليه . البخاري . باب ما قيل في أولاد المشركين بلفظ (سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين. فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»برقم(١٣٨٤) ومسلم . باب معنى كل مولود يولد على الفطرة . برقم(٢٦٥٨).

ويقول: (هذه قضية غيبية من مسائل الآخرة تضاربت فيها أحاديث الآحاد على ما رأيت. فما العمل إذا كانت القضية من عالم الشهادة أو من مسائل العيش التي تعرض للناس كل يوم؟ أنجعل كل رأي دينا ندعو إليه؟ ونشاكس الآخرين عليه؟ أم نجعل الدعوة للأمور المقطوع بها، ونترك للناس حرية الاختلاف والاختيار فيما وراء ذلك[١] ..).

أسباب عدم الأخذ بخبر الآحاد في العقائد عند الشيخ الغزالي رحمه الله:

يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن هناك أسباباً لعدم اعتبار أحاديث الآحاد في العقيدة وهي:

١. أن الفرد قد ينسى أو يخطئ، فهو بشر، وقد تفاوتت كلمات الرواة في نقل حادثة تبعاً لذلك.

٢. يقول الغزالي رحمه الله إننا في شئون الدنيا نستوثق للحقوق بجعل شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين، فكيف نهبط بنصاب الثقة في شئون الدين؟ وإذا كان خبر العدل لا يثبت عشرة دنانير فكيف يثبت عقيدة قد تطيح عند جحدها الرقاب؟[٢] .

٣. يقول الغزالي رحمه الله : (رأينا من أسباب الخلاف الفقهي أن خبر الواحد ربما لم يصل إلى الأكابر، أو وصل إليهم ثم نسوه! فهل هذه القناة المحدودة تصلح مجرى لنقل العقائد الرئيسة التي يهلك من جهلها "تأكيد".

إن المفروض ابتداء أن تأخذ هذه العقائد طريقاً مستوعبة شاملة، لا يبقى معها جهل ولا غفلة)[٣] .

وشبه الشيخ الغزالي رحمه الله خبر الآحاد بتشبيه فقال: (إن خبر الآحاد تشبه في عصرنا حديثاً صحفياً مع رئيس الدولة، أما مصادر العقيدة الحقوق العامة فهي تشبه الدستور الذي ولد في الساحات العريضة، وتيسرت مواده كل مطلع...[٤]).

---

(١) مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ص:١٧٠،١٧١ .

(٢) دستور الوحدة ص٥٧ .

(٣) نفس المصدر. ص٥٧.

(٤) المرجع السابق ص:٥٧ .

٤. يقول الغزالي رحمه الله أن : (المتواتر مصون كلاً وجزءاً، أما أخبار الآحاد فقد تضمنت ما رفضه الأئمة الراسخون في العلم، لكون المعوذتين ليستا [١] من القرآن، أو أن سورة الأحزاب [٢] كانت في طول سورة البقرة ثم نسخت..

أو إن إرضاع الكبير يحرم [٣] كرضاع الصغار، أو أن لحديث الغرانيق [٤] أصلاً ما . ولو أصلاً ضعيفاً . أو أن الصائم يتناول البرد ولا يفطر. إن هذه المرويات حبر على ورق عند رجال الإسلام مع ورودها في كتب السنن!!

---

(١) هذا إشارة إلى ما رواه أحمد في مسنده (١١٧/٣٥) برقم(٢١١٨٨) قال: (حدثنا عبد الله حدثني محمد بن الحسين بن أشكاب. حدثنا محمد بن أبي عبيدة بن معن. حدثنا أبي. عن الأعمش. عن أبي إسحاق. عن عبد الرحمن بن يزيد. قال: كان عبد الله. " يحك المعوذتين من مصاحفه. ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله "). قال ابن حجر في الفتح(٧٤٢/٨) : (قال البزار: ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة . وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأهما في الصلاة. قلت . ابن حجر. هو في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر وزاد فيه ابن حبان من وجه آخر عن عقبة بن عامر فإن استطعت أن لا تفوتك قراءتهما في صلاة فافعل) وقال النووي في الجموع شرح المهذب(٣٩٦/٣): (أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن وأن من جحد شيئا منه كفر وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه) المجموع شرح المهذب للنووي طبعة دار الفكر بدون سنة نشر.

(٢) إشارة إلى ما رواه أحمد في مسنده (١٣٣/٣٥) برقم(٢١٢٠٦) قال: (حدثنا عبد الله. حدثني وهب بن بقية. أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان. عن يزيد بن أبي زياد. عن زر بن حبيش. عن أبي بن كعب. قال: كم تقرءون سورة الأحزاب؟ قال: بضعا وسبعين آية. قال: «لقد قرأتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البقرة. أو أكثر منها. وإن فيها آية الرجم») وفي مسند أبي دواد الطيالسي (٤٣٦/١) برقم(٥٤٢): قال: " إن كانت لتضاهي سورة البقرة. وإن كنا لنقرأ فيها: والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله ورسوله. فرفع فيما رفع ".مسند أبي داود الطيالسي. تأليف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي. الناشر: دار هجر – مصر. الطبعة: الأولى. ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

(٣) إشارة إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه . باب رضاعة الكبير (١٠٧٦/٢) برقم(١٤٥٣) من حديث عائشة. أن سالما. مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم. فأتت – تعني ابنة سهيل – النبي صلى الله عليه وسلم فقالت:(إن سالما قد بلغ ما يبلغ الرجال. وعقل ما عقلوا. وإنه يدخل علينا. وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم «أرضعيه تحرمي عليه. ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة» فرجعت فقالت: إني قد أرضعته. فذهب الذي في نفس أبي حذيفة . وبهذا الحديث استدل القائلون بتأثير الرضاع في الكبر . والمسألة مشهورة في كتب الفقه .

(٤) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (٥٣/١٢) برقم(١٢٤٥٠) :(عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ: " قرأ النجم فلما بلغ {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى} [النجم: ١٩] {وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم: ٢٠] ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن لترتجى فلما سجد سجد المسلمون والْمشركون. فأنزل الله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ} [الحج: ٥٢] إِلَى قَوْلِهِ: {عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} [الحج: ٥٥] . المعجم الكبير للطبري. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي= = دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة. الطبعة: الثانية. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره عند تفسير آية سورة الحج : (قد ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق . وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا . ولكنها من طرق كلها مرسلة . ولم أرها مسندة من وجه

والحق أن حديث الآحاد دليل محترم ما لم يكن هناك دليل أقوى منه وأولى بالقبول[1]).

مناقشة الشيخ الغزالي رحمه الله لحجج من يجعل أحاديث الآحاد حجة في العقائد:

ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله حجج من يرى قبول أحاديث الآحاد في العقائد كما يرى وناقشها فقال: (وأهل الحديث يرفضون هذا الكلام، ويجعلون حديث الآحاد حجة لا تقاوم. وقد يرى بعضهم أن السنة تنسخ القرآن، وهو رأي شاذ مرفوض[2].

ويقوم تفكيرهم على حجة قريبة سهلة: إذا ثبت أن رسول الله قال فلا اجتهاد لأحد ولا افتيات على المعصوم. بل قالوا: إن الحديث الضعيف فيه رائحة وحي، أما القياس فهو فكر بشر، وما يقدم فكر على وحي..!

وقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يرسل الأمراء. وهم آحاد. ويبعث برسله إلى الملوك. وهم آحاد. فينقلون عنه العقائد والشرائع جميعاً، فكيف تقع الريبة في خبر الواحد الثقة بعد هذا[3]؟!).

وبعد أن ذكر حجة من يأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد كما يرى، ناقشهم فقال: (وفي هذا الكلام جانب من الصواب لا يماري فيه مسلم.

فإذا ثبت أن النبي قال، فلا رأي إلا السمع والطاعة! ولكن أنى لنا الثبوت؟ إن الريبة في قيمة السند، هل يهب لنا يقيناً أم لا؟

وذلك موضوع النزاع.

صحيح . والله أعلم . ") تفسير القرآن العظيم لابن كثير. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(١) دستور الوحدة. ص:٥٧ .

(٢) قال الإمام الشافعي في الرسالة (١٠٦/١): (إن الله خلق الخلق لما سبق في علمه مما أراد بخلقهم وبهم. لا معقب لحكمه. وهو سريع الحساب. وأنزل عليهم الكتاب تبيانا لكل شيء. وهدى ورحمة. وفرض فيه فرائض أثبتها. وأخرى نسخها. رحمة لخلقه. بالتخفيف عنهم. وبالتوسعة عليهم. زيادة فيما ابتدأهم به من نعمه. وأثابهم على الانتهاء إلى ما أثبت عليهم: جنته. والنجاة من عذابه؛ فعمتهم رحمته فيما أثبت ونسخ. فله الحمد على نعمه. وأبان الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب. وأن السنة لا ناسخة للكتاب. وإنما هي تبع للكتاب. يمثل ما نزل نصا. ومفسرة معنى ما أنزل الله منه جملا) الرسالة. تأليف: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي .تحقيق: أحمد شاكر. الناشر: مكتبه الحلبي. مصر. الطبعة: الأولى. ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٩٨/٢٠) : (وبالجملة فلم يثبت أن شيئا من القرآن نسخ بسنة بلا قرآن) مجموع الفتاوى.

(٣) دستور الوحدة ص:٥٨ .

وترجيح الحديث الضعيف على القياس مردود، فإن هذا القياس يقوم على تعدية حكم شرعي ثابت في قضية ما إلى مشابهة أخرى كتحريم الإجارة وقت النداء يوم الجمعة قياساً على تحريم البيع وقت النداء[1] فأين هوى البشر هنا؟

وإذا كان البعض يشم من الحديث الضعيف رائحة الوحي، فإن آخرين يشمون منه روائح الوضع فلا لوم عليهم.

أما النبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل الأمراء والمعلمين وهم آحاد، ويكونون حجة على غيرهم فهذا حق والحكومات لا تزال تبعث السفراء آحاد، ونحن لا نزال نعين الأساتذة يدرسون للطلاب آحادا.

وخبر الواحد هنا له احترامه، لأن الملابسات التي تحيط به توفر ضمانات شتى، فإن سفير الدولة إن أخطأ في البلاغ لحقه ألف مصحح، وكذلك المدرس بين تلاميذه.

وقد قلنا: إن خبر الواحد مقبول في فروع الشريعة ومقبول في نقل ما تواتر أصله.

وعلى أية حال فإن العقائد في ديننا، تلقتها الأمة بأسانيد مفردة أو مزدوجة، بل تلقتها بالتواتر المؤسس للثقة المطلقة.

وما توجد في مصادرنا الثقافية عقيدة عبرت عن الأخلاف عن طريق الآحاد، ومن زعم ذلك فهو مختلق[2]).

وخلاصة الكلام في أحاديث الآحاد بالنسبة للعقائد : أن الشيخ الغزالي رحمه الله يرفض رفضاً جازماً أن يقبل أحاديث الآحاد في العقائد فيقول: (إنني آبى كل الإباء أن أربط مستقبل الإسلام كله بحديث آحاد مهما بلغت صحته، كيف أجازف بعقائد ملة شامخة الدعائم عندما أقول: لا يؤمن بها من لم يؤمن بهذا الحديث الوارد؟.

---

(١) قال ابن رجب :" المسألة الثالثة: في تحريم البيع وغيره مما يشغل به عن السعي بعد النداء. وقد حكى عن ابن عباسٍ تحريم البيع وغيره.وروى القاضي إسماعيل في كتابه (أحكام القرآن) من روايةٍ سليمان بن معاذ. عن سماك. عن عكرمة. عن ابن عباسٍ. قال: لا يصلح البيع يوم الجمعة حين ينادى بالصلاة. فاذا قضيت الصلاة فاشتر وبع. وبإسناده: عن ميمون بن مهران. قال: كان بالمدينة إذا نودي بالصلاة من يوم الجمعة نادوا: حرم البيع. حرم البيع. وعن أيوب. قال: لأهل المدينة ساعة. وذلك عند خروج الإمام. يقولون: حرم البيع. حرم البيع. وعن عمر بن عبد العزيز. أنه كان يمنع الناس من البيع يوم الجمعة إذا نودي بالصلاة. وعن الحسن وعطاء والضحاك: تحريم البيع إذا زالت الشمس من يوم الجمعة. وعن الشعبي. أنه محرمٌ. وكذا قال مكحولٌ. وحكى إسحاق بن راهويه الإجماع على تحريم البيع بعد النداء" . فتح الباري لابن رجب (٨/ ١٩٣) ولأنها عقد فيحرم كبقية العقود بعد النداء الأخير.

(٢) دستور الوحدة ص:٥٨.

أقول ذلك لأني وجدت في تجاربي، وفي قراءاتي ما يحتاج إلى إزالة الريبة وكشف الحق [1])

موقف الشيخ الغزالي رحمه الله من الأحاديث الضعيفة:

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (لا شك أن المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس سواء في قوته، منه القوى الذي يتلقاه العلماء بالقبول ثم يوزعونه على الأصول المناسبة له.

ومنه الضعيف الذي يتريثون طويلاً في وزنه، ومقارنته بغيره، وطريقة الإفادة منه..

قد تقول: ولم الحفاوة بهذه الآثار الضعيفة؟

والجواب: أن العاطفة الأولى تتجه إلى الإعزاز لكل ما فيه رائحة النبوة، أو لكل ما تتوهم فيه هذه الرائحة!

ومن علماء المسلمين من نفض يديه ابتداء من هذه الأحاديث الضعاف، ورفض الأخذ بها في أي شأن، وله في ذلك وجهة نظره المقدورة [2]).

وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله شروط العلماء الذين أعملوا الأحاديث الضعيفة للأخذ بها وهي كما يذكر:

(ألا تكون شديدة الضعف، وألا تتصل بالعقائد والأحكام، وألا تخرج عن الأصول الكلية المقررة [3]).

ثم بين الشيخ الغزالي رحمه الله بعد أن ذكر موقف العلماء من الأحاديث الضعيفة رأيه الشخصي فيها، وطريقته العلمية معها فقال: (والواقع أن الأحاديث الضعيفة مبتوتة الصلة بشئون الحياة العلمية، أو ذلك ما يجب أن يفهم فيها.

وما تداوله العلماء بينهم، وذكروا العامة بها إلا في مجال الدعوة والإرشاد. فإن طرق الوعظ والتذكير قد تتناول إيقاظ العواطف بالكلمات الحكيمة إيا كان قائلها، وبالأقاصيص اللطيفة ولو كانت مخترعة، وإذا جاز تحريك القلوب بهذا الأسلوب، جاز سوق الكلمات المنسوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحدود التى بيناها [4]).

---

(١) الطريق من هنا ص:٥٣. طبعة دار الشروق.

(٢) كيف نفهم الإسلام. ص:١٨٦.

(٣) نفس المصدر. ص:١٨٦.

(٤) نفس المصدر. ص:١٨٧.

قال في طريقة تعامله العملي مع الأحاديث الضعيفة: (وعندما اشتغلت لوعظ الجماهير كنت اجتهد في تأسيس المعاني على دعائم من الأحكام الصحيحة، والتوجيهات الصائبة، ثم أضع بعد ذلك هذه الأحاديث مواضعها التي تحمل فيها، ولا تحمل البتة في غيرها[1]).

وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله ما يشترطه لقبول الأحاديث الضعيفة فقال: (ثم إن هذه الأحاديث الضعيفة قد اشترط لقبولها اتفاقها مع مبادئ الدين الكلية، وقواعده العامة[2]).

ولأن بعض من الناس يقبلها دون أن يحاكمها إلى غيرها من النقول الثابتة، ولما حصل للجماعة الإسلامية من متاعب التي جاءت كما يرى من شيوع الأحاديث الضعيفة، ولما حصل عند الناس من إقبال عليها وحدها ودون نظر إلى غيرها من حديث صحيح فإن الشيخ الغزالي رحمه الله يرى أن (الخير إغلاق الباب أمام هذا العوج، وهجر الأحاديث الضعيفة جملة وتفصيلاً[3]..!).

---

(١) نفس المصدر. ص:١٨٧.

(٢) نفس المصدر. ص:١٩٠.

(٣) نفس المصدر. ص:١٩٠.

نـــــــقد

فيما يتعلق بالمصدر الثاني وهو السنة يلاحظ على الشيخ الغزالي رحمه الله ما يلي:

١/ اعتبر الشيخ الغزالي رحمه الله أن السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن وقد وافق السلف في هذا.

فقد ساق الإمام ابن ماجه في بداية سننه مجموعة من الأحاديث تبين مكانة السنة في التشريع الإسلامي وترد على القرآنيين وهذه بعضها:

عن أبي جعفر قال: كان ابن عمر (إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثا لم يعده، ولم يقصر دونه [(١)]).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ، ونحن نذكر الفقر ونتخوفه، فقال:«آلفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده، لتصبن عليكم الدنيا صبا، حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه، وأيم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء »قال أبو الدرداء: صدق والله رسول الله ﷺ : (تركنا والله على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء [(٢)]).

وعن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم كما حرم الله [(٣)] ».

وعن العرباض بن سارية السلمي قال نزلنا مع النبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه وكان صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا فأقبل إلى النبي ﷺ فقال يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا فغضب يعنى النبي - ﷺ - وقال: «يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن وأن اجتمعوا للصلاة ». قال فاجتمعوا ثم صلى بهم النبي ﷺ ثم قام فقال: «أيحسب أحدكم متكئا على أريكته قد يظن أن الله لم يحرم شيئا

---

(١) أخرجه ابن ماجه . باب اتباع سنة رسول الله ﷺ. برقم (٤) وصححه الألباني . سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٢) أخرجه ابن ماجه اتباع سنة رسول الله ﷺ. برقم (٥) وحسنه الألباني. سنن ابن ماجه.

(٣) أخرجه ابن ماجه: (١٢) والترمذي: (٢٦٦٤) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته(٥١٨/١)للألباني. الناشر: المكتب الإسلامي.

إلا ما في هذا القرآن ألا وإني والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر وأن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم [1] ».

وعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه [2] ».

قال الإمام الشافعي : (لم أسمع أحدًا – نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم – يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباعُ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتسليم لحكمه؛ بأن الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد، لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فرقة سأصف قولها إن شاء الله تعالى) [3] .

وقال ابن تيمية: (وهذه السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها) [4].

وقال ابن قدامة: (الأصل الثاني من الأدلة : سنة النبي صلى الله عليه وسلم

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة؛ لدلالة المعجز على صدقه، وأمر الله سبحانه بطاعته، وتحذيره من مخالفة أمره [5]).

---

(١) أخرجه أبو داود . باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا . برقم (٣٠٥٢) وضعفه الألباني . سنن أبي داود . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية. صيدا – بيروت.

(٢) أخرجه ابن ماجه . باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. برقم(١٣) وأبو داود . باب في لزوم السنة برقم: (٤٦٠٧) وهذا لفظه. والترمذي. باب ما نهي أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم. برقم (٢٦٦٣) وصححه الألباني.سنن الترمذي .تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة أبو عيسى الترمذي. تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١. ٢)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤. ٥).الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر. الطبعة: الثانية. ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

(٣) الأم. كتاب جماع العلم (٢٨٧/٧) للشافعي.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨٥/١٩) .

(٥) روضة الناظر لابن قدامة (٢٧٣/١). الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الثامنة ١٤٣٢هـ. ٢٠٠٢م.

٢/ اعتبر الشيخ الغزالي رحمه الله السنة شارحة ومفصلة ومخصصة لما في القرآن الكريم، وقد وافق السلف في هذا .

فعن شبيب بن أبي فضالة المالكي، قال: لما بني هذا المسجد- مسجد الجامع- إذا عمران بن حصين جالس، فذكروا عند عمران الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا النجيد، إنكم لتحدثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن؟ قال: فغضب عمران وقال لرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت صلاة العشاء أربعا، ووجدت المغرب ثلاثا، والغداة ركعتين، والظهر أربعا، والعصر أربعا؟! قال: لا، قال: فعمّن أخذتم هذا الشأن؟ ألستم عنا أخذتموه، وأخذنا عن نبي الله، صلى الله عليه وسلم ، ووجدتم في كل أربعين درهما درهما، وفي كل كذا شاة، وفي كل كذا بعيرا كذا؟ أوجدتم في القرآن هذا؟ قال: لا. قال: فعمّن أخذتم هذا؟ أخذناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخذتموه عنا.

وقال: وجدتم في القرآن: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[الحج:٢٩] أوجدتم: فطوفوا سبعا، واركعوا ركعتين من خلف المقام؟ أوجدتم هذا في القرآن؟ فعمن أخذتموه؟ ألستم أخذتموه عنا، وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذتموه عنا؟ قالوا: بلى.

قال: أوجدتم في القرآن « لا جلب ولاجنب ولا شغار في الإسلام؟»

أوجدتم هذا في القرآن؟ قالوا: لا.

قال عمران: فإني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول: «لا جلب[1] ولا جنب[2] ولا شغار[3] في الإسلام».

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية : الجلب يكون في شيئين: أحدهما في الزكاة. وهو أن يقدم المصدق على أهل الزكاة فينزل موضعا. ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها. فنهي عن ذلك. وأمر أن تؤخذ صدقاتهم على مياههم وأماكنهم. الثاني أن يكون في السباق: وهو أن يتبع الرجل فرسه فيزجره ويجلب عليه ويصيح حثا له على الجري. فنهي عن ذلك.انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(١/٢٨١) لابن الأثير الجزري. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي .الناشر: المكتبة العلمية – بيروت. ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية : الجنب بالتحريك في السباق: أن يجنب فرسا إلى فرسه الذي يسابق عليه. فإذا فتر المركوب تحول إلى المجنوب. وهو في الزكاة: أن ينزل العامل بأقصى مواضع أصحاب الصدقة. ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه: أي تحضر. فنهوا عن ذلك. وقيل هو أن يجنب رب المال بماله: أي يبعده عن موضعه حتى يحتاج العامل إلى الإبعاد في اتباعه وطلبه. انظر: المصدر السابق(١/٣٠٣).

(٣) قال ابن الأثير في النهاية : قد تكرر ذكره في غير حديث. وهو نكاح معروف في الجاهلية. كان يقول الرجل للرجل: شاغرني: أي زوجني أختك أو بنتك أو من تلى أمرها. حتى أزوجك أختي أو بنتي أو من ألي أمرها. ولا يكون بينهما مهر.

قال: سمعتم الله تعالى قال في كتابه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[الحشر:٧]،قال عمران: (فقد أخذنا عن نبي الله، صلى الله عليه وسلم أشياء ليس لكم بها علم.

قال: ثم ذكر الشفاعة، فقال: هل سمعتم الله تعالى يقول لأقوام: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[المدثر:٤٢-٤٨] قال شبيب: فأنا سمعت عمران يقول: الشفاعة نافعة دون ما تسمعون[(١)]).

٣/ وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله بأن النبوة إذا كانت ترديداً مجرداً لأخبار الملأ الأعلى فإن هذا يكون من السذاجة، وكذلك إذا تصور الرسول شخصاً لا يتكلم ولا يحكم ولا يفتي ولا ينصح إلا إذا همس في آذانه الملك بما يقول ويفعل... إن الرسالة أجل من ذلك وأخطر[(٢)].

ويفهم من كلام الشيخ الغزالي رحمه الله بأنه يعتبر أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول ويفعل من غير أن يأتيه الوحي وهذا القول أو الفعل اجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم فهل النبي يجتهد أم لا؟

الذي عليه علماء السلف أن النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد :

قال القاضي عياض[(٣)] اليحصبي: (أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم ، فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه، أو يكون منه على شك أو ظن، بخلاف أمور الشرع).

ويكون بضع كل واحدة منهما في مقابلة بضع الأخرى. وقيل له شغار لارتفاع المهر بينهما. من شغر الكلب إذا رفع إحدى رجليه ليبول. وقيل الشغر: البعد. وقيل الاتساع.انظر: المصدر السابق(٤٨٢/٢).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١ / ٢٥)للبيهقي.الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة:الأولى – ١٤٠٥هـ.

(٢) هذا ديننا. صـ٢٠٧.

(٣) هو: القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض القاضي العلامة عالم المغرب، أبو الفضل اليحصبي السبتي الحافظ: مولده بسبتة في سنة ست وسبعين وأربعمائة . قال ابن بشكوال: هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم استقضى بسبتة مدة طويلة حمدت سيرته فيها ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة فلم تطل مدته فيها وقدم علينا قرطبة فأخذنا عنه. وقال أيضا: توفي القاضي عياض مغربًا عن وطنه في وسط سنة أربع وأربعين وخمسمائة. قال ولده محمد: توفي في ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة من جمادى الآخرة ودفن بمراكش. له مصنفات عدة منها: "الشفاء في شرف المصطفى" وكتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك" وكتاب "العقيدة" وكتاب "شرح حديث أم زرع" وكتاب "جامع التاريخ"وغيرها . انظر: تذكرة الحفاظ (٦٧/٤) ترجمة رقم(١٠٨٣- ١٦/٥) للذهبي. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان. الطبعة: الأولى. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. وسير أعلام النبلاء(٢١٢/٢٠)للذهبي.

قال رافع بن خديج :(قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يؤبّرون النخل فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كما نصنعه ، قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت. فذكروا ذلك له فقال: « إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر[1] ».

وفي رواية أنس: « أنتم أعلم بأمر دنياكم[2] » وفي حديث آخر «إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن[3] » وفي حديث ابن عباس في قصة الخرْص[4] : فقال رسول الله ﷺ : «إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر، أخطئ وأصيب[5] » . وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا، وظنه من أحوالها، لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه، وسنة سنها.

وكما حكى ابن إسحاق: أنه ﷺ لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر: أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال: فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون. فقال: «أشرت بالرأي» وفعل ما قاله[6].

تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الناشر : مؤسسة الرسالة. الطبعة : الثالثة . ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٣٥حديث(١٤٠) باب وجوب امتثال ما قاله شرعا . دون ما ذكره ﷺمن معايش الدنيا على سبيل الرأي.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٣٦)حديث (١٤١) .

(٣) الحديث رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٣٦) حديث(١٣٩) .

(٤) قال ابن الأثير : خرص النخلة والكرمة يخرصها خرصا: إذا حزر ما عليها من الرطب تمرا ومن العنب زبيبا. فهو من الخرص: الظن؛ لأن الحزر إنما هوتقدير بظن. والاسم الخرص بالكسر. يقال كم خرص أرضك؟ وفاعل ذلك الخارص. وقد تكرر في الحديث. وفيه «أنه كان يأكل العنب خرصا» هو أن يضعه في فيه ويخرج عرجونه عاريا منه. هكذا جاء في بعض الروايات. والمروي خرطا بالطاء . وفي حديث علي«كنت خرصا» أي بي جوع وبرد. يقال خرص بالكسر خرصا. فهو خرص وخارص: أي جائع مقرور.انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/٢٢).

(٥) الحديث رواه الترمذي في السنن باب ما جاء في وصف الصلاة (٢/ ١٠٠حديث ٣٠٢).وقال: حديث حسن . وقال الألباني :صحيح.

(٦) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٨٢حديث ٥٨٠٢)، وقال الذهبي في تعليقه على المستدرك:أنه حديث منكر. وقال الألباني : (أشرت بالرأي. قاله للحباب بن المنذر في قصة بدر) ضعيف على شهرته في كتب المغازي. أخرجه العسكري في "تصحيفات المحدثين" (٢/ ٤٠٥) : أخبرنا أبو بكر بن دريد: أخبرنا أبو طلحة موسى بن عبد الله الخزاعي في "كتاب المغازي": أن النبي – ﷺ– لما نزل دون بدر؛ وأتاه خبر قريش. استشار الناس. فأشار عليه أصحابه. ثم قال الحباب بن المنذر: يا نبي الله! أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه. أم هو الحرب والمكيدة؟ قال:(بل هو الحرب والمكيدة). قال: فإن هذا ليس لك بمنزل. فانهض حتى نأتي أدنى قليب إلى القوم. فننزله. ثم

وقد قال الله تعالى له: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار.

فلما أخبروه برأيهم رجع عنه [(١)] . فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة، ولا اعتقادها، ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه، وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، قصيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية.

ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر.

وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها، لا في الكثير المؤذن بالعلة، والغفلة. وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها، وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر.

وأما ما يعتقده من أمور أحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم، ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا، فإنما أقطع له قطعة من النار [(٢)] »

نغور ما سواه من القلب. ثم نبني عليه حوضاً. ثم نقاتل القوم. فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (فذكره) . فنهض وسار حتى أتى أدنى ماء إلى القوم. وأمر بالقلب فغورت. وبني حوضاً على القليب.

=قلت: وهذا إسناد معضل. أبو طلحة الخزاعي من شيوخ النسائي. وقال: "لا بأس به". وروى عنه غيره من الثقات. فلا أدري لم قنع الحافظ بقوله فيه: "مقبول". ولم يوثقه!

وقد كنت أخرجت الحديث في تخريجي لكتاب "فقه السيرة" للغزالي من طرق أخرى. ومصادر أشهر وأعلى. وليس في شيء منها ما يتقوى الحديث به. وآثرت تخريجه هنا من هذا المصدر لعزته. وغرابة إسناده). انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٧/ ٤٥١حديث٣٤٤٨) للألباني.

(١) هذا إشارة إلى قصة حصار الأحزاب للمدينة . فأراد – الرسول صلى الله عليه وسلم – مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار ؛فقال له: سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه. وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعا. أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا "والله" ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فأنت وذاك". انظر الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام(٦/ ٢٠٩)لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي تحقيق: عمر عبد السلام السلامي.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب البيوع . باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت. فقضي بقيمة الجارية الميتة. ثم وجدها صاحبها فهي له. ويرد القيمة ولا تكون القيمة ثمنا (٩/ ٢٥) حديث رقم (٦٩٦٧)

ويجري أحكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن، بشهادة الشاهدين ويمين الحالف ومراعاة الأشبه، ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك [1]).

وقال الشاطبي [2]:(فإن الحديث إما وحي من الله صرف، وإما اجتهاد من الرسول عليه الصلاة والسلام معتبر بوحي صحيح من كتاب أو سنة، وعلى كلا التقديرين لا يمكن فيه التناقض مع كتاب الله؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وإذا فرع على لقول بجواز الخطأ في حقه؛ فلا يقر عليه ألبتة؛ فلا بد من الرجوع إلى الصواب، والتفريع على القول بنفي الخطأ أولى أن لا يحكم باجتهاده حكما يعارض كتاب الله تعالى ويخالفه [3]).

وقال الشوكاني [4] رحمه الله : (يجوز — الاجتهاد – لنبينا صلى الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء ، وإليه ذهب الجمهور ، واحتجوا :

١- بأن الله سبحانه خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم كما خاطب عباده ، وضرب له الأمثال ، وأمره بالتدبر والاعتبار ، وهو أجل المتفكرين في آيات الله ، وأعظم المعتبرين .

وأما قوله : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣ – ٤] فالمراد به القرآن ؛ لأنهم قالوا ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ ﴾ [النحل: ١٠٣] ، ولو سلم لم يدل على نفي اجتهاده ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم إذا كان متعبدا بالاجتهاد وبالوحي لم يكن نطقا عن الهوى ، بل عن الوحي.

٢- وإذا جاز لغيره من الأمة أن يجتهد بالإجماع مع كونه معرضا للخطأ ، فلأن يجوز لمن هو معصوم عن الخطأ بالأولى.

٣- ويدل على ذلك دلالة واضحة ظاهرة قول الله عز وجل :﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ [التوبة: ٤٣] فعاتبه على ما وقع منه ، ولو كان بالوحي لم يعاتبه .

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢ / ٤١٦ وما بعدها). الناشر: دار الفكر. ١٤٠٩هـ. ١٩٨٨م.

(٢) سبقت ترجمه صـ ٦٩.

(٣) الموافقات(٣٣٥/٤) للشاطبي.

(٤) هو : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن. من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان باليمن سنة (١١٧٣)هـ ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بهاسنة(١٢٥٠)هـ. وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا. منها : نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع والأبحاث العرضية وإتحاف الأكابر. انظر : الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨)

٤- ومن ذلك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي [(١)] » أي : لو علمت أولا ما علمت آخرا ما فعلت ذلك ، ومثل ذلك لا يكون فيما عمله صلى الله عليه وسلم بالوحي .

٥-وأمثال ذلك كثيرة :كمعاتبته صلى الله عليه وسلم على أخذ الفداء من أسرى بدر بقوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[الأنفال:٦٧] وكما في معاتبته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]إلى آخر ما قصه الله في ذلك في كتابه العزيز .

والاستيفاء لمثل هذا يفضي إلى بسط طويل ، وفيما ذكرناه ما يغني عن ذلك ، ولم يأت المانعون بحجة تستحق المنع أو التوقف لأجلها [(٢)]) انتهى، مختصرا.

وعلى كل حال فإنه صلى الله عليه وسلم إذا كان مبلغا لما أوحى الله إليه : فالعصمة حاصلة له ابتداء ، وإذا كان مجتهدا في حكمه صلى الله عليه وسلم : فالعصمة حاصلة له انتهاء ، لأن الله تعالى لا يقره على ما ليس بصواب ، وقد بين ابن تيمية رحمه الله تعالى ما يتعلق بمقام العصمة فقال : (والكلام في هذا المقام . العصمة . مبني على أصل: وهو أن الأنبياء – صلوات الله عليهم – معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه كما قال تعالى:﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[البقرة:١٣٦-١٣٧] بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء لله، ولهذا من سب نبيا من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل.

وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة...

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب الحج. باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت برقم(١٦٥١) ومسلم. كتاب الحج. باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع برقم (١٢١١).

(٢) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول(٢/٢١٨) للشوكاني.

ثم قال : والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين)[1].

ثم حرر رحمه الله تعالى نزاع الناس فيما لا يتعلق بتبليغ الرسالة فقال: وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع، هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع؟ ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها، أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها لا في فعلها؟ أم لا يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط؟ وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث أم لا؟

والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقا، والرد على من يقول إنه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول.

وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء، فإن القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسي بهم مشروع، وذلك لا يجوز إلا مع تجويز كون الأفعال ذنوبا، ومعلوم أن التأسي بهم إنما هو مشروع فيما أُقِروا عليه دون ما نُهوا عنه ورجعوا عنه، كما أن الأمر والنهي إنما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه، فأما ما نسخ من الأمر والنهي فلا يجوز جعله مأمورا به ولا منهيا عنه، فضلا عن وجوب اتباعه والطاعة فيه.

وكذلك ما احتجوا به من أن الذنوب تنافي الكمال، أو أنها ممن عظمت عليه النعمة أقبح. أو أنها توجب التنفير، أو نحو ذلك من الحجج العقلية، فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع، وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه، كما قال بعض السلف: كان داود – عليه السلام – بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة. وقال آخر: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلي بالذنب أكرم الخلق.

وفي الكتاب والسنة الصحيحة والكتب التي أنزلت قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما يتعذر إحصاؤه.

والرادون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية لنصوص الأسماء والصفات ونصوص القدر ونصوص المعاد وهي من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التي يعلم

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥ /٢٥٦ . ٢٦٠). دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ . ١٩٧٨م. واستعنت في هذا الفصل بكتاب (اجتهاد الرسول ﷺ) لعبد الجليل عيسى أبو النصر.

بالاضطرار أنها باطلة، وأنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه، وهؤلاء يقصد أحدهم تعظيم الأنبياء فيقع في تكذيبهم، ويريد الإيمان بهم فيقع في الكفر بهم [1].

كما بين رحمه الله عدم انتفاعهم بالعصمة في التبليغ لعدم إقرارهم بموجب ما بلغته الأنبياء، فقال : ثم إن العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والإجماع، وهي العصمة في التبليغ لم ينتفعوا بها إذ كانوا لا يقرون بموجب ما بلغته الأنبياء، وإنما يقرون بلفظ حرفوا معناه أو كانوا فيه كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، والعصمة التي كانوا ادعوها لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولا حاجة بهم إليها عندهم، فإنها متعلقة بغيرهم لا بما أمروا بالإيمان به، فيتكلم أحدهم فيها على الأنبياء بغير سلطان من الله، ويدع ما يجب عليه من تصديق الأنبياء وطاعتهم، وهو الذي تحصل به السعادة وبضده تحصل الشقاوة قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾[النور:٥٤].

والله تعالى لم يذكر في القرآن شيئا من ذلك عن نبي من الأنبياء إلا مقرونا بالتوبة والاستغفار، كقول آدم وزوجته: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف:٣٣] وقول نوح: ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[هود:٤٧] وقول الخليل – عليه السلام–:﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[الشعراء:٨٢] وقول موسى: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾. [الأعراف:١٥٥-١٥٦]وقوله: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف:١٤٣] [2].

وعدد رحمه الله بعض الأنبياء إلى أن قال:

وأما يوسف الصديق فلم يذكر الله عنه ذنبا فلهذا لم يذكر الله عنه ما يناسب الذنب من الاستغفار، بل قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[يوسف:٢٤]. فأخبر أنه صرف عنه السوء والفحشاء، وهذا يدل على أنه لم يصدر منه سوء ولا فحشاء [3]).

(١) نفس المصدر. (٥ /٢٥٦ . ٢٦٠).
(٢) نفس المصدر. (٥ /٢٥٦ . ٢٦٠).
(٣)نفس المصدر. (٥ /٢٥٦ . ٢٦٠).

وذكر ابن حزم بأنه : (يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أصلا بل ينبههم على ذلك إثر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم، وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل مع نبينا ﷺ في أمر زينب أم المؤمنين وطلاق زيد لها رضي الله عنهما وفي قصة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وربما ببعض المكروه في الدنيا كالذي أصاب آدم ويونس عليهما الصلاة والسلام. والأنبياء عليهم السلام بخلافنا في هذا فإننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه ولا بما قصدنا به وجه الله عز وجل فلم يصادف مراده تعالى بل نحن مأجورون على هذا الوجه أجرا واحدا) [1].

ثم استعرض الأنبياء من نوح وإبراهيم ولوط إلى أن قال: (وقال الله في يونس: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٧] وقال لنبينا ﷺ ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴾[القلم:٤٨-٤٩] فعلمنا يقينا أنه إنما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فعوقب بذلك وإن كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك إلا رضا الله عز وجل. وقد أخبر الله تعالى أنه استحق الذم لولا أن تداركه نعمة الله عز وجل وأنه استحق الملامة وأنه أقر على نفسه أنه كان من الظالمين ، ثم ذكر بعض الأنبياء كداود وسليمان مؤكدا على اجتهادهم[2]).

٥/ يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن تكذيب السنة.. بدعة جسيمة الخطر[3]، ومن الأولى أن يقال بأن الذي يكذب السنة قد خالف الدين، ومخالفة الدين كفر ، قال تعالى:﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

قال ابن جرير الطبري : (.. فليتق من يفعل ذلك منكم، الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله ﷺ إلا بإذنه، أن تصيبهم فتنة من الله، أو يصيبهم عذاب أليم، فيطبع على قلوبهم، فيكفروا بالله[4]).

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ٢ وما بعدها). ابن حزم الأندلسي. مكتبة الخانجي . القاهرة.

(٢)نفس المصدر. (٤ / ٢ وما بعدها).

(٣) ليس من الإسلام. ص٣٩.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن(٢٣١/١٩) لابن جرير الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة . الطبعة: الأولى. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

وقال الهروي [(١)] : عن أيوب السختياني أنه قال:(إذا حدثت الرجل بالسنة فقال دعنا من هذا حسبنا القرآن فاعلم أنه ضال [(٢)]).

وقال الأصبهاني [(٣)] : (عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: من بلغه حَدِيث فكذب به فقد كذب ثلاثة، كذب الله ورسوله، والذي حدثه) [(٤)].

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : (التكذيب بحديث رسول الله ﷺ نفاق)[(٥)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:(والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان يحدثون بأحاديث رسول الله ﷺ فيقوم أحدهم فينفض ثوبه يقول: لا إلا القرآن، وما يعمل من القرآن بحرف [(٦)]).

٦/ يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن : (من أنكر التواتر من السنن العملية خروج عن الإسلام، وأن إنكار المروي من السنن الآحاد لمحض الهوى. عصيان مخوف العاقبة [(٧)]) .

---

(١) الهروي هو : شيخ الإسلام الحافظ الإمام الزاهد، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مت الأنصاري الهروي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري، رضي الله عنه: ولد سنة ست وتسعين وثلاثمائة.كان سيفًا مسلولًا على المخالفين وجذعًا في أعين المتكلمين وطودًا في السنة لا يتزلزل وقد امتحن مرات . قال ابن طاهر: وسمعته يقول بهراة: عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي: ارجع عن مذهبك. لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك؛ فأقول: لا أسكت.توفي في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، وقد جاوز أربعًا وثمانين سنة.له مصنفات منها: ذم الكلام وأهله . وتفسير القرآن ومناقب أحمد وغيرها . انظر : تذكرة الحفاظ(٣/٢٤٩) ترجمة رقم(١٠٢٨- ١٤/٢٧) للذهبي . الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان. الطبعة: الأولى. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.وسير أعلام النبلاء(١٤/٣٦) للذهبي . الناشر: دار الحديث- القاهرة. الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢) ذم الكلام وأهله(٢/٥٦)لأبي إسماعيل الهروي. تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل. الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة . الطبعة: الأولى. ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

(٣) الأصبهاني هو :الحافظ الكبير شيخ الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التيمي الطلحي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة.إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه . ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة.توفي سنة خمس= =وثلاثين وخمسمائة . له مصنفات منها :الترغيب والترهيب . والحجة في بيان المحجة . وغيرها. انظر : تذكرة الحفاظ (٤/٥٠) ترجمة رقم(١٠٧٥- ١٥/٤٣) للذهبي . الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان. الطبعة: الأولى. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٤) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة(٢/٥٣٠) لإسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني. تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي . الناشر: دار الراية – السعودية / الرياض . الطبعة: الثانية. ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٥) المصدر السابق(٢/٥٣٠)

(٦) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة(٢/٥٣٠).

(٧) ليس من الإسلام. ص٣٦.٤٠.

وأرى أن الشيخ الغزالي رحمه الله بهذا يفرق بين المتواتر والآحاد بينما نجد أن السلف لا يفرقون بينهما في الحكم على من أنكرهما .

قال الإمام الشافعي :(وفي تثبيت خبر الواحد أحاديث، يكفي بعضُ هذا منها، ولم يزل سبيل سلفنا والقرونِ بعدهم إلى من شاهدنا هذا السبيل ، وكذلك حُكي لنا عمن حُكي لنا عنه من أهل العلم بالبلدان[1]).

وقال النووي (والآحاد إنما تفيد الظن على ما تقرر ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك ، وتلقى الأمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما وهذا متفق عليه ، فان أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها إذا صحت أسانيدها ولا تفيد إلا الظن فكذا الصحيحان وإنما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحا لا يحتاج إلى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقا وما كان في غيرهما لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فيهما إجماعهم على أنه مقطوع بأنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم[2])

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله ابن القيم : (وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه ، لكن تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له ، وساق أدلة على ذلك ثم قال : فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد من الأولين والآخرين ، أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع[3]).

٧/ والشيخ الغزالي رحمه الله يفرق في السنة بين المتواتر والآحاد، واعتبر أن المتواتر يفيد القطع وأن العقائد لا تؤخذ إلا منه، بينما الآحاد عنده تفيد الظن ولا تؤخذ العقائد منها وإنما مجالها فروع الشريعة.

وهو بهذا خالف منهج السلف حيث ذهبوا إلى الأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد إذا صحت ولم يفرقوا بين المتواتر والآحاد في ذلك .

---

(١) الرسالة(٤٥٣) للشافعي. تحقيق: أحمد شاكر . الناشر: مكتبه الحلبي. مصر . الطبعة: الأولى. ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(٢٠/١)للنووي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت . الطبعة: الثانية. ١٣٩٢.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة(٥٦٠/١) مؤلف الأصل: ابن قيم الجوزية. اختصره: محمد بن محمد شمس الدين. ابن الموصلي تحقيق: سيد إبراهيم. الناشر: دار الحديث. القاهرة – مصر . الطبعة: الأولى. ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

. فقد ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله من الأنصار، وأنه «صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم» فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت[1].

قال الإمام الشافعي : (ولم يكونوا ليفعلوه – إن شاء الله – بخبر إلا عن علم بأن الحجة تثبت بمثله، إذا كان من أهل الصدق. ولا ليحدثوا أيضا مثل هذا العظيم في دينهم إلا عن علم بأن لهم إحداثه، ولا يدعون أن يخبروا رسول الله بما صنعوا منه، ولو كان ما قبلوا من خبر الواحد عن
رسول الله في تحويل القبلة، وهو فرض: مما يجوز لهم، لقال لهم – إن شاء الله – رسول الله: قد كنتم على قبلةٍ، ولم يكن لكم تركها إلا بعد علم تقوم عليكم به حجة من سماعكم مني، أو خبر عامة أو أكثر من خبر واحد عني[2]).

ولا شك أن في هذا قبول خبر الواحد في تحويل القبلة والصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة دون تردد أو استفسار .

. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل رسلا أفرادا على هرقل ملك الروم وقيصر ملك الفرس وملك عمان وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام عقيدة وشريعة وقد علم بالضرورة أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

وقد قال في رسالته إلى هرقل " أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين [3]"

قال الشيخ سليم الهلالي : (وما ذلك إلا لأن الرسول يعلم أن الناس تبع لساداتهم ، وأن شأن الناس التقليد ، والقليل الذي يستقل بالبحث والنظر ... لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الحديث متفق عليه . البخاري في باب الصلاة من الإيمان برقم(٤٠) ومسلم في باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة برقم (٥٢٥).

(٢) الرسالة للشافعي (١/٤٠٧-٤٠٨).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام (١٠٩/٦).

قال في كتابه : فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ... أي إن أعرضت ولم تقبل ما أرسلت لك به ، وهذا رفض الخبر بالإسلام ابتداء ، وإلا كيف تقام الحجة على المخالفين الذين يرفضون الخبر بالإسلام إذا كان المراد بقيام الحجة عليهم الدليل القطعي وإن إرسال الرسل تترى لا يفيد ذلك فإن الذي يرفض الخبر بالإسلام لا يمكن أن تقام عليه الحجة أبدا لأنه أغلق باب البحث والنظر والاستدلال ابتداء ، ومثل بهذه السفسطة كمثل رجل ذهب يطوف آفاق الأرض يدعو إلى الله ولكنه بعدما يبلغهم الإسلام يقول لهم : إني واحد لا تقوم بي الحجة عليكم فيكون كالتي نقضت غزلها بعد قوة أنكاثا ، أو أنه بلغ الناس وعلمهم أن أحاديث الآحاد لا تقوم به الحجة في العقيدة فقيل له : إذن لا نؤمن لك حتى تأتي بجمع يؤمن تواطؤهم على الكذب .

ثم قال : واعلم أن الاحتجاج بخبر الآحاد في العقائد والأحكام هو الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام لا نعلم خلافا وقع في احتجاجهم به في العقائد ولو وقع لنقل كما نقل في الأحكام كقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أبي موسى الأشعري في مسألة الاستئذان [(١)].

. تجلى قبول خبر الآحاد في العقائد والأحكام في حديث ضمام بن ثعلبة لما بلغ قومه ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد ،دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد . والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم ، فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ ، فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : ابن عبد المطلب ، فقال له النبي ، قد أجبتك ، فقال الرجل للنبي : إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك ، فقال : سل عما بدا لك ، قال الرجل ك أسالك بربك ورب من قبلك ، آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم ، قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال : اللهم نعم . قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : اللهم نعم . قال : أنشدك آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي : اللهم نعم .

---

(١) الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد ص ٤٧ وما بعدها .

فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر"[1] .

قال الإمام النووي في شرح مسلم : وفي هذا الحديث العمل بخبر الواحد[2] .

وقال الحافظ ابن حجر في شرح صحيح البخاري : (وفي هذاالحديث العمل بخبر الواحد ، ولا يقدح فيه مجيء ضمام مستثبتا ، وقد رجع ضمام إلى قومه وحده فصدقوه وآمنوا [3]).

وقال الإمام ابن تيمية : (والسلف الصالح يحتجون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسائل الاعتقاد كما يحتجون بها في الأحكام الشرعية ، ولم يكن معروفا عندهم تقسيم الشرع إلى مسائل علمية وإلى أصول وفروع ، كما لم يكن عندهم الاحتجاج بأخبار الآحاد في مسائل الفروع دون مسائل أصول الدين كما فعل المتكلمون[4]).

وبهذا يندفع القول بأن أحاديث الآحاد لا يحتج بها في العقائد ، والله أعلم .

. والقول أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم اليقيني وردها في باب العقائد هو عمل أهل الكلام وهي شبهتهم ، وقد رد عليهم أهل السنة قديما وحديثا ومن ذلك ما يلي :

١- قال السجزي[5] : (هذه الأخبار التي وقع الخلاف فيها لا يخلو من أن يكون صدقاً ، أو كذباً. فإن كانت صدقا، وجب المصير إليها، وإن كانت كذباً لزم تركها.

ووجدنا رواة هذه الأحاديث أئمة المسلمين وصدورهم وعلماءهم وثقاتهم خلفاً عن سلف، وهم من أهل العدالة الظاهرة، والمرجوع إليهم وإلى فتاويهم في الدماء والفروج، كسفيان الثوري، ومالك بن أنس الأصبحي، وحماد بن زيد الأزدي، وسفيان بن عيينة الهلالي، وعبد الله بن المبارك المروزي، وأمثالهم.

وفي طبقة كل من قبلهم وبعدهم من حاله في العلم والعدالة كحالهم، فغير جائز أن يكذب خبرهم.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب ما جاء في العلم (١٤٨/١). صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الإيمان باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين (١٦٩/١) .

(٢)شرح النووي على مسلم (١٧١/١).

(٣)فتح الباري (١٥٣/١) .

(٤)درء تعارض النقل والعقل لابن تيمية (٢٦/١).

(٥) و:عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري. أبو نصر: من حفاظ الحديث. أصله من سجستان. ونسبته إليها على غير قياس. سكن مكة وتوفي بها سنة أربع وأربعين وأربعمائة. له كتب. منها " الإبانة عن أصول الديانة " في الحديث. انظر: الأعلام للزركلي(١٩٤/٤).

وما من حديث منها إلا وقد ورد من عدة طرق متساوية الحال في تعلّق الأسباب الموجبة للقبول بها، ومع ذلك فهم الذين رووا الأحكام والسن، وعليهم مدار الشريعة، فمن صدقهم في نقل الشريعة لزمه أن يصدقهم في نقل الصفات ومن كذبهم في أحد النوعين وجب عليه تكذيبهم في النوع الآخر، فلم يبق بعد هذا إلا قولهم: إن أخبار الآحاد لا توجب عند أكثر العلماء علماً وإنما يجب العمل بها [(١)]).

٢- أن السجزي يرحمه الله نقل الاحتجاج بخبر الآحاد عن : الإمام سفيان الثوري، ومالك بن أنس الأصبحي، وحماد بن زيد الأزدي، وسفيان بن عيينة الهلالي، وعبد الله بن المبارك المروزي، وأمثالهم ، وفي طبقة كل من قبلهم وبعدهم من حاله في العلم والعدالة كحالهم، فغير جائز أن يكذب خبرهم. وهم أئمة الدنيا في زمانهم ، فتأمل [(٢)] .

٣- قال ابن القيم [(٣)] :(وقوله يعني ابن عمر (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر في رمضان على الصغير والكبير والذكر والأنثى) وأمثال ذلك، فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الأولين والآخرين [(٤)]).

ثم يقول رحمه الله :(والحجة على قول الجمهور، أن تلقي الأمة للخبر تصديقا وعملا إجماع منهم، والأمة لا تجتمع على ضلالة كما لو اجتمعت على موجب عموم أو مطلق أو اسم حقيقة أو على موجب قياس فإنها لا تجتمع على خطأ، وإن كان الواحد منهم لو جرد النظر إليه لم يؤمن عليه الخطأ فإن العصمة تثبت بالنسبة الإجماعية، كما أن خبر التواتر يجوز الخطأ والكذب على واحد من المخبرين بمفرده، ولا يجوز على المجموع، والأمة معصومة من الخطأ في روايتها ورأيها ورؤياها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :«أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ، ٢٨٣،٢٨٢) للسجزي. تحقيق: محمد با كريم با عبد الله. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية. المدينة المنورة. المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢) انظر المصدر السابق (ص: ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

(٣) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ. أبو عبد الله. شمس الدين ابن قيم الجوزية: من أركان الإصلاح الإسلامي. وأحد كبار العلماء. ولد سنة واحد وتسعين وستمائة. ووفاته في دمشق سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله. بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه. وسجن معه في قلعة دمشق. وأهين وعذب بسببه. وطيف به على جمل مضروبا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس. أغري بحب الكتب. فجمع منها عددا عظيما. وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. وألّف تصانيف كثيرة منها : زاد المعاد . وإعلام الموقعين والوابل الصيب . واجتماع الجيوش الإسلامية . وإغاثة اللهفان . وحادي الأرواح . وغيرها . انظر: الأعلام للزركلي(٥٦/٦).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٥٦٢).

العشر الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر» فجعل تواطؤ الرؤيا دليلا على صحتها. والآحاد في هذا الباب قد تكون ظنونا بشروطها، فإذا قويت صارت علوما، وإذا ضعفت صارت أوهاما وخيالات فاسدة [(١)]).

٤- وممن رد على ذلك من علماء السنة حديثا السيد رزق الطويل [(٢)] إذ يقول :(يرى جمهور العلماء جواز العمل بالقراءات الشاذة، واستنباط الأحكام الشرعية منها.

وحجتهم أنها -على أقل تقدير- في منزلة خبر الآحاد، التي لا يختلف العلماء في الاحتجاج بها في الأحكام الشرعية وقد احتج العلماء بها في أحكام كثيرة منها:

أ- قطع يمين السارق مستدلين بقراءة ابن مسعود: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما".

ب- احتج الحنفية على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود أيضًا "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" [(٣)] .

٥- ذكر أحمد آل بوطامي الحنبلي [(٤)] في صدد بيانه لبعض الأدلة على قبول خبر الآحاد: (أن الرسول ﷺ أرسل الرسل إلى ملوك العرب وغيرهم، يدعوهم إلى الإسلام، ومعلوم أن المرسل من الرسول كان رجلًا واحدًا أو اثنين ومعه كتاب، ولم تكن تلك الرسالة بدرجة التواتر، ومع ذلك أسلم من أسلم ورأى أن الحجة قد قامت على من أبى بواسطة إرسال ذلك الرسول، ولو لم تقم الحجة على المرسل إليهم بإرسال الرسول أو المرسولين، ويجب عليهم أن يقبلوا خبر

---

(١) المصدر السابق (ص: ٥٦٢) .

(٢) الدكتور سيد رزق الطويل – ولد في قرية نكلا مركز إمبابة بالجيزة في مصر ١٣٥١ ه عميد سابق لكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر . اشتهر الدكتور السيد رزق الطويل بمواقفه الجادة حاملا لواء الحق وشاهرا سيف الكلمة ضد كل من يحيد عنه. من مؤلفاته : «بنو إسرائيل في القرآن» و «العقيدة في الإسلام» و«منهج حياة الدعوة في الإسلام» وغيرها توفي رحمه الله سنة ١٤١٩هـ مصدر هذه الترجمة : موقع المكتبة الشاملة . ورابطه: http://shamela.ws/index.php/author/1493

(٣) مدخل في علوم القراءات (ص: ٦٤) لسيد رزق الطويل. الناشر: المكتبة الفيصلية الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٤) أحمد بن حجر بن محمد بن حجر آل بوطامي الحنبلي . بدأ الشيخ تلقي العلوم الشرعية منذ صغره. حيث حفظ القرآن الكريم طفلا. ثم درس الفقه الشافعي والعقيدة السلفية. له مصنفات عدة منها : الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب . الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر المفترى عليه. . نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين وغيرها . توفي سنة ١٤٢٣هـ . مصدر الترجمة : موقع المكتبة الشاملة. ورابطه: http://
http://shamela.ws/index.php/author/1075

رسول الرسول ويسلموا. لما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله إلى كسرى وقيصر، وملك اليمامة وابني الجلندي ملك عمان وغيرهم.

كما أنه أرسل معاذا إلى اليمن وقال: «إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، -وفي رواية-: إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة [(١)] » الحديث أخرجه البخاري ومسلم [(٢)]).

ومن الأدلة التي ساقها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المائدة:٦٧]وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾[النور:٥٤].

ثم قال رحمه الله : (ومعلوم أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ، ويحصل به العلم، ولو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة اللّه على العباد، فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم.

وقد كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه، فتقوم الحجة على من بلغه.

وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسننه، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة، ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة، أو دون عدد التواتر، وهذا من أبطل الباطل [(٣)]).

وبهذا ظهر أن شبهة: أحاديث الآحاد لا تفيد العلم اليقيني مدفوعة ومردودة .

٨/ يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: أن أحاديث الآحاد متضاربة (وهذه قضية من مسائل الآخرة (يعني بها حكم من مات من أطفال المشركين) تضاربت فيها أحاديث الآحاد على ما رأيت.

---

(١) متفق عليه . البخاري في باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم برقم(٧٣٧٢) ومسلم في باب الإيمان بالله ورسوله . برقم(١٩) .

(٢) نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين (ص: ١٣٧) لأحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي الحبنلي .الناشر: مكتبة ابن تيمية – الكويت الطبعة: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(٣) المصدر السابق (ص: ١٣٩)

فما العمل إذا كانت القضية من عالم الشهادة؟ أو من مسائل العيش التي تعرض للناس كل يوم؟ أم نجعل الدعوة للأمور المقطوع بها ونترك للناس حرية الاختيار فيما وراء ذلك [(1)])؟

وما ذهب إليه الشيخ الغزالي رحمه الله في هذا يدل على عدم معرفته الكاملة بالسنة النبوية حيث نجد السلف في هذا يسلكون مسلك الجمع.

ومن المعلوم أن الادعاء بتعارض النصوص الصحيحة مسألة مشهورة من قديم ، ومسالك العلماء في رد هذا الادعاء ، وطرق الجمع بين النصوص الموهمة للتعارض كثيرة ومتنوعة .ومن ذلك ما يلي :

قال الشاطبي : (أن كل من تحقق بأصول الشريعة؛ فأدلتها عنده لا تكاد تعارض، كما أن كل من حقق مناط المسائل؛ فلا يكاد يقف في متشابه؛ لأن الشريعة لا تعارض فيها ألبتة، فالمتحقق بها متحقق بما في نفس الأمر؛ فيلزم أن لا يكون عنده تعارض، ولذلك لا تجد ألبتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف؛ لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ؛ أمكن التعارض بَيْنَ الأدلة عندهم، فإذا ثبت هذا فنقول: المسالة الأولى:

التعارض إما أن يعتبر من جهة ما في نفس الأمر، وإما من جهة نظر المجتهد، أما من جهة ما في نفس الأمر؛ فغير ممكن بإطلاق ... ثم قال : وأما من جهة نظر المجتهد؛ فممكن بلا خلَاف .. [(2)]).

وقال السيوطي [(3)] : (التعارض بين الخبرين إنما هو لخلل في الإسناد بالنسبة إلى ظن المجتهد ، وأما في نفس الأمر فلا تعارض [(4)]).

وللعلماء طرق ومسالك في التعامل مع النصوص التي توهم التعارض بينها ، وقد تعرض لها جلال الدين المحلي [(5)] بشيء من التفصيل فقال : (إذا تعارض نطقان ، فلا يخلو إما أن

---

(1) مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه.

(2) الموافقات للشاطبي (٥/٣٤١) للشاطبي.

(3) سبقت ترجمته . ص ٦٣.

(4) تدريب الرواي بشرح تقريب النوواي لجلال الدين السيوطي . (٢/٦٦٠)حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي . الناشر: دار طيبة . بدون سنة نشر .

(5) جلال الدين المحلي هو : هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم. أبو عبد الله الأنصاري المحلي القاهري الشافعي . ولد سنة إحْدى وتسعين وَسبعمائة بالقاهرة ونشأ بها. وتوفي سنة أربع وستين وثمانمائة . له تصانيف منها :

يكونا عامين أو خاصين أو أحدهما عاماً والآخر خاصاً أو كل واحد منهما عاماً من وجه وخاصاً من وجه.

فإن كانا عامين فإن أمكن الجمع بينهما جمع بحمل كل منهما على حال ، مثاله حديث « شر الشهود الذي يشهد قبل أن يستشهد [(١)] » ، وحديث «خير الشهود الذي يشهد قبل أن يستشهد» فحمل الأول على ما إذا كان من له الشهادة عالماً بها، والثاني على ما إذا لم يكن عالماً بها.

والثاني رواه مسلم بلفظ : « ألا أخبركم بخير الشهود الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها » .

والأول متفق على معناه في حديث « خيركم قرني ثم الذي يلونهم » إلى قوله « ثم يكون بعدهم قوم يشهدون قبل أن يستشهدوا » .

وإن لم يمكن الجمع بينهما، يتوقف فيهما إن لم يعلم التاريخ ، أي إلى أن يظهر مرجح أحدهما، مثاله قوله تعالى:﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾[النساء:٣] وقوله تعالى: ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[النساء:٢٣]. فالأول يُجوِز... (جمع الأختين) بملك اليمين . والثاني يحرم ذلك ، فرجح التحريم لأنه أحوط ، فإن علم التاريخ فينسخ المتقدم بالمتأخر [(٢)]).

وأجد لابن حزم في هذه المسألة كلاما يتفق مع السلف حيث قال : (إذا تعارض الحديثان أو الآيتان أو الآية والحديث فيما يظن من لا يعلم ففرض على كل مسلم استعمال كل ذلك لأنه ليس بعض ذلك أولى بالاستعمال من بعض ولا حديث بأوجب من حديث آخر مثله، ولا آية أولى بالطاعة لها من آية أخرى مثلها، وكل من عند الله عز وجل وكل سواء في باب وجوب الطاعة والاستعمال ولا فرق[(٣)]).

التفسير . وشرح الورقات . انظر: الضوء اللامع (٣٩/٧) لشمس الدين السخاوي. الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت . والأعلام للزركلي(٣٣٣/٥).

(١)أخرجه مسلم في صحيحه . باب بيان خير الشهود بلفظ «ألا أخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها»برقم(١٧١٩).

(٢)شرح الورقات في أصول الفقه (ص: ١٨٧، ١٨٩) لجلال الدين المحلي. قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة .الناشر: مكتبة العبيكان ،الطبعة: الأولى. ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٣)الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٢١).

ثم قال : (ذهب بعض أصحابنا إلى ترك الحديثين إذا كان أحدهما: حاظراً والآخر مبيحاً، أو كان أحدهما موجباً والآخر مسقطاً، فيرجع حينئذ إلى ما كنا نكون عليه لو لم يرد ذانك الحديثان قال علي وهذا خطأ من جهات أحدها أننا قد أيقنا أن الأحاديث لا تتعارض لما قد قدمنا من قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢] مع إخباره تعالى أن كل ما قال نبيه صلى الله عليه وسلم فإنه وحي فبطل أن يكون في شيء من النصوص تعارض أصلا وإذا بطل التعارض فقد بطل الحكم الذي يوجبه التعارض إذ كل شيء بطل سببه فالمسبب من السبب الباطل باطل بضرورة الحس والمشاهدة .

والثاني: أنهم يتركون كلا الخبرين.

والحق في أحدهما بلا شك فإذا تركوهما جميعا فقد تركوا الحق يقيناً في أحدهما: ولا يحل لأحد أن يترك الحق اليقين أصلا .

والثالث :أنهم لا يفعلون ذلك في الآيتين اللتين إحداهما حاظرة والأخرى مبيحة أو إحداهما: موجبة والثانية: نافية بل يأخذون بالحكم الزائد ويستثنون الأقل من الأكثر وقد بينا فيما سلف أنه لا فرق بين وجوب ما جاء في القرآن وبين وجوب ما جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال علي كان حجتهم في ذلك أن قالوا إن أحد الخبرين ناسخ بلا شك ولسنا نعلمه بعينه فلما نعلمه لم يجز لنا أن نقدم عليه بغير علم [١]).

وقال أبو المعالي [٢] :(إذا تعارض ظاهران يتطرق التأويل إلى كل واحد منهما فتتسع مسالك الترجيح فإن مبنى التعلق بالظاهر على غلبات الظنون وهي حرية بالترجيحات.

فإذا تعارضا وتأيد أحدهما بمزية ثقة في الراوي أو العدد في الرواة فالوجه التمسك بما تأيد بهذه الجهات وليس كالنصين فيما قدمناه فإنا تحققنا من طرق الماضين أنهم في غلبات الظنون كانوا يبغون ترجيح ظن على ظن.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٣٨ ،٣٩).

(٢) هو: إمام الحرمين أبو المعالي الجويني. عبد الملك بن أبي محمد بن عبد الله بن يوسف. الفقيه الشافعي ضياء الدين. أحد الأئمة الأعلام. ولد سنة (٤١٩) وعاش ستين سنةً. وتفقّه على والده. وجور بمكة في شبيبته أربعة أعوام. ومن ثم قيل له إمام الحرمين. وكان من أذكياء العالم. وأحد أوعية العلم . توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. من كتبه: البرهان في أصول الفقه والمطلب في دراية المذهب والشامل في أصول الدين وغيرها . انظر: العبر في خبر من غبر(٢/٣٣٩) والأعلام(٤/١٦٠).

وإنما توقفنا في تعارض النصوص من جهة أن معارضة النص بالنص يوهي التعلق به واقتضاؤه إياه يزيد على ما يتعلق به الترجيح وأيضا فإنا لم نتحقق مثالا في تعارض النصيين مع ترجيح أحدهما بمزية البينة والعدد ولم ينقل لنا مسلك الأولين في مثل ذلك حتى نتخذه معتبرا.

وأما ما يتعلق بالظنون فقد استبنا على قطع استرسال الأولين في الاستمساك بما يتضمن مزية في تغليب الظن فإذا تعارض ظاهران ولم يكن أحدهما في الثبوت والتعرض للتأويل بأولى من الثاني ولم يتطرق إلى أحدهما ما يوجب تغليب الظن فتعارضهما والحالة هذه كتعارض النصين [(١)].

إذا تعارض ظاهران أحدهما من الكتاب والآخر من السنة فقد اختلف أرباب الأصول.

فقال بعضهم: يقدم كتاب الله تعالى وقال آخرون: تقدم السنة وقال آخرون: هما متعارضان.

فأما من قدم الكتاب فمتعلقه قول معاذ إذ قال: (أحكم بكتاب الله فإن لم أجد فبسنة رسول الله فإن لم أجد اجتهد رأيي) واشتهر في أصحاب النبي ﷺ الابتداء بالكتاب ثم طلب السنة إن لم يجدوا متعلقا من الكتاب.

ومن قدم السنة احتج بأن السنة هي المفسرة للكتاب وإليها الرجوع في بيان مجملات الكتاب وتخصيص ظواهره وتفصيل محتملة.

والصحيح عندنا الحكم بالتعارض فإن الرسول عليه السلام ما كان يقول من تلقاء نفسه شيئا وكل ما كان يقول فمستنده أمر الله تعالى وما ذكره معاذ فمعناه أن ما يوجد فيه نص من كتاب الله تعالى فلا يتوقع فيه خبر يخالفه فمبني الأمر فيه على تقديم الكتاب ثم آي الكتاب لا تشتمل على بيان الأحكام والأخبار أعم وجودا منها ثم طرق الرأي لا انحصار لها فجرى الترتيب منه بناء على هذا في الوجود" [(٢)].

ويقول الشاطبي : (التعارض إما أن يعتبر من جهة ما في نفس الأمر، وإما من جهة نظر المجتهد، أما من جهة ما في نفس الأمر؛ فغير ممكن بإطلاق.

---

(١) البرهان في أصول الفقه (١٩٦/٢) لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني . تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٢) نفس المصدر.

وأما من جهة نظر المجتهد؛ فممكن بلا خلاف، إلا أنهم إنما نظروا فيه بالنسبة إلى كل موضع لا يمكن فيه الجمع بين الدليلين، وهو صواب؛ فإنه إن أمكن الجمع فلا تعارض؛ كالعام مع الخاص، والمطلق مع المقيد وأشباه ذلك [(١)]).

ثم قال رحمه الله تعالى : (قد مر في كتاب الاجتهاد أن محال الخلاف دائرة بين طرفي نفي وإثبات ظهر قصد الشارع في كل واحد منهما؛ فإن الواسطة آخذة من الطرفين بسبب، هو متعلق الدليل الشرعي؛ فصارت الواسطة يتجاذبها الدليلان معا: دليل النفي ودليل الإثبات، فتعارض عليها الدليلان؛ فاحتيج إلى الترجيح، وإلا؛ فالتوقف وتصير من المتشابهات [(٢)]).

وبعد أن بين رحمه الله أنواع التعارض فيما سوى الأدلة كتعارض معاني الأدلة وأسبابها وعلاماتها والأشباه الجارة إلى الأحكام وشروطها قال : (ووجه الترجيح في هذا الضرب غير منحصر؛ إذ الوقائع الجزئية النوعية أو الشخصية لا تنحصر، ومجاري العادات تقضي بعدم الاتفاق بين الجزئيات بحيث يحكم على كل جزئي بحكم جزئي واحد؛ بل لا بد من ضمائم تحتف، وقرائن تقترن، مما يمكن تأثيره في الحكم المقرر؛ فيمتنع إجراؤه في جميع الجزئيات، وهذا أمر مشاهد معلوم، وإذا كان كذلك؛ فوجوه الترجيح جارية مجرى الأدلة الواردة على محل التعارض؛ فلا يمكن في هذه الحال إلا الإحالة على نظر المجتهد فيه [(٣)]).

٩/ وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله عدة أسباب في عدم الأخذ بخبر الآحاد في العقائد وهي:

١. أن الفرد قد ينسى أو يخطئ فهو بشر.

٢. أننا نستوثق في شؤون الدنيا للحقوق بجعل شهادة رجلين عدلين، أو رجل وامرأتين، فكيف نهبط بنصاب الثقة بشئون الدين؟.

٣. أن خبر الآحاد يحتمل وقوع الراوي في الجهل والغفلة وبذا لا يصلح أن يكون في العقائد.

٤. أن خبر المتواتر مصون كلاً وجزءا، بينما أخبار الآحاد تضمنت ما رفضه الأئمة الراسخون في العلم.

---

(١) الموافقات (٥/ ٣٤١، ٣٤٤) للشاطبي .

(٢) المصدر السابق (٥/ ٣٤٥) .

(٣) المصدر السابق (٥/ ٣٤٦) .

سبق قبل قليل مناقشة من يرى أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم اليقيني والرد عليهم [(١)] ، ويرد عليهم هنا بما يلي :

أولاً: يُرد عليه بأن الرسول صلى الله بعث معاذا إلى اليمن داعيا إلى التوحيد، وهو فرد، فلم يقل معاذ:(أنا فرد لا يقبلوا قولي) مثلاً! وأهل اليمن لم ينكروا أن يكون خبر الفرد في التوحيد مقبولاً !، والأغلبية منهم مازال على الكفر والشكر ، والمسلمون منهم مازال عهده بالكفر قريباً، فهذه الأمور مجتمعة أدعى لرد خبر الفرد!، فلما لم يكن شيء من ذلك عُلم بطلان هذا الرأي.

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن معاذا قال : بعثني رسول الله ﷺ ، قال «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إليه إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب [(٢)] ».

ثانياً: أن قوله :(الفرد قد ينسى أو يخطئ فهو بشر) ليس على إطلاقه عند أهل الفن، فقد قال ابن الملقن [(٣)] : (إن الراوي إذا انفرد بشيء فإن كان مخالفا لما رواه منه، وأحفظ منه وأضبط كان تفرده شاذا مردودا وإن لم يكن مخالفا لغيره فإن كان المنفرد عدلا حافظا موثوقا بضبطه قبل تفرده وكان صحيحا وإن لم يكن موثوقا بضبطه لكن غير بعيد من درجة الحافظ الضابط كان حديثه حسنا وإن كان بعيدا من ذلك كان تفرده شاذا منكرا.

فحصل من هذا أن الشاذ المردود هو الفرد المخالف والفرد الذي ليس في راوية من الثقة والضبط ما يجبر تفرده [(٤)]).

---

(١) انظر : صـ١٠٨ وما بعدها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥٠) حديث رقم (٢٩).

(٣) هو: عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله السراج أبو حفص بن أبي الْحسن الأنصاري الوادياشي الأندلسي التكروري الأصل المصري الشافعي . ويعرف بابن الملقن. ولد فِي ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال . توفي سنة (٨٠٤)هـ . له مصنفات كثيرة منها: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال و التذكرة في علوم الحديث والإعلام بفوائد عمدة الأحكام وغيرها. انظر: الضوء اللامع(٦/١٠٠).

(٤) المقنع في علوم الحديث(١/١٦٩) لابن الملقن . تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع . الناشر: دار فواز للنشر – السعودية . الطبعة: الأولى. ١٤١٣هـ .

ثالثا : أما قوله :(أننا نستوثق في شؤون الدنيا للحقوق بجعل شهادة رجلين عدلين، أو رجل وامرأتين، فكيف نهبط بنصاب الثقة بشئون الدين؟.

فيرد عليه في هذا بأن علماء السنة لم يفرقوا بين الحقوق التي تقع بين العباد وبين شئون الدين ، فهذا ابن جماعة [(١)] يقول :(والصحيح الذي عليه أئمة الحديث أو جمهورهم أن خبر الواحد العدل المتصل في جميع ذلك مقبول وراجح على القياس المعارض له ، وبه قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من أئمة الحديث والفقه وَالأصول رضي الله عنهم ، والله أعلم [(٢)]).

وقال الزركشي [(٣)] فيما نقله عن ابن حبان : (وَأما الأخبار فإنها كلها أخبار آحاد لأنه ليس يوجد عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر من رواية عدلين روى كل واحد منهما [عن] عدلين حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استحال هذا وبطل ثبت أن الأخبار كلها أخبار آحاد فمن رد خبر الواحد فقد رد السّنة كلها، قال الحازمي: وَمن سبر مطالع الأخبار عرف صواب ما ذكره ابن حبان [(٤)]).

رابعا: أن خبر الآحاد يحتمل وقوع الراوي في الجهل والغفلة وبذا لا يصلح أن يكون في العقائد.

---

(١) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن حازم بن صخر بن حجر الكناني الحموي البياني الشافعي .ولد بحماة سنة(٦٣٩) قال الذهبي: كان قوي المشاركة في الحديث عارفا بالفقه وأصوله ذكيا فطنا مناظرا متفننا ورعا صينا تام الشكل وافر الْعقل حسن الهدي متين الديانة ذَا تعبد وأوراد . وكان في ولايته الثانية قد كثرت أمواله فترك الأخذ على القضاء عفة. توفي رحمه الله سنة(٧٣٣)هـ . له مصنفات عدة منها: المنهل الروي . وكشف المعاني في المتشابه من المثاني وغرّة التبيان لمن لم يُسّم في القرآن وتذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم وغرر البيان لمبهمات القرآن وتحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام وغيرها.انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٤/٥) لابن حجر العسقلاني . المحقق: مراقبة /محمد عبد المعيد ضان .الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند. الطبعة: الثانية. ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.والأعلام للزركلي(٥/٢٩٧).

(٢) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي(٣٢/١) لابن جماعة . تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان . الناشر: دار الفكر – دمشق . الطبعة: الثانية. ١٤٠٦هـ .

(٣) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله التركي الأصل المصري الشيخ بدر الدين الزركشي .عالم بفقه الشافعية والأصول. ولد بمصر سنة (٧٤٥)هـ ومات بالقاهرة سنة(٧٩٤)هـ له تصانيف كثيرة في عدة فنون. منها : الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ولقطة العجلان في أصول الفقه وإعلام الساجد بأحكام المساجد والديباج في توضيح المنهاج وغيرها. انظر : الدرر الكامنة لا بن حجر العسقلاني (١٣٣/٥) الأعلام للزركلي(٦٠/٦).

(٤) النكت على مقدمة ابن الصلاح (٢٦٢/١) لأبي عبد الله الزركشي . تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج . الناشر: أضواء السلف – الرياض . الطبعة: الأولى. ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

وهذا من باب الافتراضات العقلية التي تحاول أن تتبع النصوص استنتجاتها من زخرف القول.

خامسا: وقوله :(أن خبر المتواتر مصون كلاً وجزءا، بينما أخبار الآحاد تضمنت ما رفضه الأئمة الراسخون في العلم [(١)]).

هذا فيه نظر قد يؤدي إلى بطلانه ، لأن (أخبار الآحاد) لم يرفضها من العلماء سوى أهل الكلام ومن تأثر بهم من الأشاعرة ونحوهم . أمثال : ابن الحاجب [(٢)] .

والآمدي [(٣)] والشيخ الغزالي رحمه الله [(٤)] والجويني [(٥)] والباقلاني [(٦)] . وهذا معلوم عند أهل السنة .

---

(١) انظر:ص ٨٧

(٢) هو: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس. أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي. من كبار العلماء بالعربية . كان والده حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي. ولد سنة سبعين وخمس مائة بمصر . وتوفي سنة ست وأربعين وست مائة . من مصنفاته : الكافية في النحو والشافية في الصرف. ومختصر الفقه استخرجه من ستين كتابا. في فقه المالكية. ويسمى " جامع الأمهات " و المقصد الجليل قصيدة في العروض. منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل والإيضاح في شرح المفصل للزمخشري. انظر:وفيات الأعيان (٢٤٨/٣) والأعلام (٢٢١/٤).

(٣) هو: العلامة المصنف فارس الكلام سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي. الآمِدِيُّ. الحنبلي. ثم الشافعي. ولدَ سنة نيف وَخمسين وخمسمائة . تبحر في العلوم. وتفرد بعلم المعقولات وَالمنطق والكلام . مات في رابع صفر. سنة إحدى وثلاثين وست مائة . وله ثمانون سنة . من مصنفاته : أبكار الأفكار ومنتهى السول فِي الأصول .انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٦) والأعلام للزركلي(٣٣٢/٤).

(٤) هو: أبو حامد الشيخ الغزالي رحمه الله زين الدين حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي. أحد الأعلام. ولد سنة خمسين وأربع مائة وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران .تلمذ لإمام الحرمين. ثمَّ ولاه نظام الملك تدريس مدرسته ببغداد. لم يكن فِي آخر عصره مثله فقد كان صاحب الذكاء المفرط والاستبحار من العلم. توفي يوم الاثنين رابِع عشر جمادى الْآخرة سنة خمس وخمس مائة بالطابران. من مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة والمستصفى واللباب وتهافت الفلاسفة وغيرها. انظر: العبر في خبر من ذهب (٣٨٧/٢) للإمام الذهبي . حققه: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الوافي بالوفيات(٢١١/١) لصلاح الدين الصفدي. المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. الناشر: دار إحياء التراث– بيروت. عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

(٥) سبق ترجمته. ص١١٤.

(٦) هو: القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر البصري المالكي الأصولي المتكلم. صاحب المصنّفات. وأوحد وقته في فنه.كان ورده في الليل عشرين ترويحة. في الحضر والسفر. فإذا فرغ منها. كتب خمساً وثلاثين ورقة من تصنيفه. له مصنفات منها: تمهيد الدلائل والاستبصار ودقائق الكلام والملل والنحل وهداية المرشدين . توفي في ذي القعدة ببغداد سنة ثلاث وأربع مائة . انظر: العبر في خبر من غبر للذهبي (٢٠٧/٢) والوافي بالوفيات للصفدي(١٤٧/٣) والأعلام للزركلي(١٧٦/٦).

قال ابن القيم : (وقوله يعني ابن عمر (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر في رمضان على الصغير والكبير والذكر والأنثى) وأمثال ذلك، فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الأولين والآخرين.

أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة[١]).

١٠/ وفي مناقشة الشيخ الغزالي رحمه الله لحجج من يجعل أحاديث الآحاد حجة في العقائد، ذكر الحجج وعند مناقشته لهم قال: (وفي هذا الكلام جانب الصواب لا يماري فيه مسلم فإذا ثبت أن النبي قال، فلا رأي إلا السمع والطاعة! ولكن أنى لنا الثبوت؟ إن الريبة في قيمة السند، هل يهب لنا يقيناً أم لا؟ وذلك موضوع النزاع[٢]).

نرى الشيخ الغزالي رحمه الله يشكك في ثبوت أخبار الآحاد ، وفي قيمة أسانيدها ، وأرى أن قول شيخ الإسلام فيما نقله ابن القيم : (وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه ، لكن تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له ، وساق أدلة على ذلك ثم قال : فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد من الأولين والآخرين ، أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع[٣]).أرى أن هذا القول كاف في الرد على هذا الزعم[٤] ، ولا أرى هذا مناقشة لحججهم بقدر ما هو تشكيك في طرق ثبوت أخبار الآحاد وأسانيدها .

١١/ وأما موقف الشيخ الغزالي رحمه الله من الأحاديث الضعيفة فنجده متناقضاً حيث يرى الأخذ بها في الدعوة والإرشاد بشرط اتفاقها مع مبادئ الدين الكلية وقواعده العامة، ثم نراه يذهب إلى هجر الأحاديث الضعيفة جملة وتفصيلاً.

مناقشة هذا القول بما يلي :

أولاً: أن هذا الرأي قال به الأئمة الأعلام غير الشيخ الغزالي رحمه الله .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٥٦٢).

(٢) دستور الوحدة صـ (٥٨) .

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة(١/٥٦٠).

(٤) للمزيد من مناقشة هذا انظر:صـ (٨٥).

قال القاضي أبو يعلى الحنبلي: (وقد أطلق أحمد رحمه الله القول بالأخذ بالحديث الضعيف ، فقال مهَنّا: قال أحمد: الناس كلهم أكْفاء إلا الحائك[(١)] والحجام[(٢)] والكساح[(٣)] ، فقيل له: تأخذ بحديث:« كل الناس أكْفاء إلا حائكاً أو حجاما » وأنت تُضعفه ؟ فقال:(إنما نضعف إسناده، لكن العمل عليه[(٤)]).

وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال[(٥)]).

ويقول المرداوي[(٦)] : (أنه يعمل بالحديث الضعيف فيما ليس تحليلا ولا تحريما كالفضائل[(٧)]).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (قول أحمد بن حنبل: إذا جاء الحلال والحرام شددنا في الأسانيد؛ وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد؛ وكذلك ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال: ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذي لا يحتج به؛ فإن الاستحباب حكم شرعي فلا يثبت إلا بدليل شرعي ومن أخبر عن الله أنه يحب عملا من الأعمال من غير دليل شرعي فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم؛ ولهذا يختلف العلماء في الاستحباب كما يختلفون في غيره بل هو أصل الدين المشروع. وإنما مرادهم بذلك: أن يكون العمل مما قد ثبت أنه مما يحبه الله أو مما يكرهه الله

---

(١) قال مرتضى الزبيدي : (ح وك) حاك الثوب يحوكه حوكا. وحياكا. وحياكة بكسرهما واوِية يائية: إذا نسجه. فهو حائك. من قوم حاكة على القياس. انظر : تاج العروس (٣٧/٢٧) لمرتضى الزبيدي . تحقيق: مجموعة من المحققين . الناشر: دار الهداية.

(٢) قال مرتضى الزبيدي:والحجام: المصاص. قال الأزهري: يقال للحاجم: الجام؛ لامتصاصه فم المحجمة. انظر المصدر السابق(٤٤٤/٣١).

(٣) قال الزبيدي : كسح البيت والبئر .كمنع يكسح كسحا : كنس. والمكسحة المكنسة . والكساح الكناس. المصدر السابق(٧٣/٧).

(٤) العدة في أصول الفقه (٣/ ٩٣٨) للقاضي أبي يعلى .حققه وعلق عليه وخرج نصه : د أحمد بن علي بن سير المباركي. الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية الطبعة : الثانية ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

(٥) الأربعين النووية مع شرحها لابن دقيق العيد (ص: ٢٠)

(٦) هو: علي بن سليمان بن أحمد بن محمد العلاء المرداوي ثمّ الدمشقي الصالحي الحنبلي وَيعرف بالمرداوي شيخ المذهب.ولد قَرِيبا من سنة عشْرين وَثَمَانِمِائَة بمردا ونشأ بها . توفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة خمس وَثَمَانِينَ وثمانمائة بالصالحية. من مصنفاته :الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف . والتحبير شرح التحرير وفهرست القواعد الأصولية . وغيرها. انظر :الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (٢٢٥/٥)والأعلام للزركلي(٢٩٢/٤).

(٧) التحبير شرح التحرير (٤/ ١٩٤٥) لعلاء الدين المرداوي .تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين. د. عوض القرني. د. أحمد السراح الناشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض الطبعة: الأولى. ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م

بنص أو إجماع كتلاوة القرآن؛ والتسبيح والدعاء؛ والصدقة والعتق؛ والإحسان إلى الناس؛ وكراهة الكذب والخيانة؛ ونحو ذلك[1]).

ثم قال رحمه الله تعالى : (فما علم حسنه أو قبحه بأدلة الشرع فإن ذلك ينفع ولا يضر وسواء كان في نفس الأمر حقا أو باطلا فما علم أنه باطل موضوع لم يجز الالتفات إليه؛ فإن الكذب لا يفيد شيئا وإذا ثبت أنه صحيح أثبتت به الأحكام وإذا احتمل الأمرين روي لإمكان صدقه ولعدم المضرة في كذبه وأحمد إنما قال: إذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد.

ومعناه: أنا نروي في ذلك بالأسانيد وإن لم يكن محدثوها من الثقات الذين يحتج بهم. في ذلك قول من قال: يعمل بها في فضائل الأعمال إنما العمل بها العمل بما فيها من الأعمال الصالحة مثل التلاوة والذكر والاجتناب لما كره فيها من الأعمال السيئة[2]).

واشترط الحافظ ابن حجر للعمل بالحديث الضعيف شروطا ثلاثة ، وهي:

أ- أن يكون الضعف غير شديد.

ب- أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به.

ج- ألا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط[3] .

قال الدكتور عبد العزيز العثيم : (العمل الذي ندين الله به من فعل أو كف لا يكون إلا بدليل من كتاب الله أو مما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الأخبار المقبولة أربعة أقسام:

الأول: متواتر لفظاً ومعنى.

والثاني: أخبار متواترة معنى، وإن لم تتواتر لفظاً.

والثالث: أخبار مستفيضة متلقاة بالقبول بين الأمة.

والرابع: أخبار أحاد مروية بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط عن مثله، حتى تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٦٥، ٦٦) لشيخ الإسلام ابن تيمية

(٢) المصدر السابق (١٨/ ٦٥، ٦٦) .

(٣) انظر تدريب الراوي (١./٢٩٨) للسيوطي

وما عدا ذلك فهو الحديث الضعيف وتتفاوت درجته في الضعف بحسب بعده عن شروط الصحة، وله أحوال:

وإما أن تتعدد طرقه وكلها غير صالحة للإعتبار على تفاوت مراتب ضعفه كأن يكون موضوعاً وهو الذي في إسناده كذاب أو وضاع - وهو أشر أنواع الضعيف- أو أخف من سابقه قليلاً وهو الذي اشتد ضعفه بأن يكون في إسناده متهم أو مجمع على تركه، أو ذاهب الحديث، أو هالك، أو منكر الحديث، أو ليس بشيء أو ضعيف جداً، فهذا لا يلتفت إليه، مهما تعددت طرقه، ما دامت بهذه الصفة إلا على قول أنه بتعدد طرقه تخف شدة ضعفه. بحيث تكون بمجموعها بمثابة طريق واحد صالح للمتابعة فهذا يكون العمل به كلاحقه [1]).

وقال الدهلوي : (وما اشتهر أن الحديث الضعيف معتبر في فضائل الأعمال لا في غيرها المراد مفرداته لا مجموعها لأنه داخل في الحسن لا في الضعيف صرح به الأئمة .

وقال بعضهم [2] إن كان الضعيف من جهة سوء حفظ أو اختلاط أو تدليس مع وجود الصدق والديانة ينجبر بتعدد الطرق ، وإن كان من جهة اتهام الكذب أو الشذوذ أو فحش الغلط لا ينجبر بتعدد الطرق والحديث محكوم عليه بالضعف ومعمول به في فضائل الأعمال ، وعلى مثل هذا ينبغي أن يحمل أن لحوق الضعيف بالضعيف لا يفيد قوة، وإلا فهذا القول ظاهر الفساد فتدبر [3]).

وقال زكريا بن غلام في أصول الفقه على منهج أهل الحديث: (لا فرق في عدم جواز العمل بالحديث الضعيف بين أن يكون في فضائل الأعمال أو في غير فضائل الأعمال الأحكام التكليفية لا يشرع القول بها إلا بدليل صحيح، والاستحباب نوع من أنواع الحكم التكليفي، وعليه فلا يشرع استحباب شيء إلا بدليل صحيح، ففضائل الأعمال يجب إثباتها

---

(١) تحقيق القول بالعمل بالحديث الضعيف (ص: ٣٢) د. عبد العزيز عبد الرحمن بن محمد العثيم الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة: (السنة السابعة عشر - العددان السابع والستون والثامن والستون) . رجب - ذو الحجة ١٤٠٥هـ.

(٢) انظر : تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي للسيوطي (١/١٩١).

(٣) مقدمة في أصول الحديث (ص: ٨٤) (ص: ٨٣) لعبد الحق الدهلوي . المحقق: سلمان الحسيني الندوي الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت — لبنان الطبعة: الثانية. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بالدليل الصحيح لأنها داخلة في الحكم التكليفي ألا وهو الاستحباب، والسلف الصالح ما كانوا يفرقون بين الحديث الوارد في فضائل الأعمال والحديث الوارد في بقية أمور الدين [1]).

وقال الألباني :(الذي أعتقده وأدين الله به أن الحق في هذه المسألة مع العلماء الذين ذهبوا إلى ترك العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال وذلك لأمور:

أولا: أن الحديث الضعيف لا يفيد إلا الظن اتفاقا والعمل بالظن لا يجوز لقوله تعالى:﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨ ﴾[النجم:٢٨]وقوله صلى الله عليه وسلم :«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث [2] ».

ثانيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا باجتناب الرواية عنه إلا ما علمنا صحته عنه فقال: « اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم [3] » ومن المعلوم أن رواية الحديث إنما هي وسيلة للعمل بما ثبت فيه فإذا كان عليه الصلاة والسلام ينهانا عن رواية ما لم يثبت عنه فمن باب أولى أن ينهى عن العمل به. وهذا بين واضح.

ثالثا: أن فيما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم غنية عما لم يثبت كما هو الأمر في هذه المسألة فإن هذا الحديث الصحيح بعمومه يغني عن الحديث الضعيف [4]).

---

(١)من أصول الفقه على منهج أهل الحديث (ص: ٢٣)زكريا بن غلام قادر الباكستاني . الناشر: دار الخراز: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

(٢)متفق عليه . البخاري في باب : لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع . برقم(٥١٤٣) ومسلم في باب : تحريم الظن والتجسس والتنافس . برقم(٢٥٦٣).

(٣)أخرجه الترمذي في سننه في باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه . برقم(٢٩٥١) وقال : هذا حديث حسن . وأحمد في مسنده في مسند عبد الله بن عباس برقم(٢٩٧٤) وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم(١٧٨٣) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة . للألباني (٤/٢٦٥) .

(٤)الثمر المستطاب (ص: ٢١٨) لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) . الناشر: غراس للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى.

٣- الإجماع [١] :

١. لقد ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله تعريفاً للإجماع عند العلماء وهو: (اتفاق المجتهدين من أمة محمد في عصر ما على حكم شرعي[٢]).

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن الإجماع نشأ في: (المدينة المنورة ، وبعد الرسول الأعظم ﷺ، وبين الصحابة خاصة.

ففي عهد الرسول معلوم أنه لا مرجع سواه في الأمور الدينية ، وفي عهد الصحابة لا فقه ولا فقهاء إلا في المدينة أو منها ، فكان من السهل معرفة آراء المجمعين من ذوي العقول ، لقلتهم، والعلم بمكانهم ومكانتهم.

وبعد أن اتسعت البلاد الإسلامية وصار في كل بلد حلقات للتدريس، وأقطاب للشرع أصبح الحصول على الإجماع متعذراً أو متعسراً، خاصة وأن التأليف والتدوين لم يكن معروفاً ولا مألوفاً في الصدر الأول [٣]).

ويذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن (منزلة الأمة الإسلامية كبيرة عند الله ، وإعزازه لها يبعد معه أن تضل في فهم أو تزل في حكم.

واتفاقها على غير ما يجب . وفيها العلماء الراسخون . يكاد يمتنع وقوعه.

كيف والله يقول فيها:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران:١١٠] أي أن الله جعل المسلمين حجة على الناس في قبول أقوالهم، كما جعل الرسول حجة على المسلمين في قبولهم قوله.

وبديهي أن المقصود بالمسلمين ليس هم الذين لا يحسنون صنعاً ولا قولاً ، بل هم أهل العلم والتقى، والخبراء المعدلون في فقه الكتاب والسنة ، وهؤلاء . وحدهم . الذين نأخذ

---

(١) الإجماع في اللغة: قال ابن فارس : الجيم والميم والعين أصل واحد ، يدل على تضام الشيء ، يقال جمعت الشيء جمعا انظر: مقاييس اللغة لابن فارس مادة جمع (٤٧٩/١) .

وفي الإصطلاح: قال ابن قدامة في روضة الناظر أن معنى الإجماع في الشرع: اتفاق علماء العصر من أمة محمد ﷺ على أمر من أمور الدين. انظر: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل(٣٦١/١).

(٢) ليس من الإسلام ص٦٢ .

(٣) نفس المصدر ص٧٠ .

بتوجيههم، ونتقيد بإجماعهم، ونرى الخروج عن هديهم مزلقة إلى الانفلات عن الإسلام نفسه ، وقد جاء في السنة تزكية لإجماع الأمة، باعتباره الحق الملزم [(١)]).

ويقول: (فقد تظاهرت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصمة الأمة من الخطأ، ووردت بألفاظ مختلفة على ألسنة الثقات.

مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجتمع أمتي على خطأ [(٢)] »

و« لا تجتمع أمتي على الضلالة "أو" على ضلالة [(٣)] » .

و« سألت ربي ألا تجتمع أمتي على الضلالة فأعطانيه "وروي" على خطأ.. [(٤)] ».

و « يد الله على الجماعة [(٥)] ». و« عليكم بالسواد العظيم [(٦)] ». و« من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع رقبة الإسلام من عنقه [(٧)] ». و« لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى يأتي أمر الله [(٨)] ». و« ستفترق أمتي كذا وكذا فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة، قيل: ومن تلك الفرقة؟ قال: الجماعة [(٩)] [(١٠)] ».

---

(١) نفس المصدر. ص٦٢،٦٣ .

(٢) لم أعثر عليه .

(٣) ورد عن أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سألت ربي عز وجل أربعا فأعطاني ثلاثا ومنعني واحدة : سألت الله عز وجل أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها . وسألت الله عز وجل أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها . وسألت الله عز وجل أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانيها . وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها» مسند أحمد ط الرسالة (٤٥/٢٠٠)حديث رقم(٢٧٢٢٤).

(٤) انظر ما قبله .

(٥) النسائي في السنن (٧/ ٩٢حديث رقم ٤٠٢٠) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٩حديث ٨٠)

(٦) لم أجده بهذا اللفظ .وإنما جاء بلفظ عن أنس بن مالك. يقول: سمعت رسول الله □. يقول: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة. فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم»(سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٠٣حديث ٣٩٥٠)

(٧) رواه الترمذي في السنن (٥/ ١٤٨حديث ٢٨٦٣).

(٨) رواه أبو داود في السنن (٤/ ٩٧حديث ٤٢٥٢).

(٩) أخرجه أبو يعلى في مسنده . مسند يزيد الرقاشي عن أنس برقم (٤١٢٧) وقال محققه حسين سليم أسد : إسناده ضعيف . مسند أبي يعلى(١٤٥/٧) لأبي يعلى التميمي. تحقيق: حسين سليم أسد الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق . الطبعة: الأولى. ١٤٠٤ – ١٩٨٤. وأورده المروزي في كتابه السنة وقال : قال يزيد الرقاشي : وهي الجماعة . انظر : كتاب السنة (٢١/١) : لأبي عبد الله المَرْوَزِي تحقيق: سالم أحمد السلفي . الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت . الطبعة: الأولى. ١٤٠٨ .

(١٠) ليس من الإسلام ص٦٣ .

وقال الشيخ الغزالي رحمه الله: (وهذه الآثار تقضي على النزاعات الانفرادية، وتقضي على الشذوذ، في الفكر والسلوك، وتجعل الأمة صفاً موحداً في خدمة ما آل إليها من مواريث السنة والكتاب[1]).

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن الإجماع حجة صحيحة، وجمهور العلماء قد اعتمد على ذلك، واستدل على ذلك بما قاله الشيخ عبد الرزاق[2] حيث قال: (الواقع أنهم يتحدثون عن الإجماع كأنه حقيقة واقعة، ويذكرون أمثلة منه في مناسبات ومواضع متفرقة.

ومن أمثلتهم التي يضربونها للإجماع الثابت ما يقول الآمدي[3] من اتفاق جميع المسلمين . فضلاً عن أهل الحل والعقد، الذين لا يحصر عددهم . على وجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان، ووجوب الزكاة والحج، وغير ذلك من الأحكام التي لم يكن طريق العلم بها الضرورة.

ومن ذلك ما قاله صاحب "مسلم الثبوت[4]" في تقديم القاطع على المظنون:

فإنهم شاهدوا جميع المهتدين من الصحابة والتابعين في كل عصر يقدمون القاطع، وعُلِمَ بالتجربة أن واحداً منهم لم يرجع.

فعلم أن اتفاقهم وقع عليه من غير ريبة.

---

(١) نفس المصدر. ص٦٣ .

(٢) مصطفى عبد الرزاق : (١٣٠٢ - ١٣٦٦ هـ) (١٨٨٥ - ١٩٤٧ م) مصطفى بن حسن بن أحمد عبد الرزاق أديب. حكيم. من علماء الشريعة الإسلامية . ولد في أبي جرج من قرى المنيا بمصر. وتخرج بالأزهر ونال درجة العالمية. وتتلمذ لمحمد عبده. والتحق بجامعة السوربون ونال إجازة في الأدب الفرنسي والفلسفة. وانتقل إلى معهد الدراسات الاجتماعية فنال حظا من معارفها. وانتدب لتدريس مباحث إسلامية في ليون. وعاد إلى القاهرة. فعين أمينا عاما لمجلس الأزهر. فمفتشا بالمحاكم الشرعية. فأستاذا للمنطق والفلسفة = =الإسلامية بكلية الآداب بالجامعة المصرية. وأسندت إليه وزارة الأوقاف مرتين. ثم عين شيخا للجامع الأزهر. واستمر إلى أن توفي بالقاهرة في ١٥ شباط.
من آثاره: فصول في الأدب تقع في مجلدين كبيرين. تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية. الدين والوحي والإسلام. سيرة الكندي والفارابي. والبهاء زهير. انظر: معجم المؤلفين باب الميم (١٢/٢٤٥).

(٣) هو : أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . وتوفي سنة(٦٣١هـ) . صنف في أصول الفقه والدين والمنطق والحكمة والخلاف. وكل تصانيفه مفيدة. فمن ذلك كتاب " أبكار الأفكار في علم الكلام واختصره في كتاب سماه منائح القرائح و رموز الكنوز وله دقائق الحقائق و لباب الألباب و منتهى السول في علم الأصول والإحكام في أصول الأحكام في أصول الفقه. وله طريقة في الخلاف. ومختصر في الخلاف أيضاً وشرح جدل الشريف. وله مقدار عشرين تصنيفاً. انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٢٩٣/٣) وسير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٦) .

(٤) مسلم الثبوت في أصول الفقه كتاب مفيد من تأليف نظام الدين ابن الملا قطب الدين الشهيد السهالوي الأنصاري: فاضل. من سكان الهند. الأعلام للزركلي (٨/ ٣٤)

وكذا في أمر الخلافة، علم بالمشاهدة بيعة كل واحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة، ولم يرجعوا عن البيعة أبداً، حتى جاء من كان خارج المدينة فبايع . يعني خلافة أبي بكر رضي الله عنه . ثم تابع كل من في النواحي والأطراف، فوقع العلم بأنهم أجمعوا [(١)]).

وضرب الشيخ الغزالي رحمه الله أمثلة على ما انعقد عليه الإجماع فقال: (ومن أمثلة ما انعقد عليه الإجماع إجماعهم على أجرة الحمام [(٢)] ، وناصب الحباب على الطريق "بائع الماء في الطريق"، وأجرة الحلاق، وأخذ الخراج [(٣)] ، وبطلان زواج المسلمة [(٤)] من غير المسلم، وتوريث الجدات السدس [(٥)] ، وحرمان الأحفاد من الميراث مع وجود آبائهم [(٦)] .. وعلى أمور كثيرة.

ونقل صاحب "تيسير التحرير [(٧)] "عن أبي إسحاق الإسفراييني [(٨)] أنه قال: (نحن نعلم أن مسألة الإجماع أكثر من عشرين ألف مسألة [(١)]).

---

(١) ليس من الإسلام ص٦٤ .

(٢) قال الزيلعي في تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق. في باب الإجارة الفاسدة (٤٣٣/١٤) : ((قوله في المتن : وصح أخذ أجرة الحمام) أي ؛ لأن الناس في سائر الأمصار يدفعون أجرة الحمام . وإن كان مقدار ما يستعمل من الماء ليس بمعلوم ولا مقدار القعود . فدل إجماعهم على جواز ذلك . وإن كان القياس يأباه لوروده على إتلاف العين مع الجهالة).

(٣) قال الزيلعي في تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق في باب زكاة الخيل (٣٤٢/٣) : (واشتراط أخذهم الخراج ونحوه وقع اتفاقا حتى لو لم يأخذوا منه سنين .).

(٤) قال القرطبي في تفسير الآية { ولا تنحكوا المشركين حتى يؤمنوا } :(وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه. لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام). تفسير القرطبي(٧٢/٣).

(٥) قال ابن المنذر في الإجماع (٧٢/١):(وأجمعوا على أن للجدة السدس إذا لم يكن للميت أُم) الإجماع .تأليف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى : ٣١٩هـ) . المحقق : فؤاد عبد المنعم أحمد. الناشر : دار المسلم للنشر والتوزيع. الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤مـ.

(٦) قال ابن المنذر في الإجماع (٦٩/١):(وأجمعوا على أن بني الابن. وبنات الابن يقومون مقام البنين والبنات ذكورهم كذكورهم. وإناثهم كإناثهم. إذا لم يكن للميت ولد لصلبه.) المصدر السابق .

(٧) هو: محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه: فقيه حنفي محقق. من أهل بخارى. كان نزيلا بمكة. له تصانيف منها : تيسير التحرير في شرح التحرير لابن الهمام في أصول الفقه. وتفسير سورة الفتح. ورسالة في أن الحج المبرور يكفر الذنوب كلها صغيرها وكبيرها. ورسالة في تحقيق حرف قد. وفصل الخطاب في التصوف. توفي سنة ٩٧٢ وقيل في حدود ٩٧٢ وقيل غير ذلك .انظر: الأعلام للزركلي(٤١/٦) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة باب الميم(٨٠/٩) .

(٨) هو : الأَسْفَرَايِيني إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران. أبو إسحاق: عالم بالفقه والأصول. كان يلقب بركن الدين. قال ابن تغري بردي: وهو أول من لقب من الفقهاء. نشأ في أسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له فيها مدرسة عظيمة فدرّس فيها. ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق. فاشتهر. له كتاب (الجامع) في أصول الدين. خمس مجلدات. و (رسالة) في أصول الفقه. وكان ثقة في رواية الحديث. وله مناظرات مع المعتزلة. مات في نيسابور. ودفن في أسفرايين المتوف ٤١٨ هـ الأعلام للزركلي (١/ ٦١)

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن متابعة الإجماع في الأمور التي وقع الاتفاق عليها أولى بالعقلاء فيقول: (والواقع أن متابعة الإجماع في الأمور التي وقع الاتفاق عليها أولى بالعقلاء وأدنى إلى وحدة الأمة.

ثم هو توجيه لنشاطها الذهني إلى ميادين أحق بالبحث الحر وأبرز لهم الأفراد وذكائهم..

. ما قيمة الخلاف في أمور غيبية؟

. وما جدوى شق العصا في شئون العبادات؟

. وما معنى الشذوذ في فهم نص أجمع الأئمة على معنى واحد أو معاني محدودة له؟

. إن ذلك . مع كونه خطأ . لا يثمر إلا بلبلة الأذهان وتوهين القوى [(٢)] .

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن الإجماع لا بد فيه من الاعتماد على الكتاب أو السنة [(٣)] وثمرة الإجماع عند الشيخ الغزالي رحمه الله: (رفع الجدال في حقيقة استقر فهمها واستقام أمرها باتفاق أولي الأمر والنهي على ذلك [(٤)]).

---

(١) تيسير التحرير(٣/ ٢٢٧) تأليف:محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه (المتوفى: ٩٧٢هـ) الناشر:دار الفكر — بيروت.

(٢) ليس من الإسلام ص٦٥ .

(٣) انظر نفس المصدر ص٦٧ .

(٤) نفس المصدر ص٦٧ .

نـــــقد

فيما يتعلق بالمصدر الثالث "الإجماع" يلاحظ ما يلي:

١/أن الشيخ الغزالي رحمه الله ذكر تعريفا للإجماع وهو تعريف ابن رشد للإجماع حيث قال: (والإجماع هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – على حكم شرعي وسواء كان ذلك الحكم مما صرح به صاحب الشرع – صلى الله عليه وسلم – فدثر ولم ينقل، أو لم يصرح به، فوقع الإجماع منهم على ذلك لقرينة حال أو دليل أو غير ذلك مما يوجب الاتفاق)[١]، وهذا التعريف يوافق ما عليه السلف في تعريف الإجماع .

قال ابن قدامة : (ومعنى الإجماع في الشرع: اتفاق علماء العصر من أمة محمد — صلى الله عليه وسلم – على أمر من أمور الدين[٢]).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (معنى الإجماع: أن تجتمع علماء المسلمين على حكم من الأحكام. وإذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم؛ فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة ولكن كثير من المسائل يظن بعض الناس فيها إجماعا ولا يكون الأمر كذلك بل يكون القول الآخر أرجح في الكتاب والسنة[٣]).

ويؤكد ما ذهب إليه السلف في تعريف الإجماع كلام أبي المعالي الجويني[٤] حيث يقول :" والطرق التي يتوصل بها إلى إثبات الإجماع مضبوطة. وليس في شيء منها ما يتضمن اشتراط الانقراض. فلو ساغ اشتراطه عن غير دلالة قاطعة من جهة السمع، لساغ تخصيص الإجماع، تصورا ببعض مسائل الفروع، حتى يقال: إنما تقوم الحجة بالإجماع في مسائل المعاملات دون مسائل العبادات! فلما لم يكن إلى ذلك سبيل، تبين ما قلناه. وإيضاحه: أَن من الأدلة على الإجماع، الآية التي قدمنا ذكرها، وهي قوله تعالى: ﴿ **وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ** ﴾ [النساء: ١١٥]. وهذا لا تخصيص فيه بالانقراض، في منظومه ومفهومه، وكذلك

---

(١) انظر كتاب الضروري في أصول الفقه أو مختصر المستصفى (٩٠) لأبي الوليد ابن رشد الحفيد.

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ٣٧٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/١٠).

(٤) سبق ترجمته. ص ١١٨.

طرق الأخبار التي استدللنا بها، لا تنبئ عن شيء في ذلك ، وربما يتمسكون بآي وأخبار، ليس فيها معتصم، على ما سنذكره في شبههم [١]).

ثم ذكر الجويني الدليل الثاني عنده على الإجماع فقال: (المجمعون لا يتحقق اتفاقهم بعد انقراضهم . وإنما يتحقق اتفاقهم بإجماعهم في حياتهم. والانقراض يخرجهم عن اعتقاد الإجماع. فإذا كانوا مصرين ثابتين على ما أجمعوا عليه، فهذه الحالة أولى بنسبة المذاهب إليهم منه إذا انقرضوا.

فإن قالوا: أمنا رجوعهم، وليس كذلك ما داموا أحياء. فإنا لا نأمن رجوعهم.

قلنا: أما رجوع جميعهم، فمأمون، لا خفاء به، على أصلنا، وأما خلاف بعضهم، فمتصور. مع قطعنا بأنه خطأ، فهلا سلمتم هذا المسلك؟ على أَنه يتصور بعد الانقراض مخالفة بعض أهل العصر الثاني، ثم يتصور ذلك لا يقدح في الإجماع، فبطل ما قالوه.

ومما نعتصم به أن نقول على من زعم أن الإجماع لا يستقر ما بقي من المجمعين واحد وهذا يؤدي إلى خرق إجماع الأمة، فإن التابعين كانوا يستدلون بإجماع الصحابة، وإن كان بقي منهم العدد والشرذمة. كما كانوا يستدلون بإجماعهم بعدما تفانوا، وهذا ما لا سبيل إلى جحده [٢]).

ثم ذكر الجويني دليلا آخر على الإجماع فقال: (قد تبينا فيما قدمنا، أن التابعي إذا خالف الصحابة في حكم حادثة وقعت، فيقبل خلافه، كما يقبل خلاف الصحابي.

فإذا ثبت هذا الأصل – فلو شرطنا الانقراض في المجمعين " أدى " ذلك إلى أن لا يستقر إجماع أصلا، وذلك أن الصحابة لو اتفقوا مثلا على حكم، ثم لم يتفانوا حتى " تلاحق بهم جماعة من التابعين وبلغوا مبلغ العلماء، فقد صاروا من أهل الإجماع، إذا فيجب أن يشترط انقراضهم مع انقراض الصحابة. فإنا لو قدرنا منهم خلافا، كان كتقديرنا ذلك من بعض الصحابة، ثم إذا اشترطنا انقراض التابعين مع الصحابة، فلا يتفق انقراضهم – في مجرى العادة – إلا بعد أن يلحقهم أَقوام من أهل العصر الثالث. فتتلاحق الأعصار وتتداخل، ولا يسلم الإجماع قط، وذلك يسبب إلى نفي الإجماع [٣]).

---

(١) التلخيص في أصول الفقه (٣/ ٧١، ٧٢) لأبي المعالي الجويني. المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري . الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت

(٢) المصدر السابق (٣/ ٧٢، ٧٣) .

(٣) المصدر السابق (٣/ ٧٢، ٧٣) .

٢/ وفي نشأة الإجماع يرى الشيخ الغزالي رحمه الله بأن الإجماع نشأ في المدينة النبوية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وبين الصحابة خاصة[١] ...

ويرى أحمد شاكر[٢] : (أن هذا قد يكون هذا صحيحاً من الناحية النظرية التطبيقية، لأن الأحكام كلها كان مصدرها ونشأتها في المدينة .

أما من الناحية الاصطلاحية والتدوينية والانتشار فغير صحيح؛لأن تدوين علم أصول الفقه كله كان على يد الإمام الشافعي وكان في مكة بطلب من عبد الرحمن[٣] بن مهدي، ومرة أخرى في مصر[٤] .

ثم يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أنه بعد اتساع رقعة البلاد الإسلامية أصبح الحصول على الإجماع متعذراً أو متعسراً، وبهذا يتضح لنا أن الإجماع نشأ في بداية الدولة الإسلامية ثم أصبح متعسرا بعد ذلك في العصور المختلفة . وهو في هذا خالف ما ذكره العلماء في تعريفهم للإجماع الذي اختاره[٥] ، وهذا تناقض واضح.

٣/ حصر الشيخ الغزالي رحمه الله للإجماع في زمن معين وتعسره في الأزمنة والعصور المتأخرة خالف ما ذهب إليه السلف في مفهومهم للإجماع.

وهذه المسألة اختلف العلماء فيها ،وهذه بعض أقوالهم :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومتى انقرض عصر أهل الاجتهاد المجمعين من غير خلاف ظاهر لم يعتد بما يظهر بعد ذلك من خلاف غيرهم بالاتفاق، وإنما اختلف الناس في انقراض العصر هل هو شرط في انعقاد الإجماع بحيث لو خالف واحد منهم بعد اتفاقهم هل

---

(١) انظر: ما سبق في صـ (١٢٧).

(٢) هو: الشيخ العلامة المحدث أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر. من آل أبي علياء. يرفع نسبه إلى الحسين بن علي: عالم بالحديث والتفسير. مصري. ولد في القاهرة سنة (١٣٠٩هـ) وتوفي في القاهرة أيضا سنة (١٣٧٧هـ) أعظم أعماله شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل وعمدة التفسير في اختصار تفسير ابن كثير. ومن كتبه نظام الطلاق في الإسلام لم يتقيد فيه بمذهب وأبحاث في أحكام والشرع واللغة وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي(١/٢٥٣).

(٣) هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري وقيل الأزدي مولاهم أبو سعيد البصري اللؤلؤي الحافظ الإمام العلم . كان علي بن المديني يقول : عبد الرحمن بن مهدي أعلم الناس .قالها مرارا. وقال الأثرم عن أحمد :إذا حدث عبد الرحمن عن رجل فهو حجة. وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث. توفي سنة ثمان وتسعين ومائة في جمادى الآخرة. انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر(٦/٢٧٩).

(٤) مقدمة الرسالة للشافعي (ص ١١) بقلم أحمد شاكر . الناشر: مكتبه الحلبي. مصر . الطبعة: الأولى. ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م

(٥) انظر: صـ (١٢٥) من هذا البحث.

يعتد بخلافه؟ وإذا قلنا يعتد بخلافه فلو صار واحد منهم من الطبقة الثانية مجتهدا قبل انقضاء عصرهم فخالف هل يعتد بخلافه؟ هذا مما اختلف فيه، فأما المخالف من غيرهم بعد موتهم فلا يعتد به وفاقا. وكذلك لا يعتد بمن صار مجتهدا بعد الاتفاق قبل انقراض عصرهم على الصحيح [1]).

وقد دعمت كلام السلف في هذه المسألة برأي أبي المعالي الجويني الذي يصلح في الرد على كلام الشيخ الغزالي رحمه الله ، حيث يقول: (اعلم، وفقك الله، أن ما صار إليه " الدهماء " من العلماء القائلين بالإجماع: أن الإجماع لا يختص بأهل الصدر الأول، ولكن لو اجتمع التابعون على حكم، لقامت الحجة بإجماعهم، كما تقوم بإجماع الصحابة، وهكذا كل عصر بعدهم.

وذهب داود [2] ومن تبعه من أهل الظاهر، إلى أن الإجماع الذي تقوم به الحجة، يختص بالصحابة، فلا إجماع بعدهم.

والدليل على فساد ما قالوه أن نقول: الإجماع لا يثبت عقلا أصلا، وإنما الدليل عليه السمع، وكل ما دل على إجماع الصحابة، فهو بعينه دال على إجماع غيرهم.

وكل ما رام به الخصم قدحا في إجماع بعض أهل الأعصار فذلك يتداعى إلى إجماع الصحابة [3]).

ثم يوضح الجويني كلامه بأدلة فيقول : (من الأدلة على الإجماع، قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء: ١١٥]،وهذا اسم لا يختص بالصدر الأول، بل يتحقق فيمن بعدهم تحققه فيهم.

فإن قالوا: فهذه الآيات من أوضح الحجج وأثبتها على اختصاص الإجماع بهم وذلك أن هذه الآية نزلت في زمانهم، فانطلق عليهم اسم " المؤمنين " على التحقق، إذ كانوا يومئذ

(١) الفتاوى الكبرى (٦/١٦).

(٢) هو: داود الظاهري أبو سليمان بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف بالظاهري؛ كان زاهداً متقللاً كثير الورع . كان من أكثر الناس تعصبا للإمام الشافعي رحمه الله تعالى . وكان صاحب مذهب مستقل .وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية . وكان مولده بالكوفة سنة اثنتين ومائتين. وقيل سنة مائتين. وقيل سنة إحدى ومائتين. ونشأ ببغداد. وتوفي بها سنة سبعين ومائتين. انظر : وفيات الأعيان (٢/٢٥٥) الأعلام للزركلي(٢/٣٣٣).

(٣) التخليص في أصول الفقه(٣/٥٣).

موجودين، ومن عداهم وسواهم لم يكونوا موجودين يومئذ، ليسموا مؤمنين، فمن هذا الوجه لزم تخصيص الإجماع بهم.

قلنا: هذا الذي ذكرتموه ظن منكم، وذلك أنه ليس المقصد من سياق الآية ما وقع لكم، وإنما المقصود منها تعظيم رتبة المؤمنين من غير تخصيص بزمان.

والذي يوضح الحق في ذلك: أنه لو صح ما قلتموه، للزمكم منه شيئان:

أحدهما: أن تقولوا: إذا استشهد بعض الصحابة بعد نزول الآية، لم ينعقد الإجماع بالباقين، فإنهم بعض المؤمنين، فيلزمكم على هذا أن تقولوا: إذا استشهد قوم من الصحابة رضي الله عنهم، ثم عنت حادثة أجمعوا على حكمها، فلا حجة في إجماعهم! ومما يلزمكم على ما قلتموه من تخصيص المؤمنين بالذين كانوا مؤمنين عند نزول الآية، أن تقولوا لمن أسلم بعد نزول هذه الآية، وعاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك زمانه، وبلغ أعظم المبالغ في الدين، واستجمع شرائط المجتهدين، فينبغي أن لا يكون من أهل الإجماع. لأنه لم يكن منعوتا بالإيمان عند نزول الآية، فلما استحال ذلك، تبين أنه ليس المقصد من الآية ما " ذهبتم " إليه، وعلمنا أن المقصد من الآية، كل المؤمنين في كل الأعصار.

ومن تدبر ظاهر الآية حق التدبر علم على اضطرار على أنه ليس المقصود بها ما قالوه، كما نعلم أن النص على النهي عن التأفيف، مؤذن بالنهي عما فوقه من ضروب التعنيف[1]).

وبعد أن ذكر الجويني دليلا من القرآن الكريم ذكر دليلا آخر من السنة فقال : (ومما يستدل به: ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم خلاف من خالفهم[2]». وكل ما قدمناه من الأخبار الدالة، فلا تتخصص بعصر دون عصر.

فإن اعتل أهل الظاهر بطرق:

منها أن قالوا: الصحابة هم الذين عاصروا صاحب الشريعة، وشاهدوا مسقط الوحي، فهم الأصل، دون غيرهم.

---

(١) المصدر السابق (٣/٥٤)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه . باب قول النبي □: باب قوله □: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»" بلفظ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق . لا يظهرهم من خذلهم » برقم(١٩٢٠).

والجواب عن هذا أن نقول: هذا اجتزاء منكم بالدعوى. فلم قلتم، وما دليلكم عليه؟ وما لكم اقتصر على الدعوى فيه؟

ثم نقول: فالذين شاهدوا قوما، تقوم بهم الحجة فينبغي أن تنزل مشاهدتهم إياهم منزلة مشاهدة الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاصرتهم إياه، فإن كلا الفريقين أدرك من تقوم به الحجة [1]).

ثم نجد الجويني يذكر ما قد يجيب به أهل الظاهر من آثار ويناقشهم فيقول: (وربما يستدلون بظواهر من الآثار: نحو قوله صلى الله عليه وسلم :«إن إصحابي كالنجوم [2]».

ونحو قوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، فيحلف الرجل ولم يستحلف [3]» .

قالوا: فهذا يدل على الميز بين الأعصار.

قلنا: لا مستروح لكم فيما قلتموه، وذلك أن قوله صلى الله عليه وسلم : « إن أصحابي كالنجوم » لم يرد به التعريض إلى حكم الإجماع.

والدليل عليه: أنه قال في تمام الحديث: « بأيهم اقتديتم اهتديتم » على أن أكثر ما فيه أنه تمسك بمفهوم الخطاب، وقد قدمنا، من أصلنا: بطلان القول بدليل الخطاب.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :«خير الناس قرني» فهو من أوضح الأدلة عليكم، وذلك أنه تتبع ذكر الصحابة بذكر التابعين، فقولوا: إنهم يحلون محل الصحابة عند عدمهم.

ثم نقول: ليس المقصد من الخبر، التعرض لإثبات الإجماع ونفيه، وإنما المقصود منه، تبيين تفاضل أهل الأعصار في حسن العمل والمحافظة على الطاعات. وللقوم شبه تداني ما قلناه يسهل مأخذها [4]).

---

(١) التلخيص في أصول الفقه (٣/٥٤)

(٢) الحديث أخرجه ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٥٥٦حديث رقم ٦٣٦٩) لابن الأثير الجزري. تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون الناشر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان الطبعة : الأولى وقال عنه الألباني:(موضوع باطل لم يصح قط). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١/ ١٥٢حديث ٦٢) الطبعة: الأولى. ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

(٣)أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٠٤حديث ٢٩٢٩) والمعجم الأوسط (٣/ ٢٠٤حديث ٢٩٢٩).والطيالي في مسنده (١/ ٣٤حديث رقم ٣١).

(٤) التلخيص في أصول الفقه (٣ / ٥٣ . ٥٨)

٤/ لقد اعتبر الشيخ الغزالي رحمه الله الإجماع حجة صحيحة وهو بهذا وافق السلف :

قال الشافعي: (فقال لي قائل: قد فهمت مذهبك في أحكام الله، ثم أحكام رسوله، وأن من قبل عن رسول الله، فعن الله قبل، بأن الله افترض طاعة رسوله، وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحل لمسلم علم كتابا ولا سنة أين يقول بخلاف واحد منهما، وعلمت أن هذا فرض الله. فما حجتك في أن تتبع ما اجتمع الناس عليه مما ليس فيه نص حكم لله، ولم يحكوه عن النبي؟ أتزعم ما يقول غيرك أن إجماعهم لا يكون أبدا إلا على سنة ثابتة، وإن لم يحكوها؟!

فقلت له: أمَّا ما اجتمعوا عليه، فذكروا أنه حكاية عن رسول الله، فكما قالوا، إن شاء الله).

وأما ما لم يحكوه، فاحتمل أن يكون قالوا حكايةً عن رسول الله، واحتمل غيره، ولا يجوز أن نعده له حكاية، لأنه لا يجوز أن يحكي إلا مسموعا، ولا يجوز أن يحكي شيئا يتوهم، يمكن فيه غير ما قال.

فكنا نقول بما قالوا به اتباعا لهم، ونعلم أنهم إذا كانت سنن رسول الله لا تعزب عن عامتهم، وقد تعزب عن بعضهم. ونعلم أن عامّتهم لا تجتمع على خلافٍ لسنة رسول الله، ولا على خطأ، إن شاء الله.

فإن قال: فهل من شيء يدل على ذلك، وتشده به؟

قيل: أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه: أن رسول الله قال: « نضر الله عبدا[(١)]»

أخبرنا سفيان عن عبد الله بن أبي لبيد عن ابن سليمان بن يسار عن أبيه: " أن عمر بن الخطاب خطب الناس بالجابية، فقال: إن رسول الله قام فينا كمقامي فيكم، فقال: أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب، حتى إن الرجل ليحلف ولا يستحلف، ويشهد ولا يستشهد، ألا فمن سره بحبحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة، فإن الشيطان ثالثهم، ومن سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن[(٢)] " .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه باب من بلغ علما بلفظ: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها. ثم بلغها عني. فرب حامل فقه غير فقيه. ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» برقم(٢٣٦) وصححه الألباني .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٦٩) حديث رقم(١١٤)

قال: فما معنى أمر النبي بلزوم جماعتهم؟

قلت: لا معنى له إلا واحد.

قال: فكيف لا يحتمل إلا واحداً؟

قلت: إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان، فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين، وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأتقياء والفجار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى، لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئا فلم يكن للزوم جماعتهم معنى، إلا ما عليهم جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما.

ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعةُ المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفُرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافةً غفلةٌ عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس، إن شاء الله [1]).

وبناء على ما سبق من كلام الشافعي يتضح لنا أن الإجماع حجة صحيحة ، وأضيف إلى كلام الشافعي في هذا قول ابن تيمية حيث يقول: (مسألة: ولا يجوز أن تجمع الأمة على الخطأ، نص عليه، وهو قول جماعة الفقهاء والمتكلمين، وحكي عن إبراهيم النظام وطائفة من المرجئة وبعض المتكلمين أنه ليس بحجة وأنه يجوز اجتماع الكل على الخطأ، وقالت الرافضة: ليس الإجماع حجة، وإنما قول الإمام وحده حجة. والمشهور عن النظام إنكار تصوره. والأول حكاه القاضيان أبو يعلى وأبو الطيب. وأول من استدل بالآية الشافعي رضي الله عنه.

وإذا اختلف الصحابة لم يخرج عن أقاويلهم وينظر إلى أقرب القولين إلى الكتاب والسنة.

قال القاضي: الإجماع حجة مقطوع عليها يجب المصير إليها، وتحرم مخالفته، ولا يجوز أن تجمع الأمة على الخطأ [2]).

ويقول الإمام ابن قدامة: (موقف العلماء من حجية الإجماع ، والإجماع حجة قاطعة عند الجمهور [3]).

---

(١) الرسالة للشافعي (١ / ٤٧١ . ٤٧٦).

(٢) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام(١١٣/٢) لابن تيمية . جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ) الطبعة: الأولى. ١٤١٨ هـ.

(٣) روضة الناظر وجنة المناظر (١ / ٣٧٨).

ويقول ابن قدامة أيضا : (فصل: الأدلة على حجية الإجماع

ولنا دليلان: أحدهما: قول الله -تعالى-: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء: ١١٥]. وهذا يوجب إتباع سبيل المؤمنين، ويحرم مخالفتهم.

الدليل الثاني: من السنة: قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتي على ضلالة » . وروي: «لا تجتمع على خطأ » . وفي لفظ « لم يكن الله ليجمع هذه الأمة على خطأ [(١)] ».

وقال: « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح [(٢)] ».

وقال: « من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه [(٣)] ».و« من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية [(٤)] ». وقال: «عليكم بالسواد الأعظم [(٥)] ». وقال:«ثلاث لا يغل عليهن قلب المسلم: إخلاص العمل لله، والمناصحة لولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين [(٦)] ». ونهى عن الشذوذ وقال: « من شذ شذ في النار ». وقال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله». وقال: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد [(٧)] ».

وهذه الأخبار لم تزل ظاهرة مشهورة في الصحابة والتابعين، لم يدفعها أحد من السلف والخلف [(٨)]).

---

(١) انظر تخريج هذه الأحاديث. ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٨٤)حديث رقم(٣٦٠٠) بلفظ (فما رأى المسلمون حسنا. فهو عند الله حسن. وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ).وقال الألباني : (لا أصل له مرفوعا). انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٢/ ١٧)

(٣) رواه أبو داود السنن (٤/ ٢٤١حديث رقم ٤٧٥٨)وصححه الألباني .

(٤) رواه البخاري في صحيحه باب قول النبي □: «سترون بعدي أمورا تنكرونها (٩/ ٤٧حديث رقم ٧٠٥٤).

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٠٣حديث رقم ٣٩٥٠) ضعفه الألباني. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٦/ ٤٣٥).رواه أبو داود السنن (٤/ ٢٤١حديث رقم ٤٧٥٨) .

(٦) رواه الترمذي في السنن (٥/ ٣٤) حديث رقم(٢٦٥٨).

(٧) رواه الترمذي في السنن (٤/ ٤٦٥حديث رقم ٢١٦٥).وصححه الألباني .انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٩٩).

(٨) روضة الناظر وجنة المناظر (١ / ٣٨٧).

٥/ ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله مسائل متعددة محل إجماع ، ولم يشر إلى من ذكر الإجماع من العلماء على ذلك فيها ، وقد وضحت ذلك في محله [١] .

٦/ لم يذكر الشيخ الغزالي رحمه الله من ثمار الإجماع إلا رفع الجدال في حقيقة استقر فهمها ، ولكن قد يفهم منها أنه لا يوجد للإجماع إلا هذه الثمرة ، مع أن له ثمارا وفوائد أخرى ذكرها العلماء ومن أهمها : (أنه يكشف عن وجود دليل في المسألة من غير حاجة إلى معرفة ذلك الدليل والبحث عن كيفية دلالته على المدلول. [٢])

ومنها ما ذكره الشيخ عبد الكريم النملة إذ يقول : (بل إن فائدة الإجماع هي: أنه يكفينا مؤنة الرجوع إلى أدلة المجمعين، وكيفية دلالة كل دليل على مدلوله ونحو ذلك[٣]).

---

(١) انظر: صـ١٢٨. في الهامش.

(٢) المحصول (٤ / ١٨٩) لفخر الدين الرازي. دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة. ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٣) المهذب في علم أصول الفقه المقارن (تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظرية تطبيقية)(٢/٩٠٢) تأليف: عبد الكريم بن علي بن محمد النملة دار النشر: مكتبة الرشد — الرياض . الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٤– العقل[١] :

ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن العقل هو مناط التكليف[٢] ، واعتبره أحد مصادر الاستدلال بعد الكتاب والسنة والإجماع فيقول: (على المجتهد أن يستخرج أحكامه . قبل كل شيء . من أحد الأدلة الثلاثة: الكتاب، والسنة، والإجماع ، فمع وجود واحد منها لا يبقى مجال لدليل العقل.

وإذا فقدت جميعها لجأ الفقيه[٣] إلى الدليل الرابع[٤]) يعني العقل.

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن عند فقدان نصوص الكتاب والسنة يلجأ الإنسان إلى القياس[٥]

فيقول: (ثم إن القياس يلجأ إليه عند فقدان النصوص، فلا يصار إليه عند وجود كتاب أو سنة[٦]).

---

(١) العقل لغة: قال ابن فارس : (عقل) العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عظمه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة. من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل.

قال الخليل: العقل: نقيض الجهل. يقال عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله. وجمعه عقول. ورجل عاقل وقوم عقلاء. وعاقلون. ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل. وما له معقول، أي عقل) انظر: معجم مقاييس اللغة . مادة عقل (٦٩/٤).

وفي الإصطلاح: يوجد للعقل معان كثيرة أهمها : (هو جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله: أنا، وقيل: العقل: جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقًا ببدن الإنسان، وقيل: العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل: العقل: جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف) انظر: التعريفات (ص: ١٥١) للجرجاني .

(٢) إن قصد أنه شرط أساسي في التكليف فهو حق. على حد حديث عائشة. عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: (رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ. وعن الصغير حتى يكبر. وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق) رواه النسائي في سننه الصغرى (٦/ ١٥٦حديث رقم٣٤٣٢).

(٣) الفقه : كل علم بشيء فهو فقه. يقولون: لا يفقه ولا ينقه. ثم اختص بذلك علم الشريعة. فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه.. انظر: مقاييس اللغة . مادة فقه(٤٤٢/٤).

(٤) ليس من الإسلام ص٧٢ .

(٥) القياس كما عرفه ابن قدامة :وهو في الشرع حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما. انظر:روضة الناظر (١٤١/٢).

(٦) ليس من الإسلام ص٥٦ .

ويرى أن القياس لا يعدو أن يكون ضرباً من الاجتهاد بالرأي. واستدل على ذلك بما قاله الأستاذ خلّاف[1] : (قد ثبت في صحاح السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . في كثير من الوقائع التي لم يلوح إليه بحكمها . استدل عليها بطريق القياس.

وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر العام، تشريع لأمته، ولم يقيم دليل على اختصاصه به.

ورد أن فتاة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبي أدركته فريضة الحج شيخا زمنا لا يستطيع أن يحج، إن حججت عنه أينفعه ذلك؟ فقال لها: «أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيتيه كان ينفعه ذلك»؟ قالت: نعم. فقال: «فدين الله أحق بالقضاء[2] » .

وورد أن عمر سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبلة الصائم من غير إنزال، فقال له الرسول ﷺ : «أرأيت لو تمضمضت من الماء وأنت صائم»؟ قال عمر: قلت: لا بأس بذلك! قال: «فمه» أي حسبك هذا[3] ، فقاس رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة بغير إنزال على المضمضة بالماء في أنها لا تفطر الصائم ، وورد أن رجلاً[4] من "فزارة[5] " أنكر ولده لما جاءت به امرأته أسود اللون، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « هل لك من إبل »؟ قال: نعم. قال: «وما ألوانها »؟ قال: حمر، قال: «هل فيها من أورق[6] »[7] ؟ قال نعم! قال: «فمن أين»؟ قال: لعله نزعه عرق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهذا . يعني ولده الأسود . لعله نزعه عرق[8] » .

---

(١) هو: عبد الوهاب خلاف. فقيه. أصولي. من أهل مصر. درس الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة. توفي سنة (١٣٧٥هـ) من آثاره: مصادر التشريع فيما لا نص فيه. علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي. ونور من القرآن الكريم في التفسير.انظر: معجم المؤلفين. باب العين (٢٢١/٦) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ باب : الحج عمن يحج عنه برقم(١١٨٢).

(٣) رواه أبو داود السنن . باب القبلة للصائم (٣١١/٢) برقم (٢٣٨٥). سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . الناشر: المكتبة العصرية. صيدا – بيروت.

(٤) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٧٠)

(٥) فزارة قبيلة تنسب إلى : فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وهي قبيلة كبيرة من قيس عيلان . انظر : اللباب في تهذيب الأنساب(٤٢٩/٢) لابن الأثير الجزري. الناشر: دار صادر – بيروت .

٦ الأورق: الأسمر. والورقة:السمرة. يقال: جمل أورق. وناقة ورقاء.انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(١٧٥/٥).

(٧) رواه مسلم في صحيحه(٨٠٤/٢)حديث رقم(١٥٤)

(٨) متفق عليه . البخاري في باب إذا عرض بنفي الولد (٥٣/٧) حديث رقم (٥٣٠٥) ومسلم في باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها(١١٣٧/٢) حديث رقم (١٥٠٠).

وأفعال الصحابة تدل على أنهم يحتجون بالقياس ويقرون أحكامه ويصرفون أمورهم على ضوئه.

إن الخليفة الأول رشحه لتولي الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قياس حسن.

فإن اختياره إماماً يصلي بالناس عندما مرض النبي صلى الله عليه وسلم جعل الصحابة يقولون: رضيه رسول الله لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا [١] ؟.

فقاسوا رياسة الدولة على إمامة الصلاة...

وقال علي رضي الله عنه يعرف الحق بالمقياسة عند أولى الألباب [٢] .

وجاء في "عهد" عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري: (... ثم ألفهم فيما أولى إليك مما ليس في قرآن ولا سنة. قايس بين الأمور عند ذلك واعرف الأمثال ثم اعمد . فيما ترى . إلى أحبها
إلى الله وأشبهها بالحق [٣]) [٤] .

. ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن العقل له حدودٌ يجب أن لا يتعداها، وهذه الحدود فيما هو دون عالم الغيب فيقول: (فإن الله جعل للعقول حداً تنتهي في الإدراك إليه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى إدراك كل شيء، ومن الأشياء ما لا يصل العقل إليه بحال، ومنها ما يصل إلى ظاهر منه دون اكتناه حقيقته، وهي مع هذا القصور الذاتي لا تكاد تتفق في فهم الحقائق التي جعل لها إمكان إدراكها، فإن قوي الإدراك ووسائله تختلف النظّار اختلافاً كثيرا، ولهذا كان لا بد . فيما لا سبيل للعقول إلى إدراكه وفيما تختلف فيه الأنظار . من الرجوع إلى مخبر صادق يضطر العقل إمام معجزته إلى تصديقه، وليس ذلك سوى الرسول المؤيد من الله العليم بكل شيء، الخبير بما خلق [٥]).

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٧٦). الناشر: الطبعة المصرية القديمة.

(٢) لم أعثر عليه.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٦٨) لابن القيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى. ١٤١١هـ - ١٩٩١م

(٤) ليس من الإسلام ص٥٤.٥٣ .

(٥) ليس من الإسلام ص١٣٢ .

. ويقول أيضا: (وقد ندرك وجه الحكمة في كثير من الطاعات المطلوبة، أو نتعرف النتائج الحسنة لنفعلها كما أمر الله، إلا أن ذلك لا يعني استقلال العقل بالحكم والنظر في الأمور العبادية جملة وتفصيلا.

بل مرد ذلك إلى النقل المجرد عن عالم الغيب والشهادة...

أما الشئون العادية فلها وضع آخر في الحياة، إذ للعقل والتجربة مجالات واسعة فيها [(١)]).

. ثم ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن العقل أساس الدين حيث يقول: (العقل أساس الدين، فما جزم العقل الصحيح الموثوق باستحالته لا يكون ديناً ألبتة.

إن للدليل العقلي وزناً لا يرجحه شيء أبداً.

بالعقل عرفنا الله، وبالعقل أدركنا حقائق الوحي، وبالعقل يتم حساب الآخرة، ومن لا عقل له لا دين له.

ويوجد في الدنيا مجنون ليلى، ومجنون يطلب المال، ومجنون يحب الرياسة، وهؤلاء لا تسقط عنهم التكليف ما بقي لهم عقل يعرف الخير والشر، والحق والباطل، فإذا فقدوا هذا العقل سقط عنهم التكليف [(٢)]).

ويؤكد هذا ما ذهب إليه في موضع آخر من أن الدين عقل يحترم الدليل وليس الدين عقلاً خرافياً فيقول: (إن الدين ليس عقلاً خرافياً يتبع الترهات، إنه عقل يحترم الدليل ويحتج به [(٣)]).

. ثم يرى: (أن القرآن الكريم بنى الإيمان على حركة العقل فيقول: (لقد بنى القرآن الإيمان على حركة العقل الباحث اليقظ، ثم صاغه في قالب من البيان المعجز. قال الرواة إن إحدى الصحابيات [(٤)] حفظت سورة "ق" من فم الرسول وهو يخطب بها يوم الجمعة، لقد انتقشت

---

(١) ليس من الإسلام ص١١٢.١١٣ .

(٢) صيحة تحذير من دعاة التنصير ص٢٢ درا القلم .

(٣) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ص٢٧١ .

(٤) هي أم هشام بنت الحارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عبيد الأنصارية النجارية.: شرح أبي داود للعيني (٤/ ٤٤٢)

الكلمات في ذهنها، وثبتت على التكرار ثم تحولت في سلوكها إلى خلق وعبادة ومنهج حياة [1]).

. ويرى أن: (القرآن في بنائه للإيمان يعتمد على العقل الإنساني، ورفضه للترهات، ولذلك ختمت السورة . سورة محمد . بأن محمداً ليس حاكما عسكرياً يغير العقائد بالقوة كما تغير الأوضاع المدنية أو الاقتصادية. أنه مذكر صادق وناصح مخلص [2]).

ومما يؤكد على ارتفاع مكانة العقل عند الغزال أنه ذهب إلى أن ما خالف العقل لا يكون ديناً فيقول: (إن الدين علم مقطوع به والوحي حصانة للعقل وضمانة لأحكامه، وما خالف العقل لا يكون ديناً، ولبعض الناس مرويات لا اسناد لها يجعلونها ديناً وما هي بدين [3]).

ويرى أن مما يميز الإسلام عن غيره من الأديان السماوية أنه جعل العقل السلطان الأعلى فقال: (وهكذا نرى أن أعظم مزية يمتاز بها الإسلام على غيره من الأديان السماوية أنه يجعل لـ "العقل" السلطان الأعلى في إدراك كل معنى في الوجود، ويأمرنا أن نحتكم إليه في الإيمان بوجود الله ووحدانيته والإيمان بالرسل [4]).

ويقول: (فلولا العقل لما عرفنا الله، ولما استطعنا أن نفهم أدلة الله وبراهينه التي كررها في كتابه ليبرهن على وجوده، ووحدانيته، وطلب منا أن نتفكر فيها وندركها ونعقلها، ولما استطعنا بالتالي أن نؤمن بأحقية الأحكام التي بلغنا إياه الرسول، وما فيها من الهدى والخير ، ولما استطعنا أن نستنبط الأحكام المستجدة بطريق القياس، ولتطلب أحكام الدين في الوقائع التي لم يرد بها نص [5]).

وقد اعتمد الشيخ الغزالي رحمه الله في هذا على ما قاله الشيخ نديم الجسر [6] في علاقة الإسلام بالعقل.

---

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن ص:٤٠٧ .
(٢) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ص٤٠٩ .
(٣) نفس المصدر ص٤١٦ .
(٤) ظلام من الغرب ص٥٢ .
(٥) نفس المصدر ص٥٢ .
(٦) هو : نديم بن حسين الجسر الطرابلسي . ولد بطرابلس عام ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧ م في أسرة مصرية الأصل. من أشراف مدينة دمياط. درس على والده أولا ثم درس في حمص وبيروت. ولما مهر في مختلف العلوم. تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية. وقد انتخب نائبا عن مدينة طرابلس. ثم مفتيا حتى وفاته عام ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م. له مصنفات كثيرة

وكلام نديم الجسر هو : عبارة عن بحث طويل نوعاًُ ما ، خلاصته :

١. أن أعظم مزية يمتاز بها الإسلام على الأديان السماوية ، أن الله في شريعة الإسلام قد جعل للعقل السلطان الأعلى في فهم أحكام النصوص المنزلة .

٢. وضع نديم الجسر خمس حقائق للسلطان العقلي هي :

١/ أن العقل الذي خلقه الله لنا ، له سلطانان : سلطان مطلق ليس له قيود العقل السليم وحده ، وسلطان نسبي مقيد بقيود المبادئ الإسلامية التي قررها الإسلام .

٢/ أن السلطان العقلي المطلق الذي أمرنا الله أن نحتكم إليه ليس معناه أن يحتكم كل فرد إلى عقله ، ولكن معناه أن نحتكم إلى الأحكام العقلية القاطعة التي تتفق عليها العقول السليمة .

٣/ كل نص قطعي واضح لا يسبب تناقضاً عقلياً في الذهن من الواجب الإيمان به.

٤/ أن الآيات المتشابهات التي تعجز عقولنا عن تأويلها يجب أن نردها إلى أم الكتاب.

٥/ يوجد فرق كبير بين المستحيل العقلي والمستحيل العادي .

٣. ضرب نديم الجسر أمثلة لذلك :

١. قضية وجود الخالق لهذا الكون . هي حقيقة ورد بها النص .
٢. الوحدانية حقيقة ورد بها النص.
٣. المعجزات التي ورد بها النص .
٤. قضية البعث التي ورد بها النص.
٥. زعم القائلين بولادة الله لولد أو بولادته من والد . قد ورد النص باستحالة هذا الزعم .
٦. الآية التي ورد فيها ذو القرنين ، قال : لا بد من تأويل هذا النص يرتفع به هذا التناقض العقلي –كما زعم – .

منها: – فلسفة الحرية في الإسلام– الإسلام في العالم المعاصر– قصة الإيمان– غريب القرآن ومتشابهاته– شبابنا بين الإيمان والتدين– ركائز التفكير الإسلامي– كيف نحب محمدا رسول الله– ديوان شعر فيه عدة قصائد نبوية. انظر:معجم أعلام شعراء المدح النبوي(١/٤٢٩)تأليف: محمد أحمد درنيقة. تقديم: ياسين الأيوبي .الناشر: دار ومكتبة الهلال الطبعة: الأولى

وبعد أن ذكر الحقائق الخمسة ، والأمثلة الستة ، قال : (فإنكار الاحتكام إلى العقل في نطاق الحقائق الخمس التي ذكرناها لا يجوز أن يسمى خطأ بل هو إنكار للنصوص الصريحة ويدخل عند الإصرار في باب الكفر لأنه إنكار و إعراض عن البراهين العقلية التي خاطبنا الله بها)[1] .

ثم يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن العقول الذكية: (هي التي تستطيع اختراق أسرار الكون، ومعرفة آيات الله في شتى الأمكنة والأزمنة:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر:٢٨]. ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠]. والعقول الذكية وحدها هي التي تميز الحق من الباطل ، وتعرف حقائق الوحي من نزعات الهوى وتلفيق الضلال ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد:١٩]. [2].

فالعقل البشري عنده: (يجب عليه أن يجوب آفاق السموات والأرض، باحثاً دارساً، لكي يعرف الله والعالم[3]).

والعقل السليم لا بد أن يصل إلى الله، وتفكيره الجيد لن يبعده عن الله أبداً مهما طال المدى: (العقل المستقيم لا بد أن يصل إلى الله. وتفكيره الجيد لن يبعده عن الله أبداً مهما طال المدى!. لقد بدأت الدراسات الدينية في الغرب بعيدة عن الدين، بل كافرة به،لأن الدين الذي ورثته يجافي المنطق وينأى عن العقل، ولا غرو إذا بدا العلم ملحداً.

وأخذ العلماء طريقهم في بحث المادة وخصائصها وقواها ينقبون في فجاج الأرض وآفاق السماء فبوغتوا بما يقودهم قوداً إلى الله، ويدلهم على عظمته ومجده.

إن الفكر الصائب يستحيل أن يباعد عن الله ! إنه يسوق إليه سوقاً لطيفاً! لماذا؟ ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود:٥٦][4]).

---

(١) انظر : ظلام من الغرب. ص٤٢ -٤٩

(٢) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص: ١٩٦.١٩٥ .

(٣) ليس من الإسلام ص١٠ .

(٤) من مقالات الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله ٥/٣.

نـــــقد

فيما يتعلق بالمصدر الرابع وهو "العقل" يلاحظ على الشيخ الغزالي رحمه الله في هذا المصدر ما يلي:

١/اعتبر الشيخ الغزالي رحمه الله العقل أحد مصادر الاستدلال بعد الكتاب والسنة والإجماع وهو بهذا يتفق مع السلف حيث يرون أن مصادر الاستدلال كما قال الإمام الشافعي : (وجهة العلم بعدُ الكتاب والسنة والإجماع والآثار، وما وصفتُ من القياس عليها [(١)]).

وقال ابن قدامة المقدسي : (الأصول أربعة: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ ، والإجماع، ودليل العقل المبقي على النفي الأصلي [(٢)]).

٢/ نجد أن الشيخ الغزالي رحمه الله في مسألة العقل ذكر أن للعقل حدوداً يجب أن لا يتعداها [(٣)] ،وهو بهذا يتفق الجميع معه على أن للعقل حدودا يجب أن لا يتخطاها حيث إن عمل العقل فيما هو موجود ومرئي ، أما مسائل الغيب فليس للعقل فيها مجال .

قال شمس الدين الحنبلي : (لما عجزت العقول من طريق الفكر عن معرفة الحق التي هي وراء طورها ومنحها القبول، وقد أنزل الكتاب، وأنزل فيه ما حارت في إدراكه العقول من الآيات المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله، أمرنا الشارع بالإيمان بها، ونهانا عن التفكير في ذات اللّه رحمة منه بنا ولطفا لعجزنا عن إدراكه، فإن تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة، ونصب من غير عائدة، وطمع في غير مطمع، وكد من غير منجع، وقد أمرنا بالإيمان بالمتشابه [(٤)]) .

٣/وذهب الشيخ الغزالي رحمه الله في موضع آخر إلى أن ما خالف العقل لا يكون ديناً. وهذا تناقض وقع فيه الشيخ الغزالي رحمه الله ؛ لأنه إذا كان للعقل حدود ينتهي عندها فيلتجئ المرء

---

(١) الرسالة للشافعي(١/٥٠٨).

(٢) روضة الناظر (١/١٩٤) .

(٣) كالأمور الغيبية التي اصطلح العلماء على تسميتها بمفاتيح الغيب الخمسة ، المذكورة في قوله تعالى :{ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (لقمان: ٣٤).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١/١٠٥).

بعد ذلك إلى الدين، وأما اعتباره أن ما خالف العقل لا يكون ديناً[1] فمعناه أنه لا يوجد شيء فوق العقل.

٤/ ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله أن العقل أساس الدين، وهو بهذا يخالف ما عليه السلف حيث ذهبوا إلى أن أساس الدين هو الوحي الإلهي وليس العقل.

من ذلك : قول علي رضي الله عنه : (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه)[2] .

قال البربهاري[3] :(واعلم أن الدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله، فلا تتبع شيئا بهواك، فتمرق من الدين[4]).

ويقول علي القاري[5] معلقا على قول علي رضي الله عنه: (أنه قال: لو كان الدين بالرأي) أي: بمجرد العقل دون الرواية والنقل لكان أسفل الخف) لقربه من القاذورات والأوساخ (أولى بالمسح من أعلاه ؛ لبعده منها، (وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه): مراده به أنه على ظاهرهما، كما يدل عليه سياق كلامه، وإلا لجاز المسح على الأسفل لشمول الظاهر له؛ ولأن قوله: لو كان الدين بالرأي. . . إلخ، صريح في امتناع الأسفل، فتعين أن مراده بظاهر خفيه أعلى ظاهرهما، فإذا عرفت هذا فاعلم أن العقل الكامل تابع للشرع ؛ لأنه عاجز عن إدراك الحكم الإلهية، فعليه التعبد المحض بمقتضى العبودية، وما ضل من ضل من الكفرة والحكماء والمبتدعة وأهل الأهواء إلا بمتابعة العقل، وترك موافقة النقل، وقد قال أبو

---

(١) انظر ماسبق قبل قليل في صـ (١٤٤).

(٢) سنن أبي داود (٤٢/١حديث ١٦٢).تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد .الناشر:المكتبة العصرية. صيدا – بيروت

(٣) هو :الحسن بن علي بن خلف البربهاري شيخ الحنابلة ومقدمهم الفقيه العابد كان شديدا على أهل الْبدع يقال إنه تنزه عن ميراث أبيه وكان سبعين ألف درهم . والبربهاري نسبة إلى (البربهار) وهي أدوية كانت تجلب من الهند ويقال لجالبها البربهاري. ولعلها ما يسمى اليوم بالبهارات . توفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وقيل تسع وعشرين . له مصنفات : شرح كتاب السنة . انظر:الوافي بالوفيات (٩٠/١٢) للصفدي. تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى . الناشر: دار إحياء التراث – بيروت . عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م وانظر أيضا : سير أعلام النبلاء(٣٩٥/١١) والأعلام للزركلي(٢٠١/٢).

(٤) شرح السنة للبربهاري (ص: ٣٦) لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري .

(٥) هو : علي بن (سلطان) محمد. نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي. من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها سنة (١٠٤١)هـ . قيل: كان يكتب في كل عام مصحفا وعليه طرر من القراآت والتفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام. وصنف كتبا كثيرة. منها: تفسير القرآن والأثمار الجنية في أسماء الحنفية والفصول المهمة و بداية السالك وشرح مشكاة المصابيح وشرح الشمائل وغيرها . انظر: الأعلام للزركلي(١٢/٥).

حنيفة أيضا: لو قلت بالرأي لأوجبت الغسل بالبول أي: لأنه نجس متفق عليه، والوضوء بالمني ؛ لأنه نجس مختلف فيه، ولأعطيت الذكر في الإرث نصف الأنثى ؛ لكونها أضعف منه [(١)]) .

٥/ يرى الشيخ الغزالي رحمه الله بأن القرآن بنى الإيمان على العقل [(٢)] ، وهذا يؤدي إلى أن العقل أسبق من الإيمان، ويؤدي إلى تقديم العقل على النقل وهي فكرة توجد عند المعتزلة والفلاسفة.

قال عبد الجبار المعتزلي [(٣)] : (اعلم أن الدلالة أربعة: حجة العقل والكتاب والسنة والإجماع ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل.

ثم قال: "الكلام في أن معرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل، فلأن ما عداها فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله، فلو استدللنا بشيء منها على الله والحال هذه كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله وذلك لا يجوز [(٤)]).

ولا شك أن هذا يخالف منهج السلف في تقديم النقل على العقل ، قال أبو الحسين الشافعي معلقا على كلام عبد الجبار المعتزلي: ومراده هنا بقوله "معرفة الله" أي من ناحية صفاته جل وعلا وأفعاله، فقدموا هنا حجة العقل على الشرع ليردوا الشرع الصريح الواضح في إثبات ما يخالف مذهبهم بهذا الزعم.

وهذا القول منهم قلب للحق على مقتضى العقل، لأن الله عز وجل بصفاته وأفعاله لا يمكن للعقل الوصول إلى العلم به إلا على وجه الإجمال، وإن كان الإنسان مفطورا على الإيمان بالله والإقرار له بالربوبية،ولكن هذا الإقرار لا يعطي الإنسان علما وافيا عن الله عز وجل، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الوصول إلى معرفة الله على التفصيل إلا منه جل وعلا وذلك بطريق الوحي.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٤٧٩ / ٤٨٠) لعلي بن محمد. الملا الهروي القاري .الناشر: دار الفكر. بيروت – لبنان الطبعة: الأولى. ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م

(٢) انظر ما سبق صـ (١٤٣ . ١٤٤) .

(٣) هو: القاضي عبد الجبار المعتزلي بن أحمد القاضي أبو الحسن الهمداني قاضي قضاة الري شيخ الاعتزال توفي سنة أربع عشرة وأربع مائة وقيل سنة خمس عشرة زاد سنة على التسعين وكان كثير المال والعقار ولي قضاء القضاة بالري وأعمالها بعد امتناع منه وإباء وإلحاح من الصاحب بن عباد وهو صاحب التصانيف المشهورة في الاعتزال وتفسير القرآن وكان مع ذلك شافعي المذهب من تصانيفه : تنزيه القرآن عن المطاعن و الأمالي والمجموع في المحيط بالتكليف وشرح الأصول الخمسة و المغني في أبواب التوحيد والعدل وغيرها. انظر: الوافي بالوفيات(١٨/ ٢٠)والأعلام للزركلي(٣/ ٢٧٣).

(٤) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار(١/ ٦٥) لأبي الحسين العمراني الشافعي. تحقيق : سعود بن عبد العزيز الخلف . الناشر: أضواء السلف. الرياض. المملكة العربية السعودية .الطبعة: الأولى. ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

لهذا تخبط المعتزلة في كلامهم عن الله عز وجل وضلوا فيه جل وعلا ضلالا بعيدا سواء في صفاته أو في الكلام على أفعاله سبحانه وتعالى[1] .

ويقول الأصبهاني[2] : (واعلم: أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا للمعقول، وأما أهل السنة؛ قالوا: الأصل في الدين الإتباع والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لا ستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئا حتى يعقلوا[3]).

ويقول الأصبهاني كذلك : (العقل نوعان: عقل أعين بالتوفيق، وعقل كيد بالخذلان. فالعقل الذي أعين بالتوفيق يدعو صاحبه إلى موافقة أمر الأمر المفترض الطاعة والانقياد لحكمه، والتسليم لما جاء عنه، وترك الالتفات إلى ما خالف أمره أو وافق نهيه غير طالب لذلك علة غير ثبوت الأمر والنهي، فيسعد باتباع الأمر واجتناب النهي.

والعقل الذي كيد: يطلب بتعمقه الوصول إلى علم ما استأثر الله بعلمه وحجب أسرار الخلق عن فهمه، حكمة منه بالغة ليعرفوا عجزهم عن درك غيبه ويسلموا لأمره طائعين، ويقولون كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[البقرة:٣٢].فتفرقت بهؤلاء القوم الذين ادعوا أن العقل يهديهم إلى الصواب. السبل والأهواء، وتلاعب بهم الشيطان فزين الباطل في قلوبهم، فلم يصلوا إلى برد اليقين، وصدوا عن الصراط المستقيم.

قال: وإذا تأملت تعمقهم في التأويلات المخالفة لظاهر الكتاب والسنة وعدولهم عنهما إلى زخرف القول والغرور، لتقوية باطلهم، وتقريبه إلى القلوب الضعيفة، لاح لك الحق، وبان الصدق فلا تلتفت إلى ما أسسوه. ولا تبال بما زخرفوه، والزم نص الكتاب، وظاهر الحديث الصحيح اللذين هما أصول الشرعيات تقف على الهدى المستقيم[4]).

ويقول الطحاوي : "فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه).

---

(١) نفس المصدر . (١/٦٥)

(٢) سبقت ترجمته. ص(١٣٣).

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة(١/ ٣٤٧).

(٤) نفس المصدر (٢/ ٣١٥/ ٣١٦) .

قال شارحه : أي: سلم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو بقوله: العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل! والعقل أصل النقل! ! فإذا عارضه قدمنا العقل! ! وهذا لا يكون قط. لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك: فإن كان النقل صحيحا فذلك الذي يدعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر ذلك. وإن كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبدا. ويعارض كلام من يقول ذلك بنظيره، فيقال: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضا للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه. وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلا صحيحا، وإذا لم يكن دليلا صحيحا لم يجز أن يتبع بحال، فضلا عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحا في العقل.

فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولا، أو نحمله شبهة أو شكا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل[1]).

٦/ يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن معرفة الله تكون بالعقل، حيث يقول: (لولا العقل ما عرفنا الله[2]).

هذا الكلام لا يوافق عليه السف، لأن معرفة الله عندهم بأمور عدة ، منها الفطرة والوحي والعقل، فهذا أبو الحسين الشافعي يقول : " ولا يمكن بأي حال من الأحوال الوصول إلى معرفة الله على التفصيل إلا منه جل وعلا وذلك بطريق الوحي"[3] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية(١/١٦٦) لابن أبي العز الحنفي.

(٢) انظر ما سبق صـ (١٤٤) .

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار(١/٦٥).

يقول السجزي : (واتفق السلف على أن معرفة الله من طريق العقل ممكنة غير واجبة، وأن الوجوب من طريق السمع؛ لأن الوعيد مقترن بذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥]فلمّا علمنا بوجود العقل قبل الإرسال،وأن العذاب مرتفع عن أهله، ووجدنا من خالف الرسل والنصوص مستحقا للعذاب بينا أن الحجّة هي ما ورد به السمع لا غير[١]).

ويقول شمس الدين الحنبلي : (فإن معرفة اللّه التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بإدراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات، وإنما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة، فهو اختصاص إلهي يختص به الأنبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة، وتصفية القلب من وضر البدع والفكر من نزغات الفلسفة، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم[٢]) .

٧/ إذا نظرنا إلى ما ذهب إليه الشيخ الغزالي رحمه الله في مسألة العقل من اعتباره:

أ ـ العقل أساس الدين.

ب ـ أن الدليل العقلي لا يرجحه شيء أبداً.

جـ ـ أنه جعل العقل نحتكم إليه في الإيمان بوجود الله ووحدانيته والإيمان بالرسل.

د ـ أن العقل هو السلطان الأعلى في إدراك المعاني.

نجده يعتبر العقل المصدر الأول، وهو بهذا يتناقض مع ما ذكره من أن العقل هو المصدر الرابع الذي يأتي بعد الكتاب والسنة والإجماع.

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت(١/١٣٥).

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/١٠٥).

الميحث الثاني : قواعد الاستدلال وطرقه عند الشيخ محمد الغزالي:

من خلال استقرائي لكتب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تبين لي بأن قواعد الاستدلال وطرقه عند الشيخ الغزالي تشتمل على ما يلي:

أولاً: موقفه من علم الكلام:

فالشيخ الغزالي يأخذ على علم الكلام ما يلي:

١. أنه نظري. حيث يقول الغزالي: (والذي آخذه على منهج البحث في "علم الكلام" . في حدود ما درسنا من كتبه . أنه: نظري بحت، ينظم المقدمات ويستخلص النتائج كما تصنع ذلك الآلات الحاسبة في عصرنا هذ، أو الموازين التي تضبط أثقال الأجسام، ثم تسجل الرقم وتقذف به للطالبين. كذلك سارت الاستدلالات في هذا العلم الخطير، فتكلمت عن الله سبحانه وتعالى، وعن صفاته الكريمة ، وانتهت إلى حقائق جيدة، يستريح إليها العقل الحصيف) [(١)] .

ويقول كذلك: (وقد كنت أرقب . عن كثب . ما تخلفه دروس التوحيد من كتبه المقررة، فما كنت أجد فارقا يذكر . لدى السامعين . بينها وبين شروح المعادلات الجبرية مثلا.

كلاهما ترويض للعقل، مبتوت الصلة بالفؤاد. فكأن الطالب يذكر طائفة من الأدلة على الوجود الدائم "لواجب الوجود"، ولا يستشعر في قرارة نفسه عظمة الخالق المتعال. أو يختلج في بدنه عرق من الرغبة أو الرهبة نحو من سواه، وألهمه فجوره وتقواه) [(٢)] .

ويقول: (وقد حاولت في أثناء الكتابة عن عقيدة المسلم أن أرطب جفاف التفكير العقلي برشحات من المشاعر الحية ، ولم أتكلف لذلك إلا أن أجعل نصوص الكتاب والسنة نصب عيني) [(٣)] .

٢. يرى أن الظروف التي نشأ فيها علم الكلام لها أثر سيء في سرد حقائقه. حيث يقول رحمه الله: (وللظروف التي نشأ فيها "علم الكلام" أثر سيء في سرد حقائقه وصوغ دقائقه، فإن جحيم السياسة، وتطاحن الأحزاب المختلفة؛ وفي ضجيج الخصومة السافرة يعسر البحث عن الحقيقة! ولو أمكن الوصول إليها، فإنه يصعب الاقتناع بها!.

---

(١) عقيدة المسلم. ص٧.

(٢) نفس المرجع . ص٧.

(٣) نفس المرجع . ص٨.

ومن الغفلة أن نحسب تكوين العقيدة يتم في مجلس مناظرة، تتصيد فيها النصوص، وينشد فيها الغلب، ويلعب فيها بالألفاظ، ويستغل منطق "أرسطو" في إيقاع الخصم أمام العامة!)[1].

ثم يذكر قول: الأستاذ الجليل "أحمد عزت باشا" معلقا على الخلافات الناشبة في علم الكلام: (كانت هذه الخلافات في الأصل مما لا ينبغي أن يتجاوز حدود المناظرات المنطقية والعلمية والفنية، ولكنا أقحمنا اسم الله في مناقشاتنا التي لا معنى لها. فحاول كل فريق منا إسناد الكفر والإلحاد إلى الفريق الآخر، فقلبنا الخلاف البدائي خصومة دينية لا تهدأ. فاختلاف الجهمية والمعتزلة نشأ في أصله عن التعبير بأن العبد خالق لفعله، بدل التعبير بأنه فاعل لفعله، وعن تصور الاستقلال التام في الإرادة البشرية. وهذه العقيدة ـ خطأ كانت أو صوابا ـ صالحة لتكون موضع مناقشة علمية يستطيع فيها الطرفان مناقضة بعضهما بعضا ونقده، بل استجهاله واستحماقه! ولكن المسألة لم تقف عند هذا الحد. فقالت القدرية: إن عدم القول بعقيدتنا يعني إسناد الظلم إلى الله في عذاب الآخرة . وقال معارضوهم: إنكم تنكرون عموم القدرة والإرادة الإلهية، وهذا كفر.. نشأ أولا هذا الخلاف، ثم توسع على مرور الزمن، حتى تولدت منه مبادىء غريبة غير معقولة..)[2].

ويقول كذلك: (ولماذا نقحم هذه الأمور إقحاما في شؤون العقيدة؟.

ولماذا لا تبقى في نطاق الذكريات التاريخية التي تدرس كأي تاريخ لتؤخذ منه العبرة فحسب؟ وما صلة الإيمان بالله واليوم الآخر بحكمنا: إن هذا أصاب، وهذا أخطأ، والله يقول: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وإني لأقرأ في صحفنا الدينية اليوم نزاعا بين أتباع السلف والخلف ـ كما أسموا أنفسهم ـ وأسمع ألفاظ الكفر تتبادل كما تتبادل الكرة أرجل اللاعبين ، فأهز رأسي عجبا!)[3].

٣ـ يرى أن كتب علم التوحيد التي تشيع بيننا الآن فشلت في أداء رسالتها. حيث يقول: (كتب علم التوحيد التي تشيع بيننا الآن فشلت في أداء رسالتها شكلا وموضوعا.

---

(١) نفس المرجع. ص٨.

(٢) نفس المرجع. ص٨-٩.

(٣) نفس المرجع . ص٩.

فمن ناحية الشكل لا معنى البتة لعرض علم ما، في توزيع مضطرب بين متن وشرح وحاشية وتقرير، وفي لغة ركيكة اللفظ، سقيمة الأداء، لغة تصور سقوط البلاغة العربية على عهد الحكم التركي) [(١)].

ويقول كذلك: (فهل يبقى الكلام في العقائد وحدها حكرا على هذا النمط الزري من الحواشي والمتون؟) [(٢)].

ويقول كذلك: (ندرك أن هذا الجانب الإلهي من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم.

فإذا بعلوم العقيدة تتحول عن مجراها العتيد، وإذا بكتب التوحيد تزدحم باصطلاحات الفلاسفة وطرائق تفكيرهم.

ويبدو أن الأسلاف الباحثين في هذه الناحية من الإسلام قد فتنهم الإعجاب بما نقله إليهم التراجمة من ثمرات العقل اليوناني) [(٣)].

ويقول كذلك: (أن عناصر العقيدة كادت تتيه وسط هذا الركام من النقول والأقيسة والمصطلحات) [(٤)].

ويقول كذلك: (ومن العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية، وتطوي الصفحات الطوال، فلا تكاد تعثر على آية أو حديث، إلا اقتباسات يسيرة، تبدو كالزهرات المنفردة في الأرض السبخة.

ربما استراح عشاق البحث الفلسفي المجرد لهذه الكتب، ولا عليهم!) [(٥)].

٤. يرى أن علم الكلام تأثر بالفكر الأجنبي، واستدل على ذلك بقول ابن خلدون [(٦)]. حيث يقول: (قال ابن خلدون: ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودونوا فيها، ورد عليهم الغزالي ما

---

(١) نفس المرجع. صـ١١.

(٢) نفس المرجع. صـ١١.

(٣) نفس المرجع. صـ١١.

(٤) نفس المرجع. صـ١١.

(٥) نفس المرجع. صـ١٢.

(٦) ابن خلدون هو : عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ولد بتونس سنة (٧٣٢) ونشأ بها. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه

رد منها، ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة . لعروضها في مباحثهم . تشابه موضوع علم الكلام بموضوع الإلهيات ومسائله بمسائلها، وصارات كأنها فن واحد...

وصار علم الكلام مختلطاً بمسائل الحكمة، وكتبه محشوة بها.

كأن الغرض من موضوعهما ومسائلهما واحد. والتبس ذلك على الناس، وهو صواب.

لأن مسائل علم الكلام إنما هي عقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف، من غير رجوع فيها إلى العقل، ولا تعويل عليه، بمعنى أنها لا تثبت إلا به.

فإن العقل معزول عن الشرع وأنظاره.

وما تحدث فيه المتكلمون من إقامة الحجج فليس بحثاً عن وجه الحق فيها.

فالتعديل بالدليل . لإثبات معلوم بعد أن لم يكن معلوماً . هو شأن الفلسفة، أما منهج علم الكلام فهو التماس حجة عقلية، تعضد عقائد الإيمان ومذاهب السلف، وتدفع شبه أهل البدع، وذلك بعد أن تفرض هذه العقائد أولاً صحيحة بالأدلة النقلية، كما تلقاه السلف واعتقدوها، وبعيد ما بين المقامين).

قال: ابن خلدون: (وذلك أن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقه عن مدارك الأنظار العقلية.

فهي فوقها ومحيطة بها، لاستمدادها من الأنوار الإلهية.

فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف.

فإذا هدانا الشارع إلى مدرك فينبغي أن نقدمة على مداركنا ونثق به.

ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه.

سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة سنة (٨٠٨).كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية.ولما رحل إلى الأندلس اهتزّ له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه.

اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر في سبعة مجلدات، أوّلها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها.انظر :الضوء اللامع للسخاوي (١٤٥/٤) ،الأعلام للزركلي(٣٣٠/٣).

بل نعتقد ما أمرنا به اعتقاداً وعلماً، ونسكت عما لم نفهم من ذلك، ونفوضه إلى الشارع ونعزل العقل عنه...

وصار احتجاج أهل الكلام . بعد هذا الخلط . كأنه إنشاء لطلب الاعتقاد بالدليل، وليس كذلك.

بل إنما هو رد على الملحدين، والمطلوب مفروض الصدق معلومة) [(١)] .

والخلاصة أن الغزالي كان يضيق بعلم الكلام خصوصاً قضاياه الفلسفية المشتبكة بفكر الإغريق. حيث يقول: (وأنا ممن يضيقون بعلم الكلام خصوصاً قضاياه الفلسفية المشتبكة بفكر الإغريق) [(٢)] .

ويرى أن هذا العلم شاع فيه: (مباحث فلسفية، وتكلفات عقلية، وتوليدات خلقها الفراغ، وتخمينات أساسها الحدس، فذاك ما يجب نبذه وتطهير الثقافية الإسلامية منه) [(٣)] .

وهو بهذا قد وافق السلف في كلامهم وذمهم لعلم الكلام، وقد استدل على ذلك بشهادة الأئمة وبعض العلماء في نهيهم ورجوعهم عن علم الكلام. حيث يقول: (ولما وصل المصرى الذى أرسله ابن العاص إلى عمر بن الخطاب ووجده يتكلم في شيء يشبه علم الكلام اليوم، وذلك بسؤاله عن معنى الاستواء وأمثال ذلك من المتشابه، ضربه ونفاه وأمر الناس بمقاطعته [(٤)] .

مع أن ما ضربه لأجله هو ما تمتلئ به كتب علم الكلام الذى نسميه علم التوحيد!

ومالك: لما سئل عن ذلك عد السؤال بدعة، وجوابه مشهور معروف [(٥)] .

---

(١) ليس من الإسلام. صـ ١٥٣.١٥٤.

(٢) تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل. صـ١٢٥. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق. الطبعة السادسة ١٤٢١هـ.

(٣) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. صـ ١٠٢. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة السابعة إبريل ٢٠٠٥م.

(٤) ورد هذا في قصة صبيغ بن عسل الذي قدم من مصر ،كماذكرها ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة في ترجمة صبيغ (٣٧٠/٣). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

(٥) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام(٤٢٢/٨)للذهبي . تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

وأبو حنيفة: نهى ابنه عن مناظرة رجل كان يريد أن يناظره في القدر، وأمره ألا يعود[1]. ومنع أصحابه من الصلاة خلف رجل كان يتكلم في خلق القرآن[2]. وآخر كان يرد عليه فقيل له: الأول ينكر قدم القرآن فما بال الآخر؟ قال: ينازع في الدين بطريق المشاركة. والنزاع في الدين بدعة. وروى عنه النهى عن الصلاة خلف أصحاب الكلام[3].

والشافعي قال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على كلام أهل البدعة[4]. ونقل عنه أنه قال: لأن يلقى العبد الله بكل ذنب خلا الشرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام[5]. وقال: إذا سمعتم الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى[6] فاشهدوا أنه من أهل الكلام[7].

وأحمد بن حنبل قال: علماء الكلام زنادقة[8]. وقال: لا يصلح صاحب الكلام أبدا[9].

---

(١) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي(١/١٣٥)لفخر الدين الزيلعي الحنفي وصاحب الحاشية هو: شهاب الدين أحمد بن محمد الشلبي .الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ

(٢) انظر: فتح القدير لابن الهمام الحنفي (١/٣٥٠). الناشر: دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ نشر .

(٣) انظر: فتح القدير لابن الهمام الحنفي (١/٣٥٠). الناشر: دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ نشر .

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/١٧٩) لأبي العز الحنفي . تحقيق: أحمد شاكر. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد. الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

(٥) المصدر السابق (١/١٧٩) .

(٦) الراجح عند أهل السنة أن يقال : إن الاسم للمسمى ؛ لورود الأدلة بذلك قال الله تبارك وتعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} ولا يقال الاسم هو المسمى أو غير المسمى إلا ببيان المعنى الحق إذ إنها تحتمل حقا وباطلا. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : فصل: في " الاسم والمسمى "هل هو هو أو غيره؟ أو لا يقال هو هو ولا يقال هو غيره؟ أو هو له؟ أو يفصل في ذلك؟ . فإن الناس قد تنازعوا في ذلك والنزاع اشتهر في ذلك بعد الأئمة بعد أحمد وغيره والذي كان معروفا عند " أئمة السنة " أحمد وغيره: الإنكار على " الْجهمية " الذين يقولُون: أَسماء اللَّه مخلوقة.مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٨٥).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/١٨٧).

(٨) انظر : النبوات لابن تيمية (٢/٨٠٧) وتلبيس إبليس لابن الجوزي (١/٧٥).

(٩) تلبيس إبليس (١/٧٥) لابن الجوزي . الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ولفظه " لا يفلح " بدلا من قوله " لا يصلح "

والأشعري: ذكر في كتابه "الإبانة"[(١)] . وهو آخر كتاب ألفه . أنه رجع في عقائده إلى مذهب ابن حنبل[(٢)] .

والغزالي: رجع إلى مذهب السلف، ذكر ذلك في كتابه "إلجام العوام"[(٣)] وأعرض عن تلك الطرق جملة حتى مات والبخاري على صدره[(٤)] .

والرازي: قال: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا. ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن. اقرأ في الآيات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

إلى أن قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف صدق نصيحتي[(٥)] ، وهو القائل:

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعى العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[(٦)]

والشهرستاني: يقول في الفلاسفة والمتكلمين:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقنه أو قارعا سن نادم[(١)]

---

(١) كتاب الإبانة عن أصول الديانة هو من أواخر ما ألفه أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) ونشرته دار الأنصار – بالقاهرة طبعة أولى ١٣٩٧ هـ بتحقيق د: فوقية حسين محمود .

(٢) بين ذلك في أول كتابه " الإبانة عن أصول الديانة " ، فصل : في إبانة قول أهل الحق والسنة (٢٠/١) حيث قال : (قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولما خالف قوله مخالفون).

(٣) اسم الكتاب هو : إلجام العوام عن علم الكلام لأبي حامد الغزالي ، نشرته دار الكتاب اللبناني .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١٧٨/١).

(٥) المقولة أوردها الذهبي بنصها في ترجمة فخر الدين الرازي انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٢/١٦) طبعة دار الحديث بالقاهرة .

(٦) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١٧٧/١).

وأبو المعالي الجويني[2] قال: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به[3] .) .

ومع ذلك يرى أن علم الكلام يفيد في رد الشبهات التي قد تثار. حيث يقول: (وعلم الكلام - في ديننا – يصح أن يدرس ، وأن يتوسع فيه عندما يكون تصويراً مجرداً للعقائد الإسلامية ، وشرحاً سليماً لبراهينها ، ورداً للشبهات التي قد تثار عليها)[4] .

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٧٨/١) لأبي العز الحنفي . تحقيق: أحمد شاكر. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد. الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٧٨/١) لأبي العز الحنفي . تحقيق: أحمد شاكر. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد. الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .

(٣) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. صـ ١٠٣.١٠٤.

(٤) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. صـ ١٠٢.

ثانياً: موقف الشيخ محمد الغزالي من قواعد الاستدلال في علم الكلام[1] (قياس الأولى).

لقد استخدم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله قياس الأولى في الوصول إلى الإقرار بوجود الله تعالى في النفس، واثبات أن له الخلق والأمر. وذلك من واقع الناس المحسوس الذي شأنه أن يقود إلى اليقين وترسيخ الإيمان بالله تعالى.

ومن الأمثلة على ذلك:

١ . تنزيه الله تعالى:

نجد الغزالي في سياق حديثه عن تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق وأنه ليس كمثله شيء. حيث يقول: (وصف الله عز وجل نفسه بصفات كثيرة من الصعب إدراك حقيقتها على النحو الذي ندرك به أمورنا المعتادة، بل هذا مستحيل! من أين للتافه أن يعرف كنه العظيم؟

إن النملة لا تعرف حقيقة الإنسان، فحدود عالمها الذي تعيش فيه تقفها دون ذلك، والطفل ـ في المرحلة الأولى من عمره ـ لا يعرف ما هي الرجولة، ولا ما يصحبها من سعة عقل، واستحكام إدراك. بل إن الإنسان عاجز عن إدراك حقيقة الوجود المادي الذي يعيش فيه، فكيف يعرف ما وراءه من غيوب؟

فانظر كيف انتقل بالإنسان من المقارنة بينه وبين الله تعالى، إلى استحالة إدراكه ما هو أصغر منه؛ ليكون من باب أولى ألا يدرك الإنسان ما هو أعظم منه من خلال أمثلة حية معيشة يعرفها الخاصة والعامة)[2].

---

(١) قواعد الاستدلال في علم الكلام هي:

١. قياس الغائب على الشاهد.

٢. قياس الأولى.

٣. انتفاء المدلول لانتفاء دليله.

٤. إلزام الخصوم بلازم مذهبهم.

٥. طريقة القسمة العقلية.

٦. الاعتماد على المنطق الأرسطي.

(٢) منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة. وصفي عاشور أبو زيد. ص٢٣.

٢. إثبات الخلق لله تعالى:

في إثبات الخلق لله تعالى يقول الغزالي: (قد يشرف المهندسون والبناءون على تشييد عمارة ضخمة، ثم ينفضون أيديهم منها، أو يموتون عنها، وتبقى العمارة بعدهم أمدا بعيدا قائمة الجدران مستوية الأركان، إن هذه العمارة لم تخلق من عدم، والفعلة فيها لم يزيدوا أن ضموا حجرا حجرا، ثم انتهى عملهم إلى هذا الحد. أما بناء هذا الكون الفسيح، وتشييد سقفه المحفوظ، وتمهيد أرضه وتهيئتها للعمران، فهو عمل آخر أساسه الإبداع من العمل المطلق) [(١)] .

٣. العالم لم يخلق صدفة:

حينما يتحدث الغزالي عن العقول بأن العالم لم يخلق صدفة، نجده يبين ما في الكون من ترابط. حيث يقول: (إني أحيانا اسرح الطرف في زهرة مخططة بعشرات الألوان ألتقطها بأصابع عابثة من بين مئات الأزهار الطالعة في إحدى الحدائق، ثم اسأل نفسي: بأي ريشة نسقت هذه الألوان؟ إنها ليست ألوان الطيف وحدها. إنها مزيج رائق ساحر من الألوان التي تبدو هنا مخففة، وهنا مظللة، وهنا مخططة، وهنا منقطة. وأنظر إلى أسفل، إلى التراب الأعفر الذي اطلع على هذه الألوان إنه، بيقين ليس راسم هذه الألوان ولا موزع أصباغها، هل الصدفة هي التي اشرفت على ذلك؟ أي صدفة؟ إن المرء يكون غبيا جدا عندما يتصور الأمور على هذا النحو).

ثم يقول: (لماذا يطلب مني. إذا رأيت ثوبا مخيطا أنيقا. أن أتصور خيطا قد دخل من تلقاء نفسه في ثقب إبرة، اشتبكت من تلقاء نفسها في نسيج الثوب، أو أخذت تعلو وتهبط صانعة الصدر والذيل والوسط والأكمام والأزرار والفتحات والزركشة والمحاسن إلخ؟ إن إحالة الأمور على المصادفات ضرب من الدجل العلمي يرفضه أولو الألباب) [(٢)] .

٤. الإيمان والعمل:

في علاقة الإيمان بالعمل يرى الغزالي أن المرء. حيث يقول: (أن المرء إذا غمغم بين شفتيه بكلمة التوحيد، ظن أنه تحصن وراءها، وأصبح يسيرا عليه ألا يقوم إلى واجب، وألا ينتهي عن محرم، ويضرب على هذا مثالا واقعيا، فيقول: "ولو فرضنا أن حزبا ما تقدم إلى الناس

---

(١) نفس المصدر. ص٢٣.٢٤.

(٢) منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة. وصفي عاشور أبو زيد. ص١٤.١٥.

وقد أضاف إلى جملة المواد التي تبين للجماهير منهاجه وتوضح أغراضه ـ مادةً أخرى تصرح أو تلمح بأن لكل منتمٍ للحزب ألا يعمل بمبادئه وألا يتقيد بتعاليمه، لقال الناس أجمعون: هذا هو العبث والمجون! فكيف نتهم الإسلام بأنه يحمل في ثناياه ما يهدمه؟!)[١] .

٥. النظام في الكون:

نجد الشيخ الغزالي يدلل على أن للكون من يسيره وينظمه، فيقول: (إنه من المقطوع به عقلا أن العدم لا يتحول إلى وجود ولا يخلق وجودا، فإذا قيل إن العالم مفتقر في إحداثه إلى سبب، وأن الأحياء محتاجة في وجودها إلى خالق، قيل: بل يجوز أن يتم ذلك من تلقاء نفسه. وإذا كانت حركة المرور في القاهرة مثلا تتطلب فرقة من الجنود لتنظيمها، وإلا لسرت الفوضى في أرجائها، فهل يستغرب القول بقدرة منظِّمة مشرفة على الألوف المؤلفة من الكواكب السيارة في الفضاء؟ وهل يعتبر القول بأن المصادفات المخصصة هي التي تتولى هذا التنظيم..هل يعتبر إلا لغوا ومجونا؟)[٢] .

ثالثاً: مظاهر التجديد عند الشيخ الغزالي في الاستدلال (الاستشهاد بأقوال الغربيين).

إن الغزالي يبدي تقديره واحترامه لما انتهت إليه حقائق العلم، وإمكانية الاستفادة منها وتوظيفيها، فيقول: (إنني شديد الاحترام للدراسات التجريبية المستيقنة التي يتميز بها عصرنا هذا)[٣] .

وهذا يعني أن الشيخ الغزالي يرى أهمية البحث التجريبي خاصة في الدلالة على وجود الله تعالى. ثم يرى أن تصورات العلماء المحدثين في الألوهية التبس فيها الحق بالباطل مبينا أن علة هذا اللبس أن هداية السماء لم تصحب العقل في سيره، ثم يقول الشيخ ـ يرحمه الله: (إن العقول السليمة تتلاقى على الحق، وكلما ازدادت علما كان تلاقيها على الحق أيسر وأقرب، ومن أجل هذا رأينا العلماء بعد الانتكاس المادي الذي اعترى بعضهم في أواخر القرن التاسع عشر يرجعون إلى التلاقي على الحق، ويكادون يجمعون اليوم إجماعا بلسان أكابرهم على أن هذه القوانين والنواميس التي نشأت على أساسها الحياة ـ وتطورت تنطوي على وحدة في القصد

---

(١) نفس المصدر. ص٢٤.

(٢) منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة. وصفي عاشور أبو زيد. ص١٥.

(٣) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث "مصر نموذجاً" د. أحمد قوشتي عبدالرحيم مخلوف. ص٤٤٨. مركز التأصيل العلمي للدراسات والبحوث. الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م.

والإرادة والعناية والحكمة ـ يستحيل معها على العقل السليم المفكر أن يؤمن بأن هذه الحياة خلقت وتطورت بالمصادفة العمياء)[(١)] .

ومن علماء الغرب الذي استشهد بهم الشيخ الغزالي على وجود الله على سبيل المثال:

١. **كلفن**[(٢)] . يقول: (يتعذر على الإنسان أن يتصور بداية الحياة أو استمرارها دون أن تكون هناك قوة خالقة مسيطرة، وإني لأعتقد من صميم نفسي أن بعض العلماء في أبحاثهم الفلسفية عن الحيوان قد أغضوا إغضاء عظيما مفرطا عما في نظام هذا الكون من حجة دامغة، فإن لدينا فيما حولنا براهين قوية قاطعة على وجود نظام مدبر وخير. وهي براهين تدلنا بواسطة الطبيعة على ما فيها من أثر إرادة حرة، وتعلمنا أن جميع الأشياء "الحية تعتمد على خالق واحد أحدي أبدي)[(٣)] .

٢. **كميل فلامريون**[(٤)] . يقول: (إذ انتقلنا من ساحة المحسوسات إلى الروحيات فإن الله يتجلى لنا كروح دائم موجود في حقيقة كل شيء . ليس هو سلطانا يحكم من فوق السموات، بل نظام مستتر مهيمن على كافة الموجودات! ليس مقيما في جنة مكتظة بالصلحاء والملائكة!! بل إن الفضاء اللانهائي مملوء به. فهو موجود مستقر في كل نقطة من الفضاء، وفي كل لحظة من الزمان، أو بتعبير أصح: هو قيوم لانهائي، منزه عن الزمان والمكان والتسلسل والتعاقب.

ليس كلامي هذا من جملة عقائد ما وراء الطبيعة المشكوك في صحتها، بل من النتائج القاطعة التي استنبطت من القواعد الثابتة للعلم، كنسبية الحركة وقدم القوانين.

إن النظام العام الحاكم في الطبيعة، وآثار الحكمة المشهودة في كل شيء، المنتشرة كنور الفجر وضياء الشفق في الهيئة العامة، لاسيما الوحدة التي تتجلى في قانون التطور الدائم، تدل

---

(١) ن منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة. وصفي عاشور أبو زيد. ص١٦-١٧.

(٢) لورد كلفن (٢٦ يناير ١٨٢٤ – ١٧ ديسمبر ١٩٠٧) هو فيزيائي ومهندس اسكتلندي ولد في إيرلندا الشمالية باسم وليام طومسون وهو مؤسس الفيزياء الحديثة. ولقد أطلق اسمه على وحدة قياس درجة الحرارة المعادلة لدرجة (١) مئوي وهي الكلفن. ولقد حسب كلفن أخفض درجة يمكن أن تصل إليها المادة وسميت هذه الدرجة بالصفر المطلق وهي تعادل —٢٧٣,١٥ C°، وقد وسمي المقياس بالمقياس المطلق أو مقياس كلفن. مصدر الترجمة بواسطة ويكيبيديا : http://ar.wikipedia.org

(٣) ن عقيدة المسلم. ص٢٤.

(٤) فبلسوف ينكر اليهودية والنصرانية ولا يعرف الإسلام . صاحب كتاب : الله في الطبيعة . انظر : مقدمة نقد كتاب الثقافة لربيع مدخلي.

على أن القدرة الإلهية المطلقة هي الحوافظ المستترة للكون، هي النظام الحقيقي، هي المصدر الأصلي لكافة القوانين الطبيعية وأشكالها ومظاهرها) [1].

٣. الكسيس كاريل [2].

يرى الغزالي الاستفادة من الدراسات الإنسانية الحديثة التي تناولت الإنسان من منظور نفسي، وحللته تحليلاً علمياً دقيقاً في مجال العقيدة، ومحاربة الإلحاد، ونقض حجج دعاته. وعلى ذلك يرى أن الدراسات تقرب الناس من الدين، لأنها تقربهم من الفطرة، وتكشف عن عجز الإنسان التام، وحيرته واضطرابه إذا ما ابتعد عن خالقه ومدبر أمره، وضل عن طريقه ومنهجه.

وكتاب "كاريل" من أفضل هذه الكتب في رأي الشيخ الغزالي؛ حيث يقول: (إن هذه الدراسات خصوصاً القائمة على المنطق التجريبي والاستدلال العقلي ينبغي أن نعيرها اهتماماً زائداً، وأن نتوصل بها إلى إثبات الإيمان الحق، وهناك علماء كبار أولوا هذا الموضوع ما يستحق من عناية، وألفوا فيه كتباً قيمة، وكتاب "الإنسان ذلك المجهول" لألكسيس كاريل من أعظم الجهود البشرية في ذلك المجال، إنه وقفة من الإنسان المعاصر ليتأمل في نفسه على ضوء التقدم العلمي الساحر الذي بلغه، وليضبط خطواته مستفيداً من التجارب الحصيفة والمعارف الخصبة التي أتيحت له، وناقداً الأخطاء التي تسربت إلى مسيره على امتداد الحياة من حيث يدري ولا يدري) [3].

---

(١) عقيدة المسلم. ص٢٥.

(٢) ألكسي كاريل (ALEXIS CARREL) كان طبيبًا جرّاحًا فرنسيا، ولد في ٢٨ يونيو ١٨٧٣ وتوفي في ٥ نوفمبر ١٩٤٤ في باريس، حصل على جائزة نوبل في الطب عام ١٩١٢. من مؤلفاته الإنسان ذلك المجهول ((١٩٣٥)).

(٣) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث "مصر نموذجاً". ص٨٠٨.

الخلاصة في منهج الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله:

الشيخ الغزالي رحمه الله يقر بأنه سلفي حيث يستمد عقيدته من الكتاب والسنة ولا يقدم عليهما شيئا، ويكتفي في تكوينها بالآيات المحكمات والأحاديث المتواترة، ويؤثر مذهب السلف في الصفات على غيره.

ومع ذلك نجده في التعامل مع السنة وهي المصدر الثاني عنده في العقيدة ينظر إلى سياق الحديث فإن وافق ما فهمه من المعنى القرآني أخذ به، وإن لم يوافق لم يأخذ به وإن كان صحيحاً.

فهو يرد الحديث لمخالفته ظاهر القرآن وإن كان صحيحاً ويأخذ بالحديث الضعيف إذا وافق ما فهمه من المعنى القرآني، وهذا إعمال للعقل.

- كما لا يأخذ بحديث الآحاد في إثباته للعقائد.
- وقد قيد الإجماع بأنه ليس إجماع العلماء فقط بل إجماع العلماء مع أهل الحل والعقد الذين بيدهم الأمور ولهم السلطان وهم "أولو الأمر"[1]
- كذلك عنده أن الإجماع يتعلق بالمصالح العامة فقط التي تتعلق بأمور الناس ولا يتعلق بتفاصيل الأحكام الشرعية[2] .
- وإلى جانب هذا يرى أن الدليل العقلي له وزن لا يرجحه شيء أبداً، وأن ما خالف العقل لا يكون ديناً.
- وبناء على النظر في سياق الحديث، ورد الحديث الصحيح إن خالف ظاهر القرآن، والأخذ ببعض الأحاديث الضعيفة وإن خالفت المعنى القرآني. وعدم الأخذ بحديث الآحاد في إثبات العقائد، وتقييده الإجماع، وتضييقه لنطاق الغيبيات ويوافق المعتزلة.

ورغم أنه يؤثر مذهب السلف في الصفات كما يقول إلا أننا نجده يؤول بعضها كما في صفة القدم، ويمدح مذهب الأشاعرة في التأويل ويدافع عنهم وبهذا يوافق الأشاعرة، ومع هذا كله نجده يذم علم الكلام.

وبهذا يتضح لي أن الشيخ الغزالي رحمه الله يوافق السلف في مواطن ، ويوافق المعتزلة في مواطن ، ويوافق الأشاعرة في مواطن أخرى.

---

(١) انظر حوار هادئ. ص١٩.

(٢) المصدر السابق. ص٢٠.

الفصل الثالث

آراء الشيخ محمد الغزالي العقدية وفيه مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالله تعالى.

المبحث الثاني: الإيمان بالملائكة .

المبحث الثالث : الإيمان بالكتب.

المبحث الرابع : الإيمان بالرسل الكرام.

المبحث الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث السادس: الإيمان بالقدر.

الفصل الثالث

آراء الشيخ محمد الغزالي العقدية وفيه مباحث:

المبحث الأول : الإيمان بالله[1] .

إن الإيمان بالله هو الركن الأول من أركان الإيمان، وسأتحدث عن المسائل المتعلقة بالإيمان والتي تتمثل فيما يلي:

ـ لقد عرف الشيخ الغزالي رحمه الله الإيمان بقوله: (الإيمان معرفة بلغت حد اليقين، أو هو علم يصحبه الجزم والقطع[2]).

ثم يرى أن معنى الإيمان بالله: (أن أكون أهلاً لمعرفته وجديراً بالانتماء إليه، ولا يصلح لذلك إلا من هذب نفسه وصان مسلكه، إنك لا ترشح نفسك لصحبة كبيرة إلا إذا أصلحت هيئتك وزكيت سيرتك، فكيف ينتمي إلى الله مسف في أحواله، مسيء في أعماله، مريب في خلاله؟![3]).

ثم ذهب إلى أن الإيمان بالله يتضمن أمرين: نظري ونفسي، فقال : (والإيمان بالله ـ جل شأنه ـ ينطوي على الأمرين جميعاً: النظري والنفسي.

---

(١) الإيمان لغةً:كلمة: "الإيمان" في اللغة هي : " التصديق". انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٥١٣. ٥١٤) للأزهري. تحقيق: عبد السلام هارون . طبعة البابي الحلبي. مصر. الثانية. ١٣٨٩هـ.

قال ابن فارس : (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة،ومعناها سكون القلب،والآخر التصديق ،ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[يوسف: ١٧]. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس . مادة أمن (١٣٣/١).

وفي الإصطلاح: قال ابن دقيق العيد: (الإيمان بالله: هو التصديق بأنه سبحانه موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزه عن صفات النقص ، وأنه واحد حق صمد فرد خالق جميع المخلوقات متصرف فيما يشاء يفعل في ملكه ما يريد) انظر: شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية(٢٩/١).

وقال ابن تيمية في صدد نقله مذاهب الفرق في الإيمان : (وصار أصحاب الحديث إلى أن الإيمان معرفة بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركن) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية. الفصل الثالث في بيان أن كلام الله واحد (٥٠٨/٦).

(٢) الجانب العاطفي من الإسلام. صـ٢٥.

(٣) من مقالات الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله. جـ٢. صـ٢٣.

فإذا قلت: أنا أومن بالله فمعنى ذلك أن تعرفه، وأن معرفتك له لا تلتبس بشك أو تردد، بل إن فؤادك مليء بالتصديق لقضية هذا الوجود الأعلى.

وبديهي أن تتفاوت حقائق الإيمان في النفوس بتفاوت المعرفة ضيقا وسعة، وتفاوت التصديق عما وقربا.

فهناك عارفون بالله معرفة صافية الرونق، مجلوة الأفق، شديدة التألق كأنها معرفة دراسة وخبرة. وهناك معرفة دون ذلك.

وهناك أصحاب قلوب مفعمة باليقين، راسخة الثقة، تمر بها العواصف كما تمر الرياح بشماريخ الذرى لا تزحزحها عن الحق قيد أنملة.

وهناك يقين دون ذلك على أن الإيمان إذا كان معرفة وتصديقاً. فإن هذه المعرفة يجب أولاً أن تتسم بالصحة، وإلا فلا قيمة لتصديق لبابه الخطأ[(1)]).

وانتهى الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن: (الإيمان العميق يجعل المرء كما وصف الرسول الكريم: «أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك[(2)]»[(3)]).

ثم ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله آيات من القرآن الكريم أشارت إلى أن متعلقات الإيمان كثيرة لا يجوز أن ينفك أحدها عن الآخر، وأن آثار الإيمان العملية لا يمكن أن تنفصل هي الأخرى عن طبيعة اليقين الموحى بها.

والإيمان ببعضها والكفر ببعض كفر كامل . وهذه الآيات هي: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال:٢]. ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[الحجرات:١٥]. ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[الأنفال:٤٧]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء:١٣٦]..

---

(١) الجانب العاطفي من الإسلام. ص٢٥-٢٦. محمد الغزالي. طبعة دار القلم. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٢) رواه عبد بن حميد في مسنده (ص: ٢٢٥حديث ٦٧٥) قال الألباني : (ضعيف جدا) انظر ضعيف الترغيب والترهيب (١٩٢/٢)حديث(١٩٨١)– محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

(٣)من مقالات الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله. جـ١. ص٥٩.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾[النساء: ١٥٠-١٥١].

أولاً : . وجود الله تعالى:

يرى الشيخ الغزالي رحمه أن وجود الله تعالى من البداهات وهو فطريٌ في قلوب العباد فقال: (وجود الله تعالى من البداهات التي يدركها الإنسان بفطرته، ويهتدي إليها بطبيعته.

وليس من مسائل العلوم المعقدة، ولا من حقائق التفكير العويصة.

ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء،واقتراب المسافة جداً قد يعطل الرؤية،ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[إبراهيم: ١٠].

. ثم ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن معرفة الله تعالى مركوزة في كل طبع فقال: (معرفة الله سبحانه وتعالى مركوزة في كل طبع، واسمه الكريم معروف في كل لغة، واختلاف الأجناس والألسنة لم يصرف الأفئدة والأفكار عن هذه الحقيقة الواحدة [١]).

ثم يرى أن من حق الله أن نعرفه ولو لم يبعث لنا رسلاً فقال: (من حق الله أن نعرفه ولو لم يبعث لنا رسلاً! فآثاره تدل عليه، وفطرتنا تتجه إليه، ومع ذلك فقد شاء . رحمة منه وفضلاً . أن يبعث إلينا من أنفسنا من نأنس بهم ونتعلم منهم [٢]).

ويرى أن معرفة الله: (لم تأخذ امتدادها الكامل وسماتها الراشدة، ولم تبرأ من الأوهام وتبعد عن الأهواء، إلا عندما تلقاها الناس مصفاة من ينابيع الوحي، وسمعوا آياتها تتلى من أفواه الأنبياء [٣]).

- **أدلة وجود الله عند الشيخ الغزالي رحمه الله :**

لقد ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أربعة أدلة على وجود الله تعالى وهي كما يلي:

١. دليل الإبداع:

قال الشيخ الغزالي رحمه الله: (إن الإنسان لم يخلق نفسه، ولم يخلق أولاده، ولم يخلق الأرض التي يدرج فوقها، ولا السماء التي يعيش تحتها.

---

(١) عقيدة المسلم. صـ٢٢.

(٢) التفسير الموضوعي. صـ٢٧٩.

(٣) عقيدة المسلم. صـ٢٢.

والبشر الذين ادعوا الألوهية لم يكلفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك.

فمن المقطوع به أن وظيفة الخلق والإبراز من العدم، لم ينتحلها لنفسه إنسان ولا حيوان ولا جماد.

ومن المقطوع به كذلك، أن شيئاً لا يحدث من تلقاء نفسه، فلم يبق إلا الله.

وقد قرر القرآن الكريم هذا الدليل:﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الطور:٣٥-٣٦]. ، ويلفت أنظار العرب إلى مظاهر الإبداع في المجتمع الساذج الذي يحيون فيه:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾[الغاشية:١٧-٢٠])[١] .

٢. دليل العناية:

قال الشيخ الغزلي رحمه الله: (لو دخل المرء دارًا، فوجد بها غرفة مهيأة للطعام، وأخرى للمنام، وأخرى للنظافة، وأخرى للضيافة... إلخ، لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده، وأن هذا الإعداد النافع لابد قد نشأ عن تقدير وحكمة، وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل ، والناظر في الكون وآفاقه، والمادة وخصائصها، يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة، شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب، وأفاد منها الناس أجل الفوائد.

وما وصل إليه علم الإنسان من أسرار العالم، حاسم في إبعاد كل شبهة توهم أنه وُجد كيف ما اتفق.

كلا. إن النظام الدقيق المختفي في طوايا الذرة؛ مطرد فيما بين أفلاك السماء الرحبة من أبعاد:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الفرقان:٦١-٦٢].﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[الجاثية:١٢-١٣])[٢].

---

(١) نفس المرجع . ص ١٥

(٢) عقيدة المسلم . ص ١٦

٣ : دليل الحركة:

وقال الشيخ الغزالي رحمه الله فيه: (هل فكرت في هذه السيارات المنطلقة . أعني هذه الكواكب التي تخترق أعماق الجو . والتي تلتزم مداراً واحداً لا تنحرف عنه يميناً ولا يساراً، وتلتزم سرعة واحدة لا تبطيء فيها ولا تعجل، ثم نرتقبها في موعدها المحسوب فلا تخالف عنه أبدا؟!

إن الكرة تنطلق من أقدام اللاعبين ثم لا تلبث أن تهوي بعد تحليق.

أما هذه الكرات الغليظة الحجم، الحي منها والميت، المضيء منها والمعتم، فهي معلقة لا تسقط، سائرة لا تقف..! كلٌ في دائرته لا يعدوها.

وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أصحاب بصر وعقل.

أما هذه الكواكب التي تزحم الفضاء فإنها لا تزيغ ولا تصطدم :

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس:٣٨-٤٠]. من الذي هيمن على نظامها وأشرف على مدارها؟ بل من الذي أمسك بأجرامها الهائلة، ودفعها تجري بهذه القوة الفائقة؟

إنها لا ترتكز في علوها إلا على دعائم القدرة، ولا تطير إلا بأجنحة أعارها لها القدر الأعلى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾[فاطر:٤١].

أما كلمة الجاذبية فدلالتها العلمية كدلالة حرف "س" على المجهول، إنها رمز لقوانين تصرخ باسم الله، ولكن الصم لا يسمعون! [(١)]).

٤. دليل الحدوث:

وقال الشيخ الغزالي رحمه الله فيه: (لاشك أن لوجود كل واحد منا بداية معروفة ، فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئاً يذكر: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ ﴾[الإنسان:١]. وعناصر الكون الذي نعيش فيه كذلك، لها بداية معروفة.

---

(١) عقيدة المسلم. ص١٦-١٧، وانظر من مقالات الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله جـ١. ص١٢٨-١٢٩.

وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها أعماراً محدودة، مهما طالت، فقد كانت قبلها صفرا. وكان هناك ظن بأن المادة لا تفنى، اعتمد عليه فريق من الناس في القول بقدم العالم وما يتبع هذا القدم الموهوم من أباطيل.

على أن تفجير الذر ة هدم هذا الظن، ولو لم يتم تفجيرها ما قبلنا هذا الظن على أنه حقيقة ثابتة. فإن المفتاح الذي يفتح على العالم أبواب الفناء ليس من الضروري أن يضعه الله في أيدي العلماء.

وعدم اهتداء الناس إلى ما يدمر مادة الكون، لا يعني أن مادة الكون غير قابلة للدمار والفناء.

ولم لا يكون ذلك حصانة أقامها القدر الأعلى، حتى يمنع العالم من الانتحار؟.

إننا جازمون بأن وجودنا محدث، لأن تفكيرنا وإحساسنا يهدينا لذلك. وغير معقول أن يتطور العدم إلى وجود تطورا ذاتيا.

إنه إذا وقعت حادثة لم يظهر فاعلها.. قيل: إن الفاعل مجهول. ولم يقل أحد قط: أن ليس لها فاعل. فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وربه؟ إننا لم نكن شيئاً فكنا ، فمن كوننا؟؟ ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١])[1].

- **ذات الله تعالى عند الشيخ الغزالي رحمه الله :**

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله: أن حقيقة الذات الإلهية أمر وراء كل ما نتصوره فيقول: (أما حقيقة هذه الذات العظمى فأمر وراء كل ما نتصور ...

ولكن لما لم يكن بد من أن نتصور فقد أسعفنا القرآن الكريم بالقدر الضروري الذي يسد حاجتنا في هذا المقام، فجعل للإله مفهوماً غير مجّسد "ذاتا" لها العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر وغير ذلك من صفات الكمال التي تليق برب العالمين ...

الله ذات... ولكن ليس كمثله شيء!![2]).

وقال: (وإنما اختار الإسلام لمفهوم الإله . في أذهان البشر . مقاماً وسطا بين التجسيد والتجريد.

(١) نفس المرجع ، ص ١٨

(٢) نفس المرجع. ص٥٤.

فحيث ينظر الإنسان إلى الله في القرآن الكريم يجد " الله" سميعاً، بصيراً، عالماً، قاد را، حكيماً، مريداً، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، قائم على الملك، مستوياً على عرشه، والملائكة حافون من حول العرش لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وهذا من شأنه أن يخيل للإنسان صوراً ما " للذات".

ثم ينظر المسلم في كتاب الله فيرى "الله" "ليس كمثله شيء"...

ويعمل هذا المفهوم عمله في تفكير الإنسان، لتأخذ تلك المفاهيم التي كانت قد بدأت تتشكل وتتجسد تأخذ في "الذوبان" كما تذوب صخور الثلج في عباب المحيط[1]).

وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله كلاماً لعبد الكريم الخطيب[2]، نقله إتماماً للفائدة فقال:

(وللأستاذ عبد الكريم الخطيب كلام في هذا الموضوع ننقله إتماماً للفائدة... قال: والذات الإلهية ليست ذاتا مبهمة مجهلة. كما أنها ليست محدودة مجسدة.

هي "ذات" لا كالذوات التي يراها الحس أو يتخيلها الوهم، لأنها لو وقعت في دائرة الخيال ـ مهما امتد واتسع ـ كانت بهذا المعنى محددة مقيدة..

وذات الله ـ مع أنها فوق أن تدرك، وفوق أن تحد ـ قد وصفت في القرآن بصفات كثيرة كالإرادة، والعلم، والقدرة، وغيرها. وهي صفات كاملة الكمال المطلق.

ومع هذا فلا بد أن تضاف إلى "ذات" كما تضاف مثل هذه الصفات وغيرها إلى ذواتنا. مع الفارق البعيد بين كمالها في ذات الإله، ونقصها في ذات الإنسان!

جاء في القرآن الكريم كثير من هذه الآيات التي تضيف إلى الله صفات عاملة في الوجود. كقوله تعالى في أول ما نزل من الكتاب :﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾[العلق:١-٥]. ، ففي الآيات تعريف بذات الله، وأنها تخلق وتعلم، وكقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾[البقرة:١٨٥]. فالله سبحانه وتعالى مريد. وبإرادته تتعلق مصاير الأمور، وكقوله جل شأنه: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾[الرعد:٨-٩]. فالله في

---

(١) نفس المصدر : ص٤٤.

(٢) مفكر مصري إسلامي معاصر فيلسوفي. باحث معروف ومفسر واسمه الكامل عبد الكريم محمود يونس الخطيب صاحب كتاب : (التفسير القرآني للقرآن) المتوفى سنة ١٤٠٦م. الموافق لشهر تشرين الثاني عام ١٩٨٥م انظر ترجمته في إتمام الأعلام. د.نزار أباظة ومحمد رياض المالح. دار صادر. ط٢. بيروت. ٢٠٠٣م.

هذه الآيات يعلم وهو حكيم... وكل شيء عنده بمقدار، وقد وصف نفسه بأنه الكبير المتعال، وكقوله سبحانه:﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾[الشورى:١٩]. فالله لطيف ، وقوي ، وعزيز، وكقوله تعالى : ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[المجادلة:١]. فذات الإله ذات تسمع كل شيء، وترى كل شيء ، ويقول جل شأنه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[آل عمران:٥-٦]. وأكثر فواصل القرآن تنتهي بصفة من صفات الله تعالى. أو المزاوجة بين صفتين من صفاته.

فمن النوع الأول قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾[النساء:٣٢]. وقوله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴾[النساء:١٢٦].

ومن النوع الثاني وهو الأعم الأغلب قوله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [النساء:٩٦]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء:٣٤]. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾ ﴾[البقرة:٢٢٤]. ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[آل عمران:٦]. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ ﴾[الإسراء:٣٠]. ولا شك أن هذه الصفات .كما قلنا .كلما ذكرت ذكر معها "ذات" تعمل في الوجود بهذه الصفات. وأن تلك الصفات لابد أن تضاف إلى ذات تقوم بها.

وأكثر من هذا، فقد جاء في القرآن آيات تذكر "للذات" يداً، وعيناً، ويدين، وأعيناً كقوله تعالى:

﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[طه:٣٩]. وقوله:﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[الفتح:١٠]. وقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة:٦٤]. وقوله:﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾[هود:٣٧].

كذلك ورد في السنة المطهرة أحاديث تذهب هذا المذهب، كقول الرسول الكريم: « خلق آدم على صور ة الرحمن[1] » وقوله صلى الله عليه وسلم:« لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد حتى

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١٧حديث رقم ١١٥) بلفظ «إذا قاتل أحدكم أخاه. فليجتنب الوجه. فإن الله خلق آدم على صورته»:وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٦٨حديث رقم ٤٩٨) تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني الناشر: دار ابن القيم – الدمام الطبعة: الأولى. ١٤٠٦

يضع رب العزة قدمه فيها. فتقول قط قط "كفى كفى" وعزتك. فيزوي بعضها إلى بعض[1]»
وقوله:«قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفه كيف يشاء[2]!».

فهذه الآيات وأمثالها لا يمكن أن يقرأها قارئ أو يستمع إليها مستمع دون أن تتحرك في ذهنه صور لهذه الصفات، وأن يكون لهذه الصفات متعلق بأي "ذات" تفيض عنها..!

قال: ويصح لنا أن نسأل: أكل ما ذكر عن ذاته وصفاته في كتاب الله، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الوضوح والجلاء بحيث لا يحتاج إلى سؤال أبداً؟ ونستطيع أن نقول في الإجابة على ذلك: نعم.

فإن مفهوم الألوهية حين يعرف الإنسان الطريق إليه، وحين يتلقاه بقلبه ويستقبله بفطرته . لواضح أشد الوضوح. إذ هو الكمال المطلق الذي يسمح للإنسان أن ينطلق إلى ما لا نهاية في السمو والارتفاع بمقام الذات... وكلما انتهى إلى غاية مد بصره إلى غيرها وهكذا أبداً:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى:١١]. وفي هذا "المفهوم" عاش الصحابة والتابعون . رضوان الله عليهم . لا يسألون: ما يد الله؟. وما عينه؟. وما قدرته؟. وما علمه؟.

فلقد هدوا بفطرتهم ألا جواب لهذه الأسئلة إلا ما يجده المرء في قلبه وفي كيانه كله، من تقديس الله وجلاله، ونسبة الكمال المطلق كله إليه!

ولقد هُدُوا بفطرتهم أيضاً إلى أن العقل لا يستطيع أن يدرك كنه صفة من هذه الصفات.

ولا أن يمسك بها على أية صورة. فإن أية صورة لن تكون هي أبداً ما دام الكمال المطلق هو صفتها [3]).

ثانياً: أسماء الله تعالى وصفاته:

١ : أسماء الله تعالى:

نجد كلام الشيخ الغزالي رحمه الله عن أسماء الله تعالى كما يلي:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته (٨/ ١٣٤) حديث رقم(٦٦٦١)

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥) حديث رقم(١٧).

(٣) عقيدة المسلم. ص٤٠،٤٣.

– لقد ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن أسماء الله تعالى توقيفية، ووصف الله بها فيه ملحظ جميل فقال: (وصف الله بها فيه ملحظ جميل، إن القمر جسم مظلم، ونوره بالليل هو من انعكاس ضوء الشمس على سطحه، كذلك الكائنات كلها لا وجود لها من ذاتها، وإنما وجودها من ذات الله الذي منحها الحياة والبقاء، فهو مصدر إيجادها وإمدادها، وله وحده الوجود من ذاته...[1]).

واستدل على أن أسماءه حسنى بما ورد في القرآن الكريم من آيات وهي:

قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨]. وقوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف:١٨٠]. وقال: (إن المتأمل في هذه الأسماء يجدها صفات علا، ونعوت كمال وجلال وجمال ، والصفة تسمى اسماً إذا دامت لصاحبها ولازمته فلا تنفك عنه كأنها أشبهت العالم الذي أطلق عليه وعرف به!..

والأسماء الحسنى ـ بهذا المعنى ـ كثيرة، لأن معالم العظمة الإلهية ليست لها نهاية، وهي مبثوثة في القرآن كما تنبث النجوم في آفاق السماء ـ ولله المثل الأعلى ـ ويغلب أن تختم بها آيات، ويختار الاسم، أو الأسماء الخاتمة من السياق الذي جاءت به الآيات...[2]).

- وذكر أن لله تسعة وتسعين اسماً، واستدل على ذلك بالحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسما، من حفظها دخل الجنة، إن الله وتر يحب الوتر[3]»وفي رواية:«من أحصاها دخل الجنة[4]».
- وذكر المراد بالإحصاء فقال: (والمراد بالإحصاء ألا يقتصر في معرفة الله ودعائه على بعض دون بعض، بل يعيها كلها، ويتعرف على الكمال الأعلى والعبودية الصحيحة من خلال مدارستها وإشراب القلب حقيقتها...

وليس المقصود أن الأسماء الحسنى محصورة في هذه التسعة والتسعين، فهي أكثر من ذلك...[5]).

---

(١) سر تأخر العرب والمسلمين. ص٨٢.

(٢) مائة سؤال عن الإسلام. ص٣٠٣. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الرابعة يوليو ٢٠٠٥م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥٩)حديث رقم(٢٧٣٦)

(٤) نفس الحديث السابق .

(٥) مائة سؤال عن الإسلام. ص٣٠٣.

٢. صفات الله تعالى:

ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يشبه شيئاً من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بصفات كثيرة من الصعب إدراك حقيقتها على النحو التي تدرك بها أمورنا المعتادة، بل هي مستحيل[١]!

ثم يقول: (إن الكيمائي قد يعرف خواص سائل أو غاز يقلبه تحت يده، ويجري عليه ما شاء من تجارب . فكيف يجوز للعباد أن يتدخلوا بالبحث النظري في شأن الألوهية لينكروا أو ليثبتوا؟ وشأن الألوهية بالنسبة إليهم عزيز المنال، والحق يقول في كلامه عن ذاته وصفاته:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾[آل عمران:٧]. ، ويقول: (فكل ما قطعنا بثبوته في كتاب الله وسنة رسوله مما وصف الله به نفسه وأسنده إلى ذاته، قبلناه على العين والرأس، لا نتعسف له تأويلاً ولا نقصد به تجسيماً ولا تشبيهاً(٢)).

- وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن لله صفاتاً نجده تحدث عنها كما يلي:

١. صفة الوجود.

قال: (وجود الله سبحانه ممتد في القدم بحيث لا يتصور قبله وجود قط.

وما دام كل وجود قد نشأ عنه، فالله تعالى أسبق منه، ونحن لا نعرف عن الأول شيئاً، إذ عهدنا بالوجود قد حدث بعد ميلادنا [٣]).

(أما الوجود الإلهي فقديم لا أول له [٤]).

وقال: (ومن ثم فنحن نؤمن بقدم الذات الإلهية وامتداد هذا القدم في أغوار الأزل الذي لا نعرف عنه كنهه.

(١) عقيدة المسلم. صـ٣٧.

(٢) المصدر السابق. صـ٣٨.

(٣) المصدر السابق. صـ٣٣.

(٤) المصدر السابق. صـ٣٣.

ذلك وطبيعة الوجود المحدث تقتضي البداية والنهاية، أما من وجوده من ذاته فحقه أسمى من أن يسبقه أو يطرأ عليه عدم [(١)]).

ويرى أن الفارق بين وجودنا ووجود الله، أن الله تبارك وتعالى وجوده واجب له من ذاته.

أما نحن فليس لنا من ذواتنا شيء قط، إن منحنا نعمة الوجود بقينا ما بقيت معارة لنا، وإلا اختفينا فلم يمسكنا شيء [(٢)]).

٢. صفات المعاني:

لقد ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله صفات المعاني كما هي عند المتكلمين وأضاف إليها صفة الحكمة تحت عنوان (الكمال الأعلى): [(٣)] .

١. القدرة :

قال :(القدرة : العالم وما فيه من سكون وحركة، أثر لقدرة الله . سبحانه وتعالى . . وليست لشيء ما، قدرة ذاتية يستمدها من طبيعته المجردة. فإذا رأيت الجذور تشق التربة، وتنمو رويدًا رويدًا لتستوي على سوقها، فذلك بقدرة الله. وإذا رأيت الأمواج تلطم الشطئان رائحة غادية لا تهدأ حتى تثور، فذلك بقدرة الله، وإذا رأيت القاطرات أو الطائرات تنهب الفضاء، وتطوي الأبعاد، وتحمل الأثقال، فذلك بقدرة الله . وإذا رأيت البشر يموج بعضهم في بعض، وينفعلون بالحب والبغض، والفرح والحزن، وينطلقون عاملين، أو يهدأون نائمين، فذلك بقدرة الله . وسواء شعرت أو لم تشعر، فنبضات قلبك في حناياك، وسريان دمك في عروقك، وكمون الحس في أعصابك، وتجدد الحياة في خلاياك، وانسكاب الإفرازات من غددك، ذلك كله بقدرة الله . لا تحسبن شيئًا في الكون قادرًا بنفسه. فكما أن القدرة أبدعته أولاً من عدم؛ فقد أودعت فيه من إسرارها، وبثت فيه من آثارها، ما يدل عليها. وبعض الجاحدين من علماء الطبيعة يردون ما يقع تحت أبصارهم من هذه الدلائل الباهرة إلى مجهول محض، أو قوى كامنة من المواد والعناصر المختلفة . وهذا تخريف شائن، وتسفيه للعقل، ومغالطة للواقع .

---

(١) عقيدة المسلم. صـ٣٤.

(٢) عقيدة المسلم. صـ٣٧.

(٣) انظر عقيدة المسلم. صـ٧٦ — ٧٩ .

إن النور المتولد عن انتشار الكهرباء في الأسلاك، والحركة الناشئة عن امتداد الأبخرة في المواسير، والحديد المرتفع في الجو، نتيجة تغيير المراوح الدائرة لمقادير الضغط ـ حول الطائرة ـ، كل أولئك لا يرفع قدر عنصر من العناصر المخلوقة، فيهب له مرتبة الوجود المستقل، فضلاً عن الإيجاد الرائع! لماذا يطلب منا أن نظن في مواد التربة أنها ـ بقدرتها ـ خلقت النبات؟ ولو كان ذلك حقًّا، فما الذي يمنع التربة أن تكون إلهًا ؟ ولو كانت العناصر جميعًا بهذه المثابة مع حركاتها وسكونها، فأي خبط نقع فيه نتيجة هذا الفرض الأحمق؟. أليس أقصر طريق نصل به إلى الحق أن ننظر إلى العالم كله، من أرضه لسمائه، على أنه صنع القدرة العليا، وأن كل ما يتجدد فيه إنما يقع تحت إشراف القدرة وهيمنتها؟)[1] ثم يقول : (من المؤسف أن تكون السمة الغالبة على العلوم الطبيعية كافة أنها تقوم على البحث المجرد فى مادة الوجود، وعلى تعرف حقيقة العلاقات والروابط بين شتى العناصر. وقلما تلتفت إلى شيء بعد ذلك، إذا وفقت إلى نتائج معينة فى موضوع بحثها. وتنتهي أغلب هذه العلوم بمن يدرسونها إلى علم جيد بالمخلوقات، وجهل مطبق بخالقها؛ لأنه لم ترد إليه إشارة ما في غضون بحوثها الكثيرة المتشعبة. وهذه ـ لا ريب ـ خيانة علمية، فإن دراسة هذا الكون العظيم تنفذ إلى صميم الفكر الحر بأشعة من الهدى والإيمان. وتجعل الإنسان يتطلع ـ ملء الفؤاد ـ بعواطف الرهبة والرغبة إلى هذا الخالق العظيم .

أما الالتفات من وراء هذه الحجب الشفافة إلى عظمة الله ـ جل جلاله ـ فأمر لا يكترث له كثير من علماء الكون والحياة. وهكذا تظل بحوثهم مبتورة ؟ لأنها تنقصها الحلقة المفقودة بين الخلق والخالق. من ذلك كله نعلم أن الله قدير على كل شيء ، وأنه قوي متين، وأنه لا يؤوده خلق ولا أمر. ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾[فاطر:٤٤] . ، والقدرة في مجالها الواسع لا يعييها شيء ألبته، وآثارها التي نشهدها تدل على طاقة لا تقف عند حدود ، وليس معنى ذلك بداهة أن تخرج القدرة على منطقها. فيقال ـ مثلاً ـ: إنها لا تستطيع قلب الحقائق! وقد كان الدكتور زكي مبارك[2]

---

(١) عقيدة المسلم. ص٨١

(٢) هو زكي عبد السلام مبارك أديب وشاعر وصحفي وأكاديمي عربي مصري. حصل على ثلاث درجات دكتوراه متتالية فلقبه البعض إثر ذلك بالدكاترة زكي مبارك . درس في الجامعة المصرية لعدة سنوات وعمل مفتشا عاما للغة العربية. ولد بمحافظة المنوفية عام ١٨٩٢م كتب لجريدة البلاغ وغيرها من الصحف نحو ألف مقال في موضوعات متنوعة . وتوفي في ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢م. مصدر الترجمة : الموسوعة الحرة ـ ويكيبيديا .

سخيفًا، ولعله كان سكران يوم كتب في (البلاغ [1]): إن الله لا يستطيع إخراجي من ملكه، وإن الله لا يستطيع الجمع بين النقيضين..! والجنون فنون) [2].

وما ذكره الشيخ الغزالي رحمه الله عن زكي مبارك أراه محقا فيه .

٢. الإرادة :

قال الشيخ الغزالي رحمه الله : (الإرادة والله ـ سبحانه وتعالى ـ فيما خلق وفيما يخلق، وفيما دبر ويدبر به شؤون العالم ـ كان يصوغ الكائنات في الأوضاع التي يريدها، ويضفي عليها الأوصاف التي يشاؤها، ويبرزها في الأوقات التي يختارها، لا يستكرهه أحد على شيء من ذلك كله. وما ترى في الأرض والسماء من تنوع في الوجود ، وتميز في السمات، هو مظهر الإرادة الحرة في تعلقاتها كافة. فما أوجده الله في هذا العصر كان من حقه الكامل أن يوجده في الأيام الخالية. وما جعله الله كوكبًا متألقًا كان يستطيع جعله جندلا باردا. وتوزيع الصفات والأحجام والأحوال في أنحاء الكون العريض ليس إلا المشيئة العليا لله ـ عز وجل ـ . ولو أراد أن يخلق العالم الذي نعيش فيه على نحو آخر في قوانينه وأنظمته وأحيائه وأشيائه كلها لفعل . وإنك لترى انطلاق المشيئة دون أي عائق فى إخراجها الأصناف المختلفة من الأصل الواحد ! فالحقول المتجاورة تختلف محصولاتها كمًّا وكيفًا! والبذور المتجانسة تتفاوت فروعها حلاوة وحموضة، ولونًا ووزنًا في النبات، ولؤمًا ونبلاً وذكاءً وبلادةً في الإنسان والحيوان. ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[الرعد:٤]).

وقديمًا استدل الأئمة على عظمة الإرادة – في هذا المعنى – بالنحل يأكل من ورق الشجر فيحوله شهدًا ، ويأكل منه الدود فيحوله حريرًا ، وتأكل منه أطيار أخرى فتحوله قذرًا.

وإذا اتجهت الإرادة إلى شيء فيستحيل أن يتخلف أثرها. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[هود:١٠٧]. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس:٨٢].فإرادة الله نافذة في السماء والأرض، لا راد لها ولا معقب عليها. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[القصص:٦٨]. وقد تطلق الإرادة على قصد الشيء بأسلوب

---

(١) جريدة مصرية .

(٢) عقيدة المسلم . ص٨٢

سلبي. فأنت إذا خرجت من بيت يستطيع صاحبه منعك من الخروج منه ولكنه[1] تركك، فهو بسكوته يريد خروجك. وإلى هذا المعنى يشير المتنبي – لما ترك سيف الدولة مغاضبًا – ثم قال – مبررًا عمله – وملقيًا التبعة على صاحبه:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم؛ فالراحلون همو[2]

ومثل هذا ترك امرئ يمشي في طريق الضلالة ويهيم على وجهه، لأنه حرم أسباب اللطف، والله قادر على سوقها إليه لو شاء! ولعل ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾[آل عمران:١٧٦]).

٣. الحكمة :

قال الشيخ الغزالي رحمه الله :(الحكمة وشمول الإرادة وعموم القدرة؟ وكون الله . سبحانه . يفعل ما يريد متي يريد كيف يريد، ليس معناه أن أمور الخلق والرزق، وشؤون القبض والبسط، وحظوظ الرفعة والضعة، والإعزاز والإذلال، والنصر والهزيمة – أن هذه جميعًا تصدر على طريقة الارتجال السريع، أو الخواطر السانحة، أو تتم اتفاقًا وتقع مصادفات عارضة! كلا كلا. فإن الكون كله خاضع لشبكة دقيقة النسج من الأسباب والمسببات، والسنن الثابتة الخالدة، والقوانين المترابطة المتكاملة، لا تضطرب ولا تختلف ، ولو أجمع البشر على مناقضتها. فالنبات يتم نضجه بالإرادة والقدرة .. ولكن مظهر الإرادة والقدرة . فيما نعرفه . من غرس وسقي ، وتعهد وزمان؟ ومكان. والجنين يكتمل بشرًا سويًّا بالإرادة والقدرة. ولكن اكتماله في أطوار

---

(١) نفس المصدر . ص٨٤

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يخاطب بها سيف الدولة ومطلعها :

وا حر قلباه ممن قلبه شبم ** ومن بجسمي وحالي عنده سقم

ما لي أكتم حباً قد برى جسدي ** وتدعي حب سيف الدولة الأمم

إن كان يجمعنا حب لغرته ** فليت أنا بقدر الحب نقتسم

يا أعدل الناس إلا في معاملتي ** فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

انظر: شرح ديون المتنبي للعكبري (٣٧٢/٣) المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي الناشر: دار المعرفة – بيروت. والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ (٢٦٦/١) بتحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد. مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى. الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة. وخزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (١٩٦/١) المحقق: عصام شقيو. الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت. الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.

وأحوال، لابد من توافرها، ويستحيل أن يولد بغيرها وقول الله إنه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء. لا يعني أنه . بين عشية وضحاها . يقيم دولة ويهدم أخرى. فدون إقامة الممالك وقبل انهيارها توجد مقدمات طويلة تستغرق سنين أو عصورًا، حتى تقع نتائجها اللازمة. وأصحاب العقول الضيقة والأفكار القاصرة يحسبون أن وصف الله . عز وجل . بأنه يفعل ما يشاء، معناه أن أحكامه في عباده لا ضابط لها.

ولعلهم يقيسون سعة السلطان الإلهي على ما عهدوه من تصرفات ذوي السلطة فيهم. أولئك الذين يخبطون خبط عشواء ويعبثون عبث الحمقى. تعالى الله عما يظن الجاهلون علوًّا كبيرًا. إن الأسباب والمسببات هي المفاتيح الملقاة بين أيدي البشر، ليصلوا بإرادتها إلى ما وراءها، من خير وشر. وعموم المشيئة والقدرة مقيد بما شرع الله في كونه ، أو بين عباده من قوانين كونية ، أو قوانين شرعية . كذلك ليس معنى أن الله يفعل ما يشاء أنه يثيب العاصي أو يعذب الطائع ، أي أنه يجوز عليه الظلم، ويقع منه الغبن. وهذا جهل شنيع، ونسبة ذلك إلى الله تكذيب لما قال في كتابه العزيز.. ثم إن هذه العدالة مردها إلى ما ينبغي لله من كمالات بداهة. وليس مردها إلى أنه لو ظلم تعرض لعقاب أو سؤال، فذلك مستحيل. ومن أين يحدث ذلك، وهو المتفرد في الوجود بالألوهية، بين عبيد عنت له وجوههم، وذلت له رقابهم ؟؟ إن بعض العامة من المسلمين يظنون في انطلاق المشيئة أن السنن الكونية صفر، وأن العدالة العليا قد تتخلف، ونشأ عن هذا استهتار غبي بالأعمال والمسئوليات ؛ سنعالجه عند الكلام على القضاء والقدر) [١] .

٤. الحياة :

قال الشيخ الغزالي رحمه الله : (الحياة مراتب الوجود تختلف رفعة وضعة؛ فالجماد أنزل رتبة من النبات، والحيوان أعلى درجة من النبات، والوجود الإنساني أرقى من أنواع الوجود الأخرى.

واتصاف الله . سبحانه وتعالى . بالحياة، معناه أن وجوده بلغ الغاية في عظمته وآثاره، فهو موجود؟ ويعرف أنه موجود، وهو يهب الوجود لغيره عن إدراك واختيار، ومن ثم فهو حي . إن بعض الفلاسفة الذين يقولون بأن العالم معلول فى وجوده بغيره ، ويسمون الخالق علة العلل أو مبدأ الوجود، يعطون صورة مبهمة عن هذا الوجود الأعلى. حتى لتحسب أن صدور الكائنات

---

(١) عقيدة المسلم . ص٨٦

عن بارئها الأعظم يشبه التفاعلات الكيماوية التي لا روح فيها ولا حياة معها، وهذا ضلال... فدلائل الحياة الكاملة تنبثق من الذات العليا انبثاقًا يتضاءل أمامه. كل ما نعرف من صنوف الحياة ودرجاتها المختلفة. أطلق لخيالك العنان، وتصور كل ما تنتجه الأيدى الحية من أعمال. وما تنشئه العقول الحية من أفكار، وما تهتز به الأفئدة الحياة من مشاعر . واجعل هذا الخيال يضم أشتات ذلك من مشارق الأرض ومغاربها، ويستجمع ما حدث في الأعصار الخالية، وما يحدث اليوم، وما سوف يحدث غدًا ؟ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... إن مظاهر هذه الحياة المفعمة بالقوة والإنتاج، لا تعد شيئًا مذكورًا بالنسبة إلى الحياة الإلهية الواسعة، بل هي أثر ضئيل من أعمال الحي الذي لا يموت، الحي الذي ينفخ من روحه في الموات فيهتز، وفي الجماد فيتحرك : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[الأنعام:٩٥])[1] .

٥. العلم :

قال الشيخ الغزالي رحمه الله : (الله تعالى عليم بكل شيء، لم يسبق معرفته جهل، ولا يعدو عليها نسيان، ولا يمكن أن تخالف الواقع. وعلمه محيط بالأسى واليوم والغد، بالظاهر والباطن، بالدنيا والآخرة.

قد يعرف الإنسان شيئًا عن حاضره، وقد يذكر طرفًا من ماضيه ، وما وراء ذلك فهو بالنسبة إليه عماء. بيد أن الإنسان لا يذكر من ماضيه الطويل إلا قليلاً من الحوادث، ولا يدري من تاريخ العالم الذي يعيش فيه شيئًا طائلاً. لكن الله – وحده – يحصي أعمالنا الماضية ساعة ساعة ، ويسجل أحوال العالم الغابر دولة دولة، وحادثة حادثة. قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾[طه:٥١-٥٢]. إنه علم يشرق على كل شيء، فيجلي بواطنه وخوافيه، ويكشف بداياته ونهاياته، ويكتنه ذاته وصفاته ، فالشهود والغيب لديه سواء، والقريب والبعيد والقاصي والداني.

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾[فصلت:٤٧].والعلم الإلهي يشرف على كل شيء إشرافًا تامًّا، ويهيمن على أطوار الموجودات – ما يحس منها وما يتوهم – هيمنة كاملة.

---

(١) نفس المصدر. ص٨٧

فعدد ما في صحاري الأرض من رمال، وعدد ما في بحار الدنيا من قطرات، وعدد ما في الأشجار من ورقات، وعدد ما في الأغصان من ثمار، وما في السنابل من حبوب، وما في رؤوس البشر وجلودهم من شعر. ثم ما يمكن أن يطرأ على هذه الأعداد الكثيرة من أحوال شتى، وما تحتاج إليه في وجودها من قوى متجددة، وما يعتريها من أوصاف متغايرة، ذلك كله يستوعبه شعاع واحد من أشعة العلم التي لا تدري عقولنا من كنهها قليلاً:﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾[الملك:١٣]. وهذا العلم من خصائص الذات المقدسة. وقد ينير الله بعض العقول بحقائق يسيره، على قدر طاقتها من المعارف الكونية، أو رشحات ضئيلة من الغيوب الخفية، حسب قواعد مدروسة، وحكم مأنوسة. وما وصل إليه البشر من ذلك مقرر معروف، وما أوتوا إلا القليل. أما الله ـ عز وجل ـ فكما قال فى كتابه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩]) [(١)] .

٦، ٧. صفتا السمع والبصر:

قال الشيخ الغزالي رحمه الله: (السمع والبصر عن عائشة ـ رضي الله عنها : " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ". لقد جاءت المجادلة " خولة " إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى جانب البيت تحدثه، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[المجادلة:١]. [(٢)] أجل! فما من كلام يدور بين الناس، أو حديث يتجاذبون أطرافه إلا سبق وقعه إلى سمع الرحمن، جل وعلا، قبل أي شيء! ولا تحسبن أن الله حين يسمع نجوى جماعة يشغله ذلك عن سماع قوم آخرين. كلا، فما يشغله شأن عن شأن، وما تغيب عنه همسة وسط الضجيج، ولا تشتبه عليه لغة على اختلاف الألسنة. إنك ـ بالوسائل التي هدي إليها البشر ـ تجلس في المشرق فتنقل إليك محطات الإذاعة الأغاني والأحاديث من المغرب، طاوية الأبعاد الشاسعة. فما أدرانا بما وراء ذلك من أسرار الكون. وما أيسر ـ في منطق العقل ـ أن يشرف رب الكون بسمعه على كل حركة وسكنة في الوجود، تنبعث من مصدرها القريب أو البعيد ، وليس ثم قرب ولا بعد بالنسبة إلى الله ـ فيعلم كنهها، ويسمع صوتها، ويبصر وضعها! إن ربك يسمع كل صوت.

---

(١) نفس المصدر . ص٨٩

(٢) ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً في باب قول الله تعالى: {وكان الله سميعا بصيرا} [النساء: ١٣٤] (٩/ ١١٧) .

وكما يحب الله صوت الوحي، تتلوه الألسنة؟ يكره صوت الفحش والسوء. ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾[النساء:١٤٨]. ولا تستكثر أن يقال لك: إن الله يسمع خفقان القلوب في خفايا الخلق أجمعين. فما القلوب إلا أثر قدرته، شحنها بالحياة ثم دفعها فهي تسير إلى أجل معلوم، فكيف لا يسمع أثر ما أوجد؟ وكما أن الله يسمع كل شيء، فهو يشهد كل شيء، ورؤيته تنظر في أعماق الظلمات فتستشف كوامنها. فما هو بحاجة إلى ضياء يبصر به الخفي، أو مكبر يعظم به الدقيق. إذا كنت ثالث ثلاثة، فاعلم أن هناك رابعًا يبصر ما تفعلون، ويسمع ما تقولون.

عندما أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون، توجسا من طغيانه، وقالا: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾[طه:٤٥]. إنه معهما، ومع كل كائن، من بدء الخلق إلى قيام الساعة، وما قبل ذلك وما بعد ذلك، يسمع ويرى. وهو ـ سبحانه ـ قد ركب في وجوهنا هذه العيون التي نقرأ بها ونكتب، ونشهد بها كما نشاء. ولكن ما قيمة رؤيتنا هذه إلى جانب الرؤية الإلهية المحيطة الشاملة. لو أن كل ذي بصر انتظموا صفًّا يستغرق محيط الأرض، ثم اجتهدوا في رؤية ما حولهم، ما أبصروا شيئًا يذكر إلى جانب الرؤية الإلهية التي تستوعب جميع المدركات، من جميع الجهات، في وقت واحد. سواء فيها المستخفي بالليل والسارب بالنهار، الخالي وحده، والبارز للناس: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس:٦١]. والإحساس بهذه الحقيقة جزء من الدين، بل هو قمته العليا)[١].

٨. الكلام :

قال الشيخ الغزالي رحمه الله : (الكلام هو وسيلة للإبانة عما في النفس من معارف ونصائح ورغبات شتى، وتفهيم ذلك للآخرين. ولاشك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ مستحق لهذا الوصف. فقد عهد إلى ألوف من ملائكته، بالقيام على شؤون الإحياء والإماتة، وفي أنحاء العالم العريض عهد إلى ألوف وألوف منهم بشؤون شتى، لا ندري منها إلا القليل.

وهذا التسخير الدائم خاضع لأوامر الله التي يتكلم بها، خلقا ورزقا، ورفعا وخفضا، ومحوا وإثباتا، وتقديرا وتدبيرا.

---

(١) عقيدة المسلم ـ ص٩١

وما حفل به علم الله فوق الحصر، وما يدل على هذا العلم ـ من كلمات لا نهاية لها ـ كذلك. إن أحدنا ـ في مباشرة أعماله المحدودة ـ يحتاج إلى قاموس من الألفاظ. فما ظنك برب العالمين، وهو يحكم ملكوته الواسع العظيم؟ ألا ترى أن كلامه من السعة والاستبحار على النحو الذي يقول الله تعالى فيه : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[لقمان:٢٧]. وكتب الله التي أنزلها على أنبيائه مظهر من مظاهر اتصافه جل شأنه بـ"الكلام ".

وقد كلم الله موسى تكليمًا، وسوف يكلم كثيرًا من عباده يوم القيامة. وأرسل الروح الأمين بختام الوحي إلى صاحب الرسالة العظمى. فكان القرآن الكلمة الأخيرة في هدايات الله لعباده) [(١)].

٣-الصفات الذاتية :

نجد الشيخ الغزالي رحمه الله يقول : (وقد وردت في الوحي الكريم كلمات عن الوجه ، واليدين ، والأعين والاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء ، والقرب من العباد ...إلخ ، حاول كثير من المسلمين استكْناه دلالتها واستكشاف حقيقتها ، فلم يرجعوا إلا بالحيرة حتى قال قائلهم :

نهاية إقدام العقول عقال ... وآخر سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم من جبال قد علا شرفاتها ... رجال فبادوا والجبال جبال [(٢)]

---

(١) نفس المصدر . ص٩٢

(٢) الأبيات للإمام فخر الدين الرازي . انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢٣٥/٥) لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني المحقق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر- بيروت – لبنان ص. ب ١٠. الطبعة: الأولى ، ١٩٩٧م ، والكشكول (٤٨/١) لبهاء الدين الهمذاني . المحقق: محمد عبد الكريم النمري
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م

ولاغرو (فإن البحث عبث فيما لا يملك المرء وسائل الخوض فيه) [1] .

وهذا يعني أن الشيخ الغزالي رحمه الله اعترف بهذه الصفات الذاتية التي ذكرها ، دون التعرض لكيفتها.

(١) عقيدة المسلم. ص٢٧-٢٨.

نـــــــــقد

أولاً: في تعريفه للإيمان:

١. نجد الشيخ الغزالي رحمه الله في تعريفه للإيمان ذهب إلى أن الإيمان علم يصحبه الجزم والقطع، أو هو معرفة بلغت حد اليقين[1].

وهذا يعني أن الإيمان عنده اعتقاد قلبي يقوم على المعرفة ولم يدخل العمل في المفهوم، ورأى أن الإيمان يتضمن أمرين : نظري ، ونفسي.

وبهذا يكون خالف السلف حيث ذهبوا إلى أن الإيمان اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان .

قال ابن أبي العز الحنفي في تعريف الإيمان: (ذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان[2]).

وقال أبو الحسين العمراني : (ذهب أهل الحديث وجماهير العلماء إلى أن الإيمان: هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان بالشهادتين والأعمال بالجوارح، وأقل ما يقبل من الإيمان هو المعرفة التي لا تخالطها الشكوك[3]) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة وأصولهم التي اتفقوا عليها: (ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان،- وعمل القلب واللسان والجوارح[4]).

فهذه خمسة أمور اشتمل عليها مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمله، وعمل الجوارح. والأدلة على دخول هذه الأمور في مسمى الإيمان كثيرة وفيرة ،وفيما يلي ذكر بعض منها بإيجاز:

---

(١) الجانب العاطفي. ص٢٥.

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٣٣٢) لابن أبي العز الحنفي. تحقيق: جماعة من العلماء. تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة: الطبعة المصرية الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار(٣/ ٧٣٧).

(٤) العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص ١٦١) بشرح الهراس.

أولاً: قول القلب، وهو تصديقه وإيقانه، قال الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾[آل عمران:١٦٧]. ، وفي حديث الشفاعة المتفق عليه(يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة)، وغير ذلك من الأدلة.

ثانياً: قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بلوازمهما، قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ﴾[الشورى:١٥]. ، وقال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[الزخرف:٨٦]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[الزخرف:١٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأني رسول الله..)

ثالثاً: عمل القلب، وهو النية والإخلاص والمحبة والإنقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ ﴾[الأنعام:٥٢].وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال:٢]..

وغير ذلك من النصوص الدالة على وجوب التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع والإنابة وغير ذلك من أعمال القلوب، وهي كثيرة جداً في الكتاب والسنة.

رابعاً: عمل اللسان، وهو العمل الذي لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك من الأعمال التي تؤدى باللسان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾[فاطر:٢٩].، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢]. وغير ذلك من نصوص الشرع الدالة على أعمال اللسان والطاعات التي تؤدى به.

خامساً: عمل الجوارح، وهو العمل الذي لا يؤدى إلا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخطا إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدى بالجوارح، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا

﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾[الحج:٧٧-٧٨] [١].

وقال محمد بن حسين الآجري في باب :القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث : (اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا أنه لا تجزىء المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزىء معرفة القلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمناً، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين [٢]).

ثانياً: في وجود الله: لقد ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله في الاستدلال على وجود الله تعالى أربعة أدلة وهي:

دليل الإبداع، والعناية، والحركة، والحدوث.

فأما دليل الإبداع ، والعناية ، والحركة ، فقد اتفق فيها مع السلف رحمهم الله حيث يرون أن الأدلة على وجود الله تعالى، منها: الشرعية، والعقلية، والفطرة .

وهذه الأدلة على وجود الله عند السلف لها طرق مختلفة تجمعها أربع جهات :

من جهة الفطرة ، وجهة النصوص من الكتاب والسنة، وجهة التفكر في مخلوقات الله، وجهة الحس العقلي .

الجهة الأولى : معرفة الله من جهة دلالة الفطرة .

والفطرة في اللغة هي الخلقة [٣] ، أما الفطرة في الشرع فهي: الإسلام على القول الراجح كما رجحه ابن القيم رحمه الله تعالى:" فطرة الله : دين الإسلام لا تبديل لخلق الله.

---

(١) انظر زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه (ص:٢٠، ٢٥)لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر الناشر: مكتبة دار القلم والكتاب. الرياض. المملكة العربية السعودية .الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) الشريعة (٢/ ٦١١) لأبي بكر الآجُرِّيُّ البغدادي . المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي . الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية الطبعة: الثانية. ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

(٣) الصحاح في اللغة (٢ / ٤٧) للجوهري. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار. الناشر: دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م.

و قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم: ٣٠].

قال ابن القيم : (فإن قيل: فهذا كله بناء منكم على أن الفطرة الأولى هي فطرة الإسلام، وأحمد قد نص على أن الفطرة هي ما فطر عليه من الشقاوة، والسعادة، فقال في رواية الحسن بن ثواب: كل مولود من أطفال المشركين على الفطرة، يولد على الفطرة التي خلقه الله عليها من الشقاوة، والسعادة التي سبقت في الكتاب ... وقال في رواية علي بن سعيد، وقد سأله عن الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة)، قال: على السعادة والشقاوة، وإليه يرجع على ما خلق [(١)]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم :(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصراه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء [(٢)]).

فدلالة الفطرة على وجود الله أقوى من كل دليل لمن لم تجتاله الشياطين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾[الروم: ٣٠]. بعد قوله : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ ﴾[الروم: ٣٠]. فالفطرة السليمة تشهد بوجود الله ولا يمكن أن يعدل عن هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين ومن اجتالته الشياطين فقد وُجد في حقه مانعٌ قوي يمنع هذا الدليل ، إذا فكل حادث لابد له من محدث، والحقيقة أن دلالة الحوادث على المحدث دلالة حسية عقلية، أما كونها حسية فلأنها مشاهدة بالحس، وأما كونها عقلية فلأن العقل يدل على أن كل حادث لابد له من محدث، ولهذا سئل أعرابي بم عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ألا تدل على السميع البصير؟ والجواب: بلى. فهذا أعرابي استدل بعقله الفطري على أن هذه الحوادث العظيمة تدل على خالق عظيم عز وجل، هو السميع البصير.

---

(١) انظر أحكام أهل الذمة (٢ / ٩٤٤) لابن القيم الجوزية. المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري . الناشر: رمادى للنشر — الدمام . الطبعة: الأولى. ١٤١٨ - ١٩٩٧

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١ /٤٦٥حديث رقم ١٣١٨) كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين و مسلم في صحيحه صحيح مسلم (٨ / ٥٢حديثرقم ٦٩٢٧)كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

فالحوادث دليل على وجود المحدث، ثم كل حادث منها يدل على صفة مناسبة غير الوجود، فنزول المطر يدل بلا شك على وجود الخالق، ويدل على رحمته، وهذه الدلالة غير الدلالة على الوجود. وكذلك وجود الجدب والخوف والحروب تدل على وجود الخالق، وتدل على أمر ثان وهو غضب الله عز وجل وانتقامه، فكل حادث له دلالتان؛ دلالة كلية عامة تشترك فيها جميع الحوادث، وهي وجود الخالق، أي وجود المحدث، ودلالة خاصة في كل حادث بما يختص به؛ كدلالة الغيث على الرحمة ودلالة الجدب على الغضب، وهكذا [(1)]).

الجهة الثانية : معرفة الله تعالى من جهة النصوص ،كما قال الله تعالى :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

قال أبو جعفر الطبري :(يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[محمد:١٩]. وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء [(2)]) ، وقول الله تعالى :﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾[آل عمران:٦٢].

قال أبو جعفر: (واعلم أنه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه إياهم إلا معبودك الذي تعبده، وهو الله العزيز الحكيم [(3)]) .

ومما جاء في السنة عن أبي بن كعب رضي الله عنه : أن المشركين قالوا : يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله عز و جل ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾[الإخلاص:١-٢]. قال: الصمد الذي لم يلد ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:٣-٤]. لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت و ليس شيء يموت إلا سيورث و أن الله

---

(١) شرح العقيدة السفارينية . الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية (٤٣/١) لابن عثيمين. الناشر: دار الوطن للنشر. الرياض . الطبعة: الأولى. ١٤٢٦ هـ.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن(٢٢ / ١٧٣) لابن جرير الطبري. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٣) المصدر السابق (٦ / ٤٧٦)

لا يموت ولا يورث ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[الإخلاص:٤]. قال : لم يكن له شبيه ولاعدل وليس كمثله شيء[1]).

الجهة الثالثة : جهة التفكر في مخلوقات الله في هذا الكون الواسع.

من أدلة ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ ﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩٢].

قال ابن سعدي[2] في قوله تعالى:"﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾

[آل عمران:١٩١].(أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثا، فيقولون: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ ﴾[آل عمران:١٩١].عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق[3]).

وعقد الإمام البخاري في كتاب التفسير من صحيحه باباً: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[آل عمران:١٩١]..

وساق حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (بت عند خالتي ميمونة فقلت لأنظرن إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه و سلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه و سلم وسادة فنام رسول الله صلى الله عليه و سلم في طولها فجعل يمسح النوم عن وجهه ثم قرأ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢ / ٥٨٩حديث رقم ٣٩٨٧) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه .وقال الذهبي في التلخيص : صحيح. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي – (٣ / ١٣٦حديث رقم ٢٦٨٠).

(٢) هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي من النواصر من بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم. ولد في محرم عام ١٣٠٧هـ في بلدة عنيزة من أعمال القصيم، وتوفي ليلة الخميس ٢٣ جمادي الآخرة عام ١٣٧٦هـ عن تسعة وتسعين عاماً ، له العديد من الكتب أشهرها تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. انظر: مقدمة تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. دار ابن الجوزي. ط١. محرم ١٤٢٥هـ.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(١ / ١٦١)لابن سعدي. بتحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر:مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

الآيات العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم ثم أتى شنا معلقا فأخذه فتوضأ ثم قام يصلي فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم جئت فقمت إلى جنبه فوضع يده على رأسي ثم أخذ بأذني فجعل يفتلها ثم صلى ركعتين ثم صلى ركعتين ثم صلى ركعتين ثم صلى ركعتين ثم صلى ركعتين ثم صلى ركعتين ثم أوتر)[1] .

الجهة الرابعة : جهة العقل الحسي :

قال ابن عثيمين في شرح العقيدة السفارينية : (أما كونها حسية : فلأنها مشاهدة بالحس ، وأما كونها عقلية : "فلأن العقل يدل على أن كل حادثٍ لا بد له من محدث ، ولهذا سئل أعرابي : بم عرفت ربك ؟ فقال : الأثر يدل على المسير ، والبَعْرَة تدل على البعير ، فسماء ذات أبراجٍ وأرضٌ ذات فجاج وبحارٌ ذات أمواج ألا تدل على السميع البصير ؟

الجواب : بلى ، هذا أعرابي استدل على أن هذه الحوادث العظيمة تدل على خالقٍ عظيم عز وجل ، هو السميع البصير ، فالحوادث دليل على وجود المحدث "[2]) .

ولأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها على هذا النظام البديع؛ ولهذا ذكر الله هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي فقال عز وجل: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الطور:٣٥-٣٧]،ولما سمع جُبير بنُ مُطعِم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآيات وكان مشركًا قال: (كاد قلبي أن يطير وذلك أولُ ما وقر الإيمان في قلبي[3]).

وخلاصة القول : أن وجود الله عز وجل ومعرفته، قد دلّ عليه الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤ / ١٦٦٦حديث رقم٤٢٩٤)في كتاب التفسير ، باب: الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض.

(٢) انظر شرح العقيدة السفارينية (ص ٣٤) لابن عثيمين .

(٣) متفق عليه من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه: البخاري. كتاب تفسير القرآن. سورة الطور. بابٌ: حدثنا عبد الله بن يوسف(٦/٦٨. حديث رقم ٤٨٥٤) . ومسلم بنحوه في كتاب الصلاة. باب القراءة في الصبح. ١/ ٣٣٨. حديث برقم ٤٦٣).

وأما دليل الحدوث[1] ، فقد خالف الغزالي رحمه الله السلف رحمهم الله فيه ، حيث أن دليل الحدوث هو من أدلة الأشاعرة ، قال أبو المعالي الجويني : (العالم كل موجود سوى الله تعالى ، وهو أجسام محدودة متناهية المنقطعات ، وأعراض قائمة بها كألوانها وهيئاتها في تركيبها وسائر صفاتها ، وما شاهدنا منها واتصلت به حواسنا وما غاب منها عن مدارك حواسنا متساوية في ثبوت حكم الجواز لها فلا شكل يعاين أو يفرض مما صغر أو كبر أو بعد أو غاب أو شهد إلا والعقل قاض بأن تلك الأجسام المتشكلة لا يتسحيل فرض تشكلها على هيئة أخرى ، وما سكن منها لم يخل العقل تحركه ن وما تحرك لم يخل سكونه ، وما صودف مرتفعا إلى منتهى سمك من الجو لم يبعد تقدير انخفاضه وما استدار على النطاق لم يبعد فرض تدواره نائيا عن مجراه ، وترتب الكواكب على أشكالها يجوز على خلاف هيئاتها وأحوالها ، فيتضح بأدنى نظر استمرار مقتضى الجواز على جميعها ، وما ثبت جوازه استحال الحكم بوجوبه[2]).

ولذا فإن الحدوث أهم دليل عند الأشاعرة لإثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، قال الدكتور سفر الحوالي (أما الأشاعرة فعندهم دليل يتيم هو دليل "الحدوث والقدم" وهو الاستدلال على وجود الله بِأَن الْكَوْن حَادث وكل حَادث فلابد من مُحدث قديم، وأخص صفات هذا القديم مخالفته للحوادث وعدم حلولها فيه، ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس جوهرا ولا عرضا ولا

---

(١) قال ابن فارس : ((حدث) الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن. يقال حدث أمر بعد أن لم يكن. والرجل الحدث: الطري السن. والحديث من هذا ؛ لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء. ورجل حدث: حسن الحديث. ورجل حدث نساء، إذا كان يتحدث إليهن. ويقال هذه حديثى حسنة، كخطيبى، يراد به الحديث)انظر مقاييس اللغة(٣٦/٢).

قال الجرجاني في التعريفات : (الحدوث: عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه.

الحدوث الذاتي: هو كون الشيء مفتقرًا في وجوده إلى الغير.

الحدوث الزماني: هو كون الشيء مسبوقًا بالعدم سبقًا زمانيًا، والأول أعم مطلقًا من الثاني)انظر: التعريفات للجرجاني (٨٢/١).

(٢) العقيدة النظامية صـ (١٢٩) لإمام الحرمين عبد الملك الجويني . دراسة وتحقيق الدكتور محمد الزبيدي دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ .

جسما ولا في جهة ولا مكان... الخ. ثم أطالوا جدا في تقرير هذه القضايا هذا وقد رتبوا عليه من الأصول الفاسدة مالا يدخل تحت العد مثل إنكارهم لكثير من الصفات كالرضا والغضب والاستواء بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم وَنفي الجوهرية والعرضية والجهة والجسمية ... إلى آخر المصطلحات البدعية التي جعلوا نفيها أصولا وأنفقوا الأعمار والمداد فِي شرحها ونفيها)[(١)].

قال ابن تيمية : (فإن من الناس من يستدل ـ على إثبات الصانع ـ بإمكان الأجسام ، ومنهم من يستدل بحدوثها ، ومنهم من يستدل بإمكان صفاتها ، ومنهم من يستدل بحدوث صفاتها .... ثم قال : والطرق الأولى الثلاث هي طرق صحيحة ، إذا قرر إمكان بعض ذلك ، وحدوث بعض ذلك ، فأما مع طلب تقرير عموم الإمكان والحدوث فهو الذي قدح فيه الناس . ثم قال : وإنما ذكر أولئك حدوث الصفات لاعتقادهم أن ما نشهده من الحوادث إنما هو صفات ، بناء على إثبات الجوهر الفرد ، وأن الحدوث إنما هو اجتماع الجواهر وافتراقها ، وهذا قول المثبتين للجوهر الفرد ، فإن مذهبهم أن جميع ما نشهد حدوثه إنما هي صفات للجواهر من اجتماع وافتراق وحركة وسكون ، وهذا قول فاسد ، والصواب أنا ندرك نفس حدوث أعيان هي أجسام كما نشهد حدوث الحيوان والنبات والمطر والسحاب وغير ذلك)[(٢)] .

ومما سبق يتضح أن مسألة الحدوث يترتب عليها قضايا في غاية الخطورة من إنكار بعض الصفات ، قال ابن تيمية رحمه الله مبينا هذا (الوجه الثاني: وهو الكلام بذلك في حق الله سبحانه وتعالى، فإن كان من لوازم هذه الطريقة نفي ما جعلوه من سمات الحدوث عن الرب تعالى، فإن تنزيهه عن سمات الحدوث ودلائله أمر معلوم بالضرورة، متفق عليه بين جميع الخلق، لامتناع أن يكون صانع العالم محدثًا، لكن الشأن فيما هو من سمات الحدوث، فإنه في كثير من ذلك نزاعًا بين الناس، وأهل هذه الطريقة إنما استدلوا على حدوث العالم، بما جعلوه

---

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة. سفر بن عبد الرحمن الحوالي (٧٩/١). الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد الثاني والستون ربيع الآخر- جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمة بتحقيق السعوي (٣٠٣ وما بعدها). دار المنهاج.

دليلًا على حدوث الأجسام، وإنما استدلوا على ذلك بحدوث صفاتها، التي يسمونها الأعراض، والمشهور إنما هو حدوث الحركات وتوابعها، أما سائر الأعراض، ففي حدوثها نزاع بينهم مشهور، لكن قد يقولون: إنها لا تقوم إلا بجسم، وكل جسم محدث، فيلزم حدوث كل صفة وموصوف، فيلزم من ذلك أن ينفى عنه أن يوصف بذلك، لئلا يلزم حدوثه، فتكلموا في أن الله هل هو جسم أو ليس جسمًا؟، وأنه هل له صفات أم لا؟، وهل يقال: له أعراض أم لا؟ وما يتبع ذلك)[1].

ثالثاً: ذات الله تعالى:

ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن الإسلام اختار لمفهوم الإله في أذهان البشر مقاماً وسطاً بين التجسيد والتجريد[2]. أي هذا المفهوم ليس ذهنياً صرفاً وليس مجسداً. وقد ذكر كلاماً لعبدالكريم الخطيب يؤيد هذا[3].

وما ذكره الشيخ الغزالي رحمه الله يختلف مع قول السلف في مفهوم الإله ، وليس وسطاً بين التجسيد والتجريد ، حيث استخدم الشيخ الغزالي رحمه الله هذه المصلحات التي توجد في كتب المتكلمين نتيجة لتأثرهم بالفلسفة ، فجاء في كتاب :(مناظرة بين الإسلام والنصرانية) التالي :"قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾[آل عمران:٥٩]. وإنما خص المسيح عليه السلام بتسميته (كلمة الله) دون سائر البشر، لأن سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات، فالفرد من ذرية آدم خلق من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم نفخ فيه الروح، وخلق من ماء الأبوين: الأب والأم.

والمسيح عليه السلام لم يخلق من ماء الرجل، بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به، وقال الله له كن فكان، ولهذا شبهه بآدم في قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾[آل عمران:٥٩]. وتقول أسفار العهدين:أما ما تحدثت به الأناجيل بل أسفار العهدين القديم والجديد،فقد جاء في إنجيل يوحنا:(في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله) (يوحنا١:١) .

وجاء في الرسالة إلى العبرانيين: " بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر " (العبرانيون ٣: ١١) .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية (١/٢٢٢).

(٢) انظر عقيدة المسلم. صـ٤٤. للغزالي .

(٣) انظر صـ(١٩٠).

وجاء في رسالة بطرس الثانية: " السماوات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله قائمة من الماء وبالماء " (بطرس الثانية ٣: ٥) .

وجاء في سفر المزامير: " بكلمة الله صنعت السماوات والأرض وبنسمة فيه كل جنودها "

(٦: ٣٣) . تكررت (الكلمة) في مواضع أربعة واضحة جلية في النصوص سالفة الذكر.

ونحن نعلم أن العهد الجديد كتب باللغة اليونانية ومن ثم فإن الكلمة اليونانية المرادفة هي (لوجوس) وهذه الكلمة لها أربع مرادفات هي: الكلمة،

الأمر، العهد، الخبر. وهذه المرادفات تعني قدرة الله في أنه إذا أراد شيئًا إنما يقول له كن فيكون.

هذا النص هو إحدى الدعائم التي قامت عليها عقيدة التجسيد عند النصارى، وهو الركيزة الأولى التي استند إليها دعاة التجسيد الأولون في تشكيل العقيدة النصرانية في إعطائها الصورة التي طلعت بها على الناس.

لقد فهم دعاة النصرانية ومبشروها من هذا النص أن الكلمة هي الله.

وأن الله هو الكلمة، وأن الكلمة قد خلق به كل شيء. وأنه صار جسدًا وحلّ بيننا في شخص المسيح الذي رآه الناس في عصره الذي ظهر فيه. في أرض اليهودية.

وقام بدعوته في مواجهة اليهود، وطلع عليهم بمعجزاته التي اختلف الناس من أجلها في تصور حقيقته!" [(١)] .

فعلم من هذا أن لفظ (التجسيد والتجريد) ليس من ألفاظ السلف الصالح إنْ قصدهم؛ ولا من مصطلحاتهم ؛وإنما من ألفاظ النصارى وفلاسفتهم والمتأثرين بهم، ليدخلوا من تحتها إلى نفي صفات الله تعالى .

وإنما قول السلف الصالح هوما دل عليه قول الله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾[الأعلى: ١].

---

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص: ٤٥٢،٤٥٤) لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية مثل الجانب الإسلامي في المناظرة كل من الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض – المملكة العربية السعودية . الطبعة: الثانية. ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

قال أبو جعفر الطبري بعد ذكر أقوال العلماء في تفسير الآية : (وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: قول من قال: معناه: نزه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان، لما ذكرت من الأخبار، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرءوا ذلك قالوا: سبحان ربي الأعلى، فبين بذلك أن معناه كان عندهم معلوما: عظم اسم ربك، ونزهه [(١)]).

رابعاً: وفي أسماء الله تعالى ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن أسماء الله تعالى توقيفية، وأن أسماءه كلها حسنى، وأن هذه الأسماء هي صفات علا ونعوت كمال وجلال، وأنها كثيرة وليست محصورة في التسعة والتسعين اسماً. وهو في هذا وافق السلف في أسماء الله الحسنى ، قال ابن بطال [(٢)] :(معنى ما أخبرنا به النبى من التسعة وتسعين اسمًا إنما هو معنى الشرع لنا فى الدعاء بها، وغيرها من الأسماء لم يشرع لنا الدعاء بها؛ لأن حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) مبنى على قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾

ويدل على هذا التأويل حديث ابن مسعود: « أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » فهذا يدل على أن لله أسماء لم ينزلها في كتابه حجبها عن خلقه [(٣)]).

وقال العيني [(٤)] : (يجوز أن يكون له زيادة على ذلك إذ لا يجوز أن تتناهى أسماؤه لأن مدائحه وفواضله غير متناهية، وقيل: ليس فيه حصر لأسمائه إذ ليس معناه أنه ليس له اسم

---

(١) تفسير الطبري . جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٣١١)

(٢) هو : علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال. أبو الحسن: عالم بالحديث. من أهل قرطبة. له شرح البخاري . توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة. . انظر الأعلام للزركلي(٤/٢٨٥) .وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥/٢١٤) للعكبري.حققه: محمود الأرناؤوط . خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط . الناشر: دار ابن كثير. دمشق – بيروت الطبعة: الأولى. ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٤٣٤) لأبي الفرج ابن الجوزي.المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٤) هو: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد. أبو محمد. بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ. علامة. من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب سن اثنتين وستين وسبعمائة (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون. وتقرّب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه. ولما ولي الأشرف سامره ولزمه. وكان يكرمه ويقدمه. ثم صرف عن وظائفه. وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة سنة خمس وخمسين وخمسمائة. من كتبه : عمدة القاري في شرح البخاري ومغاني الأخيار في رجال معاني الآثار في مصطلح الحديث ورجاله. و العلم الهيب في شرح الكلم الطيب لابن تيمية.وغيرها . انظر: البدر الطالع للشوكاني(٢/٢٩٤)الناشر: دار المعرفة – بيروت. والأعلام للزركلي(٧/١٦٣).

غيرها، بل معناه: أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة إذ المراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء فيها، وقيل: أسماء الله، وإن كانت أكثر منها، لكن معاني جميعها محصورة فيها، فلذلك حصرها فيها [(١)]).

ويظهر أن المراد من الحديث الإخبار بدخول الجنة لمن أحصاها، لا الإخبار بحصرها.

وإلى هذا ذهب جمهور العلماء، كما ذكره النووي ونقل الاتفاق على ذلك ، حيث قال:

(واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ولهذا جاء في الحديث الآخر «أسألك بكل اسم سميت به نفسك أواستأثرت به في علم الغيب عندك» وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أنه قال لله تعالى ألف اسم قال بن العربي وهذا قليل فيها والله أعلم وأما تعيين هذه الأسماء فقد جاء في الترمذي وغيره في بعض أسمائه خلاف وقيل إنها مخفية التعيين كالاسم الأعظم وليلة القدر ونظائرها وأما قوله صلى الله عليه وسلم« من أحصاها دخل الجنة » فاختلفوا في المراد بإحصائها فقال البخاري وغيره من المحققين معناه حفظها وهذا هو الأظهر [(٢)]).

قال شيخ الإسلام: (والصواب الذي عليه جمهور العلماء: أن قول النبي صلى الله عليه وسلم:« إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصها دخل الجنة »معناه: أن من أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة، ليس مراده أنه ليس له إلا تسعة وتسعون اسماً [(٣)]).

خامساً: وفي صفات الله تعالى:

١. يرى الشيخ الغزالي رحمه الله من الصعب إدراك حقيقة صفات الله تعالى على النحو التي تدرك بها أمورنا المعتادة، بل هي مستحيل.

ونحن نسأل الشيخ الغزالي رحمه الله ما الإدراك الذي يقصده؟ هل هو الإدراك بمعنى إدراك المعاني للصفات؟ أم الكنه والكيفية؟ فأما الأول فهو مما لم يقل به أحد من السلف، بل

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/ ٢٩) لبدر الدين العيني .

(٢) المنهاج شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥) لأبي زكريا النووي . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت . الطبعة: الثانية. ١٣٩٢هـ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل" (٣٣٢/٣) لابن تيمية.

إنهم يقولون بأن للصفات معاني كل يدركها، وأما المعنى الثاني فهو صحيح حيث أن ذلك لم يختلف فيه أحد من السلف.

قال ابن حجر [1] : (مذهب أهل السنة في قوله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[طه: ٥] ، قال: بلا كيف. والآثار فيه عن السلف كثيرة وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل وقال الترمذي في الجامع عقب حديث أبي هريرة في النزول وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات وقال في باب فضل الصدقة قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف كذا جاء عن مالك وبن عيينة وبن المبارك أنهم أمروها بلا كيف وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه .

وقال إسحاق بن راهويه [2] : إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد وسمع كسمع وقال في تفسير المائدة قال الأئمة نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير منهم الثوري ومالك وبن عيينة وبن المبارك .

وقال ابن عبد البر [3] : أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيفوا شيئا منها وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا من أقر بها فهو مشبه فسماهم من أقر بها معطلة.

---

(١) ابن حَجَر العَسْقَلَاني: (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاويّ: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها : فتح الباري شرح صحيح البخاري والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ولسان الميزان و الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام وغيرها . الأعلام للزركلي (١/ ١٧٨).

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم ينتهي إلى زيد مناة بن تميم . أحد الأعلام المتبوعين . ولد سنة ست أو إحدى وستين ومائة .قال النسائي:أحد الأئمة ثقة مأمون. وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين. انظر:الوافي بالوفيات للصفدي(٢٥١/٨) وتهذيب التهذيب (٢١٧/١) لابن حجر العسقلاني. الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية. الهند. الطبعة الأولى. ١٣٢٦هـ .

(٣) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. يقال له حافظ المغرب.وهوإمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، ولد بقرطبة سنة (٣٦٨هـ). ورحل

وقال إمام الحرمين[1] في الرسالة النظامية : اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لا وشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع انتهى.

وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثوري والأوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم وكذا من أخذ عنهم من الأئمة فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة وقسم بعضهم أقوال الناس في هذا الباب إلى ستة أقوال قولان لمن يجريها على ظاهرها أحدهما من يعتقد أنها من جنس صفات المخلوقين وهم المشبهة ويتفرع من قولهم عدة آراء والثاني من ينفي عنها شبه صفة المخلوقين لأن ذات الله لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فإن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته وقولان لمن يثبت كونها صفة ولكن لا يجريها على ظاهرها أحدهما يقول لا نؤول شيئا منها بل نقول الله أعلم بمراده والآخر يؤول فيقول مثلا معنى الاستواء الاستيلاء واليد القدرة ونحو ذلك وقولان لمن لا يجزم بأنها صفة أحدهما يقول يجوز أن تكون صفة وظاهرها غير مراد ويجوز أن لا تكون صفة والآخر يقول لا يخاض في شيء من هذا بل يجب الإيمان به لأنه من المتشابه الذي لا يدرك معناه)[2] .

- وقد نبه ابن سعدي[3] . إلى هذه القاعدة وبين أن من سأل عن كيفية الاستواء على العرش: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة؟

رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة سنة (٤٦٣هـ). من كتبه " الدرر في اختصار المغازي والسير و العقل والعقلاء و الاستيعاب وغيرها . انظر: وفيات الأعيان (٦٦/٧). الأعلام للزركلي (٢٤٠/٨).

(١) سبق ترجمته . صـ١١٤.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٠٧) لابن حجر

(٣) انظر صـ٢٠٢.

فمن سأل عن كيفية علم الله أو كيفية خلقه وتدبيره قيل له فكما أن ذات الله تعالى لا تشبهها الذوات فصفاته لا تشبهها الصفات، فالخلق يعرفون الله ويعرفون ما تعرف لهم به من صفاته وأفعاله، وأما كيفية ذلك فلا يعلم تأويله إلا الله"[(١)] .

٢. نجد الشيخ الغزالي رحمه الله يذكر أن لله تعالى صفات كثيرة، ويؤمن بثبوت ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما وصف الله به نفسه ومع ذلك نجده يتحدث عن الصفات فيذكر صفة الوجود، وثمان صفات للكمال الأعلى، وهذا تناقض.

٣. وما ذهب إليه الشيخ الغزالي رحمه الله في الصفات من صفة الوجود وصفات الكمال الأعلى وهي صفات المعاني السبع عند الأشاعرة إلى جانب صفة الحكمة لا يتفق مع ما ذهب السلف في الصفات :

يقول الدارمي :(ولا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه[(٢)]).

ويقول السجزي :(ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم[(٣)]).

قال الذهبي :(قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والسنة[(٤)]).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات قال تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]. فهذا رد على الممثلة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١].رد على المعطلة. فقولهم في الصفات مبني على أصلين:

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢١٩) لابن سعدي. وكتاب : الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة (ص: ١٢٥)

(٢) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد(٢/٧٤٠).

(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٧٨)

(٤) كتاب العرش (٣١/١)للإمام الذهبي. المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية. المدينة المنورة. المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقا كالسنة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.

والثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات. ولكن نفاة الصفات يسمون كل من أثبت شيئا من الصفات مشبها، بل المعطلة المحضة الباطنية نفاة الأسماء يسمون من سمى الله بأسمائه الحسنى مشبها، فيقولون: إذا قلنا حي عليم فقد شبهناه بغيره من الأحياء العالمين، وكذلك إذا قلنا: هو سميع بصير فقد شبهناه بالإنسان السميع البصير ، وإذا قلنا: هو رءوف رحيم فقد شبهناه بالنبي الرءوف الرحيم، بل قالوا: إذا قلنا: إنه موجود فقد شبهناه بسائر الموجودات لاشتراكهما في مسمى الوجود [(١)]).

٤- أما موقفه من الصفات الذاتية، فنجده في بعض الصفات إعترف بها بدون التعرض لكيفيتها وهي: الوجه، واليدين، والعين. [(٢)]

بينما نجده في صفة الساق أولها واستشهد على تأويله بالقول المنسوب إلى الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه، حيث قال الغزالي رحمه الله: (وكلمة ((يوم يكشف عن ساق)) تعبير عربي أصيل. قال ابن عباس: تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم فظيع يحتاج فيه إلى الجد ومقاسات الشدة: شمر عن ساقيك!

ولما سئل عن هذه الآية قال: إذا خفى عليكم شيء من القرآن ، فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب. أما سمعتم القائل:

سن لنا قومك ضرب الأعناق   وقامت الحرب بنا على ساق [(٣)]

وأنشد أبو عبيدة:

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٢/ ٥٢٣).

(٢) انظر : ص ٨٧

(٣) البيت ذكره الحاكم في المستدرك ضمن هذا الأثر ولم أعثر عليه في كتب الأدب واللغة ، انظر : المستدرك على الصحيحين للحاكم (٥٤٢/٢). تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. الناشر: درا الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١١هـ. ١٩٩٠م.

فإن شمرت لك عن ساقها فدتها ربيع، ولا تسأم[1]

على هذا الأساس فهم ابن عباس . وهو ترجمان القرآن . الآيات، وتبعه العلماء من الصحابة والتابعين، وما نعرف إلا هذا التفسير للوحي الكريم)[2] .

وبهذا يتضح لنا أن موقف الشيخ الغزالي من صفة الساق يتناقض مع موقفه من الصفات الذاتية الأخرى التي ذكرها وأثبتها، وهو بهذا يختلف مع السلف رحمه الله في إثبات صفة الساق التي ثبت ذكرها في الحديث الصحيح ، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا[3] »

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها. وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد – إلى ساعتي هذه – عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف؛ بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله. وكذلك فيما يذكرونه آثرين وذاكرين عنهم شيئا كثيرا. وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ﴾ [القلم:٤٢] فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات؛ للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين. ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات

---

(١) البيت لقيس بن زهير . انظر : لسان العرب ، فصل الواو (٥٦٣/١٣).

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. ص١٥١.١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب " يوم يكشف عن ساق " برقم (٤٩١٩).

فإنه قال: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القلم:٤٢]نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله ولم يقل عن ساقه فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر ومثل هذا ليس بتأويل إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف؛ ولكن كثير من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولا له ثم يريدون صرفه عنه ويجعلون هذا تأويلا، وهذا خطأ)[١]

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: (والصحابة متنازعون في تفسير الآية هل المراد الكشف عن الشدة أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه وإنما ذكره مجردا عن الإضافة منكرا والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته وهو حديث الشفاعة الطويل وفيه " فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجدا" ومن حمل الآية على ذلك قال قوله تعالى {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ} [القلم٤٢] مطابق لقوله فيكشف عن ساقه فيخرون له سجدا وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال يكشف عن ساق عظيمة جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبيه قالوا وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال كشفت الشدة عن القوم لا كشف عنها كما قال الله تعالى {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ} [الزخرف٥٠] وقال {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ} [المؤمنون٧٥] فالعذاب والشدة هو المكشوف لا المكشوف عنه وأيضا فهناك تحدث الشدة وتشتد ولا تزال إلا بدخول الجنة وهناك لا يدعون إلى السجود وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة)[٢] .

وقال ابن سعدي في تفسيره لهذه الآية : (إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء)[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٣٩٤).

(٢) الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية (١/٢٥٢).

(٣) تفسير السعدي (١/٨٨١).

ولا شك أن صفة الساق ثابتة لله تعالى بالسنة الصحيحة ، ومن أثبتها من السلف إنما أثبتها بحديث أبي سعيد المتفق عليه ، وأما الآية فمحل خلاف عندهم ، فمنهم من تأولها ومنهم من عدها من الصفات كما يشعر به صنيع البخاري رحمه الله تعالى لإيراده الحديث في تفسيرها . والله أعلم .

المبحث الثاني : الإيمان بالملائكة[1] .

إن الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان بعد الإيمان بالله تعالى، وهنا تأتي أهميته.

أولاً: لقد عرف الشيخ الغزالي رحمه الله الملائكة فقال: (والملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكيل بأشكال مختلفة، شأنهم الخير والطاعة والعلم والقدرة على الأعمال الشاقة، ومسكنهم السموات. هكذا قال[2] صاحب المقاصد[3]).

ثانياً: وظائف الملائكة :

يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن للملائكة وظائف كثيرة ويلهمهم الله سبحانه وتعالى ويقدرهم على فعل ما يريد ومن هذه الوظائف:

---

(١) تعريف الملائكة لغة: قال الزبيدي في تاج العروس : والملك، محركة: واحد الملائكة، والملائك يكون واحدا وجمعا، كما في الصحاح، وشاهد الأخير قول أمية بن أبي الصلت:

(وكأن برقع والملائك حوله ... سدر تواكله القوائم أجرد) البيت لأمية بن أبي الصلت . وقبله :
فأتم ستا فاستوت أطباقها ** وأتى بسابعة فأنى تورد.
انظر : جمهرة اللغة . الباء والراء(١١٢٣/٢) لابن دريد الأزدي. المحقق:رمزي منير بعلبكي.الناشر:دار العلم للملايين– بيروت .الطبعة: الأولى. ١٩٨٧م .والمخصص (٣٦٣/٢) لابن سيده المرسي. المحقق: خليل إبراهم جفال . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت . الطبعة: الأولى. ١٤١٧هـ ١٩٩٦م . لسان العرب(٣٥٦/٤)لابن منظور. الناشر: دار صادر – بيروت . الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

قال الليث: الملك إنما هو تخفيف الملأك، وأجمعوا على حذف همزه، وهو مفعل من الألوك، وقد ذكر في: (ل أك) وفي (أل ك) وذكرنا هناك عن الكسائي قال: إن أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك، ثم قلبت، وقدمت اللام، فقيل: ملأك. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (م ل ك ٣٥٤/٢٧).

وفي الإصطلاح: قال ابن حجر في الفتح : (الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات). انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري(٣٠٦/٦).

(٢) هو :سعد بن عمر بن عبد الله التفتازاني. سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) سنة(٧١٢) وأقام بسرخس. وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند. فتوفي فيها. ودفن في سرخس. كانت في لسانه لكنة. توفي سنة(٧٩٣) من= =كتبه: تهذيب المنطق والمطول في البلاغة و المختصر . اختصر به شرح تلخيص المفتاح. و مقاصد الطالبين في الكلام. و شرح مقاصد الطالبين والنعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري وغيرها . انظر : الأعلام (٢١٩/٧)والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(١١٢/٦) لابن حجر العقسلاني. تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان . الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند . الطبعة: الثانية. ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
(٣) التفسير الموضوعي. ص:٣٣٥.

١ . الكتبة:

فيقول: (والملائكة لا ينتهي لهم تسجيل، ولا يقف لهم إحصاء﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ ﴾[الرحمن:٢٩-٣٠] [١].

ثم يرى أن الملائكة الكرام يتابعون حياة البشر ويسجلونها فقال: (والملائكة يتابعون حياة البشر، ويسجلونها سواء كانت نية في القلوب، أو كسباً للجوارح، ويعني هذا بلا ريب رؤية عجيبة وصحوا تماماً﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[ق:١٧-١٨]) [٢].

٢، ٣ . الموكلون بالأرحام والموت .

يرى الشيخ الغزالي رحمه الله من وظائف الملائكة أن منهم ملائكة للموت، وأخرى للحياة والولادة.

واستدل على ذلك بحديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً بأربع كلمات، يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح [٣]».

قال:(وإذا صح أن نسمي هؤلاء الموكلين بالأرحام ملائكة الحياة،فهناك آخرون للوفاة﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة:١١] [٤]).

٤ . التبشير بالجنة:

وعند قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[فصلت:٣٠].

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (ويرى أغلب المفسرين أن هذه الآية تنزل على المحتضرين وهم في آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة لتطمئنهم على ما تركوا من أحبة ولتشرح

---

(١) مائة سؤال. ص:٣٠١. جـ٢.

(٢) نفس المصدر. صـ٣٠١. جـ٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٣٥حديث رقم ٧٤٥٤)

(٤) مائة سؤال. ص:٣٠٠.

صدورهم بما سيلقون من رضوان!! ولا بأس بهذا القول وهو لا ينفي ما يدل عليه السياق من أن الملائكة تهبط على المؤمنين في أثناء جهادهم فتلهمهم الرشد وتعينهم على الحق وقد صح أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لرجل أحسن الثناء على الله « أعانك عليها ملك كريم[(١)] » .

وقال لحسان بن ثابت وهو ينافح عن رسول الله:«روح القدس يؤيدك[(٢)] » إن الملائكة تعين على الحق كما تعين الشياطين على الباطل، والأساس في الثواب والعقاب هو اتجاه الإنسان، وكسبه واكتسابه[(٣)]).

ثم يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن نزول الملائكة كما يفيد ظاهر الآية[(٤)] في: (أحوال الدنيا كلها، لا في الرمق الأخير وحده كما يرى البعض..

ويتضح ذلك عندما تعلم أن هذه الآية في مقابلة ما نزل في الغافلين المعوجين قبل ذلك مباشرة وهو قوله تعالى:﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[فصلت:٢٥].

فالأشرار تؤزهم الشياطين، والأخيار تؤيدهم الملائكة، والفريقان مسئولان برءوسهم عن نفوسهم، فهم ذوو عقول، ولهم إرادة حرة يحاسبون بها قبل أي شيء[(٥)] !..).

٥. النزول بالوحي :

وعند قول الله تعالى:﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الصفات:١-٣].

---

(١) ذكره البغوي في تفسير قوله تعالى " إلا اللمم " عن ابن عباس رضي الله عنه فقال : وقال السدي قال أبو صالح: سئلت عن قول الله تعالى: إلا اللمم. فقلت: هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده. فذكرت ذلك لابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم. انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي (٣١١/٤) لمحيي السنة البغوي. تحقيق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة : الأولى . ١٤٢٠ هـ

(٢) الحديث. رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٣٥حديث رقم ١٥٧).

(٣) من مقالات الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله. ص:٥٤.٥٥.

(٤) آية سورة فصلت. {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} [فصلت: ٣٠. ٣١]

(٥) مائة سؤال. ص:٣٠٢.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (هذا وصف لموكب الوحي وهو نازل على قلب خاتم الرسل يقوده جبريل الأمين وتحفه الملائكة الكرام.. وهو لتوكيد الحقيقة الكبرى في هذا الوحي: وحدانية الله سبحانه.

ومع أن جبريل هو المسئول عن الوحي، فإن ملائكة كثيرين تنزل معه تشريفاً للرسالة وتنويهاً بخطرها ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾[النحل:٢].

وهي إلى ذلك تطرد الشياطين المتطفلة على أخبار الوحي ليبتعدوا عن مساره)[1].

ثالثاً: صفات الملائكة:

ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله صفات للملائكة ، هي :

١ . صديقة للمؤمنين:

أنها صديقة للمؤمنين، تفرح بعبادتهم، وتشجعهم، وتؤيد الأخيار منهم فقال: (والملائكة صديقة للمرء المؤمن تفرح بعبادته وتهش له، وإذا دخل المسجد للصلاة حفت به، وإذا جلس في طاعة الله شرعت تدعوا له: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، وثبت أن لها نوبات في صلاتي الفجر والعصر، ثم تصعد إلى ربها تذكر له ما ترى، وهو أعلم به، ولكنه النظام الذي وضعه سبحانه.

وفي المحافل الجادة، وفي مجالس الخير تكون الملائكة بلطفها ودعائها مع المؤمنين فربما قال أحدهم الكلمة يعينه عليها ملك كريم، وربما صاغ القصيدة في الدفاع عن الله ورسوله، يؤيده فيها الروح القدس .كبير الملائكة)[2].

٢ . تشجيع المؤمنين وإلهامهم:

يرى الشيخ الغزالي رحمه الله في الوقعات التي يصطرع فيها الحق والباطل، ويبيع جند الله أنفسهم لنصرة دينه، تتنزل الملائكة لتشجع وتلهم﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾[الأنفال:١٢].

(١) التفسير الموضوعي. ص:٣٤٥.

(٢) مائة سؤال. جـ٢. صـ٣٠١.

وفي هذا الحين تكون ملائكة أخرى لنزع أرواح الكفرة، تتناولها باللطمات ظهر البطن﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾[الأنفال: ٥٠].

وهذا الكلام يحتاج إلى تفسير شامل، فإن الملائكة لم تعمد إلى سكير في حان لتدعوا له وتلتمس له المغفرة، بل دعت لأمرئ يريد أن يتزكى، سعى إلى المسجد ليؤدي حق الله، وغالب أشغال العيش وأوقات اللهو، ورجع عليها ذكر ربه فهو أهل لأن يصلي عليه الكرام الكاتبون..

كذلك لم تعمد الملائكة إلى جبان فار من الميدان لتسأل له التثبت والرضا، وإنما دعت لرجل مؤمن هزم حب الحياة وآثر نصرة الله، فهو جدير بالإيناس والبشرى[١] !..).

٣ . القدرة:

ويذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن من صفات الملائكة القدرة التي زودهم الله بها، وهذه القدرة متفاوتة تفاوتاً بعيداً[٢] .

ويرى أن قدرات الملائكة أعظم كثيراً من قدرات الجن فقال: (وقدرات الملائكة أعظم كثيراً من قدرات الجن، وإذا كان العفريت يستطيع أن يلمس السماء، أو ينقل شيئاً من اليمن إلى فلسطين في ساعة، فإن الملائكة أوسع طاقة، وفيهم من يستطيع تطويق أعتى المردة، والهوي به إلى أسفل سافلين[٣]).

وذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن البشر يقطعون الملكوت الإلهي من الفرش إلى العرش، أو من الأرض السفلى إلى سدرة المنتهى في خمسين ألف سنة، بينما يقطعه الروح الأمين وجمهرة الملائكة في زمن محدود. واستدل على ذلك بانتقال عرش بلقيس من اليمن إلى الشام في لمح البصر[٤] !!.

(١) نفس المصدر. جـ٢. صـ٣٠٢.

(٢) انظر نحو تفسير موضوعي. ص:٣٣٥.

(٣) مائة سؤال. ص:٣٠١.

(٤) نظر نحو تفسير موضوعي. ص:٣٣٥.

رابعاً: عدد الملائكة:

وفي عدد الملائكة ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن السماء مليئة بالملائكة فيقول: (ونحن نعلم أن السموات ملأى بالملائكة المسبحة بحمد الله أبدا [1]).

(١) انظر نحو تفسير موضوعي. ص:٣٧.

نــــــقد

١. في تعريف الملائكة ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله تعريفاً للملائكة من صاحب المقاصد، وهو (سعد الدين التفتزاني)، وهذا التعريف يتفق مع السلف .قال ابن تيمية : (فهذه القصة . قصة ضيف إبراهيم . فيها إثبات الملائكة وأنهم أحياء ناطقون منفصلون عن الآدميين يخاطبونهم ويرونهم في صور الآدميين الأنبياء وغير الأنبياء كما رأتهم سارة امرأة الخليل عليه السلام وكما كان الصحابة يرون جبريل إذا جاء لما جاء في صورة أعرابي وتارة في صورة دحية الكلبي [(١)]).

وقال أيضا : (وأيضا فإن الله وصف الملائكة بصفات تقتضي أنهم أحياء ناطقون خارجون عن قوى البشر وعن العقول والنفوس التي تثبتها الفلاسفة فعلم أن الملائكة التي أخبرت عنها الأنبياء ليسوا مطابقين لما يقوله هؤلاء الذين يقولون أن معجزات الأنبياء قوى نفسانية [(٢)]) .

وقال علي الملا الهروي: (الملائكة : أطلقت بالغلبة على الجواهر العلوية النورانية المبرأة عن الكدورات الجسمانية، وهي وسائط بين الله وبين أنبيائه، وخاصة أصفياءه، وقال بعضهم: هي أجسام لطيفة نورانية مقتدرة على تشكلات مختلفة يجوز عليهم الصعود، والنزول، والتسبيح لهم بمنزلة النفس منا، فمشقة التكليف منتفية [(٣)]) .

و قال علي الملا الهروي: (الملائكة : أطلقت بالغلبة على الجواهر العلوية النورانية المبرأة عن الكدورات الجسمانية، وهي وسائط بين الله وبين أنبيائه، وخاصة أصفياءه، وقال بعضهم: هي أجسام لطيفة نورانية مقتدرة على تشكلات مختلفة يجوز عليهم الصعود، والنزول، والتسبيح لهم بمنزلة النفس منا، فمشقة التكليف منتفية [(٤)]) .

٢. ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن للملائكة وظائف كثيرة وذكر بعضها، وهي:

الكتبة، الموكلون بالأرحام، وملائكة الموت، والمبشرون بالجنة، ومن ينزل بالوحي مع جبريل. وهناك وظائف أخرى لم يذكرها سأضيفها كما هو معتقد السلف الصالح في هذا ، ومن ذلك :

---

(١) الصفدية (١/١٩٦) لابن تيمية . تحقيق: محمد رشاد سالم. الناشر : مكتبة ابن تيمية، مصر. الطبعة : الثانية، ١٤٠٦هـ

(٢) الصفدية لابن تيمية(١/١٩٩).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/٥٧) لأبي الحسن الملا الهروي .الناشر: دار الفكر. بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى. ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/٥٧).

أ- الملائكة الموكلون بحمل العرش قال تعالى ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الحاقة:١٧].

ب . الحراسة كما في البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلا مربوعا، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار، والدجال في آيات أراهن الله إياه: ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ [السجدة: ٢٣] ، قال أنس، وأبو بكرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تحرس الملائكة المدينة من الدجال[١] »

ج . وما ذكره السيوطي في كتابه "الحبائك في أخبار الملائك" إذ يقول : (أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة، والبيهقي في الشعب، عن ابن سابط قال: يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل، فأما جبريل: فموكل بالرياح، والجنود، وأما ميكائيل: فموكل بالقطر، والنبات، وأما ملك الموت: فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل: فهو ينزل بالأمر عليهم[٢]) .

٣. ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله من صفات الملائكة وأعمالهم أنها صديقة للمؤمنين، وأنها تشجعهم وتؤيد الأخيار منهم، ومن صفاتهم القدرة التي زودهم الله بها، وهناك صفات أخرى ذكر بعضها السعدي فقال : (الإيمان بالملائكة أحد أصول الإيمان ولا يتم الإيمان بالله وكتبه ورسله إلا بالإيمان بالملائكة وقد وصفهم الله بأكمل الصفات وأنهم في غاية القوة على عبادة الله، والرغبة العظيمة فيها، وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأنهم لا يستكبرون عن عبادته بل يرونها من أعظم نعمه عليهم وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[٣]).

وللملائكة أعمال أخرى يمكن ذكرها مأخوذة من القرآن الكريم ، ومنها:

١. تثبيت المؤمنين قال تعالى ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[الأنفال:١٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه (١١٦/٤) برقم(٣٢٣٩).

(٢) الحبائك في أخبار الملائك (١٦/١) لجلال الدين السيوطي . تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول . الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى. ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

(٣) الفتاوى السعدية: عبدالرحمن الناصر السعدي ١٥. الناشر : مكتبة المعارف. الطبعة الثانية: ١٤٠٢. ١٩٨٢م.

٢. التسبيح والتقديس والطاعة ، قال تعالى ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠]

٣. بشارة عباد الله الصالحين ، قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٩] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢ – ٤٣].

٤. إمداد المؤمنين ونصرتهم ، قال تعالى :﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٢٤].

٥. قتال الكافرين وعذابهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٠])

٤. ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى كثرة عدد الملائكة في السماء وهذا يتفق مع ما ذهب إليه السلف حيث استدلوا على كثرة عدد الملائكة بآيات من القرآن وأحاديث من السنة ، من ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾[المدثر: ٣١].

وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[الصافات: ١٦٥-١٦٦].

و ما أخرجه أحمد وغيره عن أبي ذر، قال: قال رسول الله: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد. لو علمتم ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم على أو إلى الصعدات تجأرون إلى الله» قال: فقال أبو ذر: «والله لوددت أني شجرة تعضد»[1] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسند أبي ذر (٤٠٥/٣٥) حديث رقم (٢١٥١٦) والترمذي في سننه (٥٥٦/٤) برقم (٢٣١٢) وقال الألباني: حسن دون غيره " لوددت "

موقف الشيخ الغزالي رحمه الله من المس الجني للإنسان:

يرى الغزالي رحمه الله أن الجن لا يلتبس بالإنس، وأنه لا سلطان له عليه ولا سبيل له في أن يحمل الإنسان إلا أمر لا يريده، وأن سبيلهم الوحيدة هو الوسوسة والاستغفال، وهو كذلك يرى أن الذين يزعمون أن الجن تلبستهم إنما هم مرضى، يجب أن يعالجوا.

وقد استند الغزالي رحمه الله في إنكاره المس الجني للإنسان على ما روى أن مالك بن أنس رحمه الله سئل: أيتزوج الإنسي من الجنية؟ ورد مالك: يجوز ـ هكذا حكوا ـ ثم سئل: أيتزوج الجني من الإنسية؟ فقال مالك: لا [(١)].

لماذا مع أن الحالين سواء!

قالوا: خشي مالك أن تزل أي امرأة ثم تزعم أنها تزوجت من عالم الغيب!! فحرس حدود الشرع والخلق بهذا النفي القاطع...

وإذا كان الإمام الكبير قد صان الدين بنفي الشطر الأخير من السؤال فنحن اليوم نصون الدين والعقل بنفي كل يشيع بين العوام من تراهات في هذه المجالات، فاستحضار الجان شغل باطل) [(٢)].

ويقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (طرق بابي رجل يقول: إنه بحاجة إلى عوني، فقمت لاستقباله وأنا متعب، ودهشت لمرآه، فقد كان عملاقاً بادي الصحة، ولم تكن عليه سيماء الفقر، وبدأني بالحديث من غير مقدمات قال: إنه مسكون!، قلت: من سكنك؟ قال جني عات غلبني على أمري. فقلت وأنا أضحك: لماذا لم تسكنه أنت؟ إنك رجل طويل عريض ؟ فسكت حائراً، وأخذت أتأمل في ملامحه وحالته العامة ثم قلت: ما أظنك مريضاً بالصرع، أتعتريك نوبات ما؟ فلم يزد على القول بأنه مسكون) [(٣)].

وقال كذلك رحمه الله: (وتحدث معي بعض أهل العلم الديني، وكأنهم رأوا إنكاري على أولئك المرضى، وقالوا: لماذا ترفض فكرة إحتلال الشياطين لأجسامهم؟ كان جوابي محدداً: لقد شرح القرآن الكريم عداوة إبليس وذريته لآدم وبنيه، وبين أن هذه العداوة لا تعدوا الوسواس والخداع: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي

---

(١) نظر : الأشباه والنظائر (٢٨٣/١) لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم .وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

(٢) ركائز الإيمان ص٨٥،٨٤.

(٣) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. محمد الغزلي. ص١١٤.

﴿ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾[الإسراء: ٦٤]. وليس يملك الشيطان في هذا الهجوم شيئا قاهراً، إنه يملك استغلال المغفلين فحسب: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾[إبراهيم: ٢٢]. وقد تكرر هذا المعنى في موضع آخر: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾[سبأ: ٢٠ – ٢١]. إن الشيطان لا يقيم عائقاً مادياً أمام ذاهب إلى المسجد، ولا يدفع سكراناً في قفاه ليقرع الإثم من إحدى الحانات، إنه يملك الاحتيال والمخادعة، ولا يقدر على أكثر من ذلك، قال لي أحدهم: هذا صحيح، لكن ما أوردته لا ينفي أن بعض المردة يساور بشراً مسلماً وينال منه. قلت . وأنا ضجر . هل العفاريت متخصصة في ركوب المسلمين وحدهم؟ لماذا لا يشك ألماني أو ياباني من احتلال الجن لأجسامهم؟)[(١)] .

وقال كذلك رحمه الله: (وجاءني صديق يقول لي: أرى أن تسمع كلام أهل العلم في هذه القضية! قلت: مرحباً بكلام أهل العلم، هات ما عندك. قال: إن مس الشيطان للإنسان ثابت بالكتاب والسنة، فأما الكتاب فقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥] . وأما السنة فقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)[(٢)] وقوله: (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه)[(٣)][(٤)] .

وقد ناقش الغزالي رحمه الله هذه الأدلة فقال: (ما ذكره صديقنا من أدلى على أن الشيطان يسكن جسم الإنسان ويؤثر فيه بما شاء، أما الآية الكريمة : ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. فجمهور المفسرين على أن ذلك يوم الجزاء، وسبب هذا التفسير أن أحداً لم ير أكلة الربا مصروعين في الشوارع توشك أن تدوسهم الأقدام، ومن ثم جعلوا عندما يلقون الله، فيحاسبهم على جشعهم وظلمهم.

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. محمد الغزلي. ص١١٤.١١٥.

(٢) متفق عليه ، البخاري في باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه برقم (٢٠٣٨). ومسلم في باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به ، برقم(٢١٧٥)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ،باب فضائل عيسى عليه السلام برقم (٢٣٦٦).

(٤) السنةالنبويةبينأهلالفقهوأهلالحديث. محمدالغزلي. ص١١٦.

ونقل الشيخ رشيد عن البيضاوي في هذا التشبيه أنه وارد على ما يزعمون من أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء، ثم قال صاحب المنار[1] : فالآية على هذا لا تثبت أن الصرع المعروف يحصل بفعل الشيطان حقيقة ولا تنفي ذلك... وقال بعضهم: إن سبب الصرع من الشيطان كما هو ظاهر التشبيه وإن لم يكن نصاً فيه، وقد ثبت عند أطباء هذا العصر أن الصرع من الأمراض العصبية التي تعالج كأمثالها بالعقاقير وغيرها من طرق العلاج الحديثة، وقد يعالج بعضها بالأوهام..الخ)[2] .

وفي أجوبة الشيخ الغزالي رحمه الله عن الأدلة من السنة قال: (أما حديث: ((إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)) فإن القصة التي ورد فيها تشريع المراد منه! قالت صفية . زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته، ثم قمت إلى بيتي، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يمشي معي مودعاً . وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد . فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال لهما: ((على رسلكما . أي تمهلا . إنها صفية بنت حيي)) قالا: سبحان الله يا رسول الله قال: ((إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئاً أو قال شراً..))[3] ، وظاهر من الحديث أن الرسول يريد منع الوسوسة التي قد يلقيها الشيطان عندما يرى مثل هذا المنظر، ومع أن الصحابيين أنكرا واستعظما أن يجري في نفسهما شيء من ظنون السوء بالنسبة للمعصوم عليه الصلاة والسلام، فإن النبي أراد منع هذه الوسوسة، ولا صلة للحديث باحتلال الشيطان لجسم الإنسان)[4] .

وقال كذلك رحمه الله عن حديث الطاعون وخز الشيطان: (وأما الحديث الآخر وهو أن الطاعون وخز الشيطان[5] ، وهم أعداء البشر، يكفينا في شرحه صاحب المنار عندما قال: يرى المتكلمون أن الجن أجسام حية خفيفة لا ترى، وقد قلنا غير مرة: إن الأجسام الحية

---

(١) انظر: تفسير المنار. (١١٣/٣).

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. محمدا لغزلي. ص١١٧.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه برقم (٢٠٣٨) ومسلم في صحيحه، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به برقم (٢١٧٥).

(٤) نفس المرجع . ص١١٧.١١٨.

(٥) الحديث في مسند أحمد (٤ / ٣٩٥، ٤١٣، ٤١٧) وكذا الطبراني في " المعجم الصغير " (ص ٧١) والحاكم أيضا (١ / ٥٠) من طرق عن أبي موسى الأشعري مرفوعا بلفظ: " الطاعون وخز أعدائكم من الجن ".وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٩٨/١).

الخفيفة التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى "بالميكروبات" يصح أن تكون نوعاً من الجن، وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض، قلنا ذلك في تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن، على أننا نحن المسلمين لسنا في حاجة إلى النزاع فيما أثبته العلم وقرره الأطباء، أو إضافة شيء إليه مما لا دليل في العلم عليه لأجل تصحيح بعض الروايات الآحادية. ونحمد الله على أن القرآن أرفع من أن يعارضه العلم)[1].

وقال الشيخ الغزالي رحمه الله في حديث نخس الشيطان للإنسان: (نقول: خيل إلى أن الشيطان قابع تحت الرحم يستقبل الوليد القادم وهو شديد الحقد، يقول له: إن قصتي مع أبيك الأول لم تنته بعد وسأحاول إرهاقك كما أرهقته، ثم ينخسه نخسة يصرخ الوليد الساذج منها، ثم يستقبل بعد ذلك حياته خارج الرحم، وقد اقترب الشعراء من هذا المعنى عندما قال قائلهم:

لم تؤذن الدنيا به من صروفها ... بكاء الطفل ساعة يولد[2]

وقد كانت أم مريم بادية القلق عليها عندما استجارت بالله أن يصونها ويصون ذريتها: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٦.] ومريم وابنها على أية حال من عباد الله الصالحين وليس للشيطان سلطان على أولئك العباد)[3].

ثم يقول رحمه الله: (ولست أحب أن أفتح أبواب الشعوذة والسحر والدجل باسم أن الشيطان احتل بدن إنسان. إن القرآن الكريم حدثنا عن الشيطان الأكبر إبليس عدو آدم وبنيه، وحدثنا عن الجن مبيناً أنهم يأكلون وينسلون ويكلفون، وأن فيهم المؤمن والكافر والتقي والفاجر.

وقد علمنا أن الجن لهم حياتهم الخاصة بهم، وأنهم أشد منا قوة، وأنهم يروننا ولا نراهم، ومع ذلك فإن رجلاً من البشر أمكنهم الله من تسخير الجن كسليمان الذي جاء في وصف سلطانه: ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ ﴾ [سبأ: ١٢ — ١٣]. وفي هذا السياق القرآن الكريم عن أن الجن لا يعلمون الغيب، وأن هوايتهم في إغواء

---

(١) نفس المرجع . ص١١٨.

(٢) البيت من الطويل لابن الرومي ، انظر : الآمالي لأبي علي القالي (٢٨١/٢) عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي. الناشر: دار الكتب المصرية. الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م.

(٣) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. محمد الغزلي. ص١١٨.١١٩.

أبناء آدم لا تتعدى المكر السيء واستدراج المغفلين، ولذلك قال تعالى في وصف العصاة من البشر: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠ – ٢١]. تدبر هذه الجملة: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ [سبأ: ٢١]، لتعلم حدود مقدرته على الإيذاء، هل الجراثيم الخفية من عالم الجن؟ لا يستبعد صاحب المنار هذا! مستشهداً بالحديث في سبب الطاعون، وقد يكون رأيه صحيحاً! وقد يكون الجن الواعون الخبثاء أصحاب بصر بعالم الجراثيم، وأصحاب قدرة في إصابة البشر بهذا الجراثيم وما تحمل من علل، ولعل مطالبة المؤمنين بالتعوذ من الجن في أوقات وأماكن معينة ما يشهد لذلك، فالمسلم مكلف عند الذهاب إلى الخلاء أن يقول: ((أعوذ بك من الخبث والخبائث)) [(١)]، وعندما يتصل بزوجته أن يقول: ((اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا)) [(٢)] [(٣)].

وقال الشيخ الغزالي رحمه الله: قرأت هذا الحديث، ثم استغرقني الفكر، عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة، قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف فادع الله لي قال: ((إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك)). فقالت أصبر فقالت إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها)) [(٤)]، هذه امرأة مصابة بالصرع آثرت أن تموت به ضامنة الجنة كما بشرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل ما أحبته ألا يتكشف بدنها في أثناء الغيبوبة التي تنتابها، وقد تكفل لها النبي بذلك. قلت: لو كان مرضها من شيطان يركبها أكان النبي الكريم يتركها صريعة هذا اللعين؟ ما أظن! ماذا يقع لو كانت المرأة من أهل هذا العصر؟ ربما عولجت بالصدمات الكهربائية لتشفى، ربما قال بعض الناس: يسكنها شيطان، وظلوا يضربونها حتى يخرج الشيطان المزعوم منها، وربما خرجت روحها مع الضرب المبرح، ليس لدي مانع من

---

(١) متفق عليه ، البخاري في باب ما يقول عند الخلاء برقم (١٤٢). ومسلم في باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء برقم(٣٧٥)

(٢) متفق عليه ، البخاري في باب التسمية على كل حال وعند الوقاع ، برقم (١٤١). ومسلم في باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع برقم(١٤٣٤).

(٣) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. محمد الغزلي. ص١٢١.١٢٢.

(٤) متفق عليه ، البخاري في باب فضل من يصرع من الريح برقم (٥٦٥٢) ومسلم في باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها برقم(٢٥٧٦).

مناقشة الموضوع كله بفكر معتدل مفتوح، أما الذي أرفضه بقوة فهو إقحام الإيمان والكفر في الموضوع كأن الدين سلوك ماجنين، أو نزوع مجانين. الخطأ والصواب هنا في تشخيص مرض، وقد استبعد ما يصدقه الآخرون دون حرج، وأنا أريد حماية أمتنا من الشعوذة، والتمائم، وحروف الجمل، وأرقام الحروف وحساب الطوالع، وصداقة الأشباح وتسخير الجان.. الخ، المرض الحقيقي عند قوم يتهموك بأنك تنكر الجن وعالم الغيب، لأنك ترفض أوهامهم، أولئك بلاء على الإسلام) [(١)] .

من خلال هذا العرض يرى الغزالي :

أن الجن لا يتلبس بالإنس ، وأنه لا سلطان له عليه ، ولا سبيل له في أن يحمل الإنسان على أمر لا يريده ، وأن سبيله الوحيد هو الوسوسة والاستغفال ، وهو كذلك يرى أن الذين يزعمون أن الجن تلبستهم إنما هم مرضى يجب أن يعالجوا .

وللرد على الغزالي في هذا أكتفي بنقل أقوال العلماء في هذه المسألة فهي واضحة وجلية لمن أراد الحق وطلب الصواب .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قلت لأبي:(إن أقواما يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع فقال: يا بني يكذبون هذا يتكلم على لسانه [(٢)]).

قال ابن تيمية : (وهذا الذي قاله أمر مشهور فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ويضرب على بدنه ضربا عظيما لو ضرب به جمل لأثر به أثرا عظيما. والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ولا بالكلام الذي يقوله وقد يجر المصروع وغير المصروع ويجر البساط الذي يجلس عليه ويحول آلات وينقل من مكان إلى مكان ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علما ضروريا بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان. وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في ببدن المصروع وغيره ومن أنكر

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. محمد الغزلي. صـ١٢٢.١٢٣.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧٧/٢٤).

ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك[1]).

وقد نقل الإمام ابن تيمية الإجماع على دخول الجني في بدن الإنسان فقال: (وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله واتفاق سلف الأمة وأئمتها. وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم {إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[2]}[3]).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية (الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة. وَالثاني: هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه.
وأما صرع الأرواح فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة فتدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك أبقراط في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة. وأما الصرع الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج[4]).

ثم قال : (وبالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر، والتعاويذ، والتحصنات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عريانا فيؤثر فيه هذا.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧٧/٢٤).
(٢) سبق تخريجه قبل قليل .
(٣) مجموع الفتاوى (٢٧٧/٢٤).
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (٦١/٤).

ولو كشف الغطاء لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى هذه الأرواح الخبيثة، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت، ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها، وبها الصرع الأعظم الذي لا يفيق صاحبه إلا عند المفارقة والمعاينة، فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقة، وبالله المستعان. [1]).

وقال الإمام الشوكاني : (الصرع نعوذ بالله منه: علة تمنع الأعضاء الرئيسية عن استعمالها منعا غير تام.
وسببه ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء. وقد يتبعه تشنج في الأعضاء، ويقذف المصروع بالزبد لغلظ الرطوبة. وقد يكون الصرع من الجن ويقع من النفوس الخبيثة منهم، إما لاستحسان بعض الصور الإنسية، وإما لإيقاع الأذية به. والأول هو الذي يثبته جميع الأطباء ويذكرون علاجه. والثاني يجحده كثير منهم وبعضهم يثبته، ولا يعرف له علاج إلا بجذب الأرواح الخيرة العلوية لدفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطيل أفعالها.
وممن نص على ذلك بقراط فقال بعد ذكر علاج المصروع: إنما ينفع في الذي سببه أخلاط، وأما الذي يكون من الأرواح فلا [2]).

ومن خلال هذا يتضح لنا الآتي :

أولا : أن دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أهل السنة والجماعة .

ثانيا : أن الشيخ الغزالي لم يذكر دليلا واحدا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من العلم ولا من العقل يبين استحالة دخول الجن في بدن الإنسان ، كل ما ذكره الشيخ هو عدم العلم بهذا الشيء ، وعدم العلم بالشيء ليس علما بالعدم ، ومن عرف حجة على من لم يعرف .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (٦٣/٤).

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني (٢٣٢/٨). تحقيق: عصام الدين الصبابطي . الناشر: دار الحديث، مصر. الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

ثالثا: تلبس الجني بالإنسان وإن لم يثبته العلم الحديث كما يقول الشيخ أو العقل كما يرى فهو ثابت بضرورة الواقع كما هو المشاهد من حال الناس الذين مستهم الجن .

رابعا: مع أن الشيخ يستدل بظاهر القرآن ، وأحيانا يرد أحاديث صحيحة بسبب ذلك إلا أنه صرف نظره هنا عن هذا الظاهر تمشيا مع تأثيرات العلم التجريبي ، وإلا فإن قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] صريح في إثبات المس من الجن .

خامسا : أما قوله : لماذا لم يركب الجني يابانيا أو ألمانيا .... فمن الذي قال : إن اليابانيين والأمريكان والروس لا يصيبهم الجن ، فهناك مصحات كثيرة ، ومستشفيات عقلية ونفسية كثيرة جدا في تلك البلاد ، وهي ملآى بالنزلاء والمصابين ، فلماذا لا يكون بعض هؤلاء ممن أصابهم مس من الجن ، لكن القوم لايؤمنون بالجن ، ولا بالمس فهم لا يفسرون المرض بهذا التفسير ، ويفسرونها على أنها أمراض عقلية أو نفسية [(١)] .

(١) انظر : موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي ، من السنة النبوية.

المبحث الثالث : الإيمان بالكتب[1]

إن الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان وحديث الشيخ الغزالي رحمه الله عن الإيمان بالكتب، اشتمل على ما يلي:

أولاً: تصديق القرآن لما بين يديه من الكتب.

ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن القرآن الكريم دائماً يعلن عن نفسه أنه جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب، ويعلمنا أن كل كتاب ينزل قد جاء مصدقاً ومؤكداً لما قبله.

فيرى أن الإنجيل مصدق ومؤيد للتوراة. والقرآن مصدق ومؤيد للإنجيل والتوراة فيقول: (والقرآن مصدق ومؤيد للإنجيل والتوراة، ولكل ما بين يديه من الكتب[2] .

واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المائدة:٤٦-٤٨]).

وقد أخذ الله الميثاق على كل نبي إذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ

---

(١) تعريف الكتب لغةً: قال ابن فارس : (كتب) الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء. من ذلك الكتاب . يجمع على كتب . والكتابة. يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتبا. انظر: مقاييس اللغة . مادة كتب (١٥٨/٥).

وفي الإصطلاح: كما قال ابن حجر في الفتح : (والإيمان بكتب الله التصديق بأنها كلام الله وأن ما تضمنته حق).انظر: فتح الباري لابن حجر (١١٧/١).

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب. فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء). انظر: شرح العقيدة الطحاوية(٢٩١/١).

(٢) التعصب والتسامح بين المسلمين. ص٧٩. محمد الغزالي. دار القلم.

﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[آل عمران: ٨١] [1].

ثم يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن الكتب المتأخرة إنما هي تجديد للمتقدمة وتذكير بها فلا تبدل فيها معنى، ولا تغير حكماً. فيقول: (وإلا فكيف يقال: إنها تصدق... إلخ بينما هي تبدل وتعدل؟.

وإذا كان من قضية التصادق الكلي بين الكتب ألا يغير المتأخر منها شيئاً من المتقدم فهل الواقع يقول ذلك؟

الجواب: ليس الواقع ذلك.

فقد جاء الإنجيل بتعديل بعض أحكام التوراة، إذ أعلن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه جاء لبني إسرائيل بعض الذي حرم عليهم:﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾[آل عمران: ٥٠].

وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الإنجيل والتوراة، إذ أعلن أن محمداً جاء ليحل للناس كل الطيبات، ويحرم عليهم كل الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧].

ولكن يجب أن يفهم هذا وذاك لم يكن من المتأخر نقضاً للمتقدم. ولا إنكاراً لحكمة أحكامه في إبانها، وإنما كان وقوفاً بها عند وقتها المناسب، وأجلها المقدر.. [2]).

ويقول: (هكذا الشرائع السماوية كلها صدق وعدل في جملتها وتفصيلها، وكلها يصدق بعضها من ألفها إلى يائها [3]).

---

(١) نفس المصدر. ص٧٩..

(٢) التعصب والتسامح. ص٨٠.

(٣) نفس المصدر. ص٨١.

ثم يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن: (الشرائع السماوية تحتوي على نوعين من التشريعات:

١. تشريعات خالدة لا تتبدل بتبدل الأصقاع والأوضاع "كالوصايا العشر" ونحوها.

٢. وتشريعات موقوتة بآجال طويلة أو قصيرة.

فهذه تنتهي بانتهاء وقتها، وتجيء الشريعة التالية بما هو أوفق بالأوضاع الناشئة الطارئة..

وهذا . والله أعلم . هو تأويل قوله تعالى:﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾[البقرة:١٠٦].

ولولا اشتمال الشريعة السماوية على هذين النوعين ما اجتمع فيها العنصران الضروريان لسعادة المجتمع البشري.

١. عنصر الاستمرار الذي يربط حاضر البشرية بماضيها.

٢. وعنصر الإنشاء والتجديد، الذي يعد الحاضر للتطوير والرقي اتجاهاً إلى مستقبل أفضل وأكمل.

ونحن إذا نظرنا نظرة فاحصة إلى سير التشريع السماوي من خلال الشرائع الثلاث نجد فيه هذين العنصرين واضحين كل الوضوح.

حيث نجد كل شريعة جديدة تحافظ على الأسس الثابتة التي أرستها الشريعة السابقة، ثم تزيد عليها ما يشاء الله زيادته.

نرى شريعة التوراة مثلاً قد عنيت بوضع المبادئ الأولية لقانون السلوك "لا تقتل"، "ولا تسرق"... الخ. وما ذكره الشيخ الغزالي رحمه الله عن شريعة التوراة موجود في سفر التثنية وهذا نصه :{وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ علَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. ١٧لاَ تَقْتُلْ، ١٨وَلاَ تَزْنِ، ١٩وَلاَ تَسْرِقْ، ٢٠وَلاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ، ٢١وَلاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ وَلاَ حَقْلَهُ وَلاَ عَبْدَهُ وَلاَ أَمَتَهُ وَلاَ ثَوْرَهُ وَلاَ حِمَارَهُ وَلاَ كُلَّ مَا لِقَرِيبِكَ. ٢٢ [(١)]}.

ونرى الطابع البارز فيها هو طابع الحقوق، وطلب العدل والمساواة بينها.

---

(١) التثنية . الإصحاح الخامس (ص: ٢١) .

. ثم نرى شريعة (الإنجيل) تجئ بعدها فتقرر هذه المبادئ الأخلاقية وتؤكدها، ثم تترقى فتزيد عليها آداباً مكملة: {لَا تُرَاءِ النَّاسَ بِفِعْلِ الْخَيْرِ}،{أَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ}.

ونرى الطابع البارز فيها التسامح والرحمة والإيثار والإحسان.

. وأخيراً تجئ شريعة القرآن، فنراها تقرر المبدأين كليهما في نسق واحد: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾[النحل: ٩٠].

مقدرة لكل منهما درجته في ميزان القيم الأدبية، مميزة بين المفضول فيها والفاضل: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾[الشورى: ٤٠]. ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ ﴾[النحل:١٢٦]. ثم نراها . وقد أضافت إليها فصولاً جديدة . صاغت فيها قانون آداب اللياقة . رسمت بها مناهج السلوك الكريم في المجتمعات الرفيعة) [1].

ويقول كذلك: ((هكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة ولبنات متراكمة في بنيان الدين والأخلاق وسياسة المجتمع.

وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها [2] أنها أكملت البنيان وملأت ما بقي فيه من فراغ، وأنها . في الوقت نفسه . كانت بمثابة حجر الزاوية الذي يمسك أركان البناء.

وصدق الله حين وصف خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم بأنه:﴿ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧ ﴾ [الصافات:٣٧] [3].

ثم يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (ونحن المسلمين نعد أنفسنا إخوة لأتباع موسى الذين احتفوا به، وتحملوا معه، وقال الله فيهم:﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤ ﴾[السجدة: ٢٤].

ونحن نصدق معهم التوراة التي حكموا بها ودعوا إليها، وقال الله فيها: ﴿أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ ﴾[المائدة: ٤٤] [4].

---

(١) أي : شريعة القرآن .

(٢) التعصب والتسامح. ص٨٢،٨١.

(٣) نفس المصدر. ص٨٣.

(٤) نفس المصدر. ص ٨٠ . ٨٥ .

ويقول أيضاً: (ونحن نؤمن بالإنجيل الذي نزل عليه من عند ربه، وبما تضمن من عظات صالحات، ونعي تسلسل الوحي الصادق في قوله تعالى:﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[المائدة:٤٦] [1]).

ثانياً: القرآن مهيمناً على الكتب السابقة.

بعد أن ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب، أضاف إليه صفة أخرى وهي أنه مهيمناً على الكتب السابقة واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المائدة:٨]. أي حارساً أميناً عليها...

ومن قضية الحراسة الأمينة على تلك الكتب ألا يكتفي الحارس بتأييد ما خلده التاريخ فيها من حق وخير، بل عليه . فوق ذلك . أن يحميها من الدخيل الذي عساه أن يضاف إليها بغير حق.

وأن يبرز ما تمس إليه الحاجة من الحقائق التي عساها أن تكون قد أخفيت فيها.

وهكذا كان من مهمة القرآن أن ينفي عنها الزوائد، وأن يتحدى من يدعي وجودها في تلك الكتب.

﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[آل عمران:٩٣]. ، كما كان من مهمته أن يبين ما ينبغي تبيينه مما كتموه فيها ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[المائدة:١٥].

وجملة القول: إن علاقة الإسلام بالشرائع السماوية في صورتها الأولى هي علاقة تصديق وتأييد كلي.

وأن علاقته بها . في صورتها المنظورة . علاقة تصديق لما بقي من أجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة عنها.

هذا الطابع الذي تتسم به العقيدة الإسلامية . وهو طابع الإنصاف والتبصير، الذي يلزم كل مسلم، أن لا يقبل جزافاً ولا ينكر جزافاً، وأن يصدر دائماً من بصيرة وبينة في قبوله ورده . ليس خاصاً بموقفها من الشرائع السماوية.

(١) نفس المصدر. صـ ٨٠ . ٨٥ .

بل هو شأنها أمام كل رأي وعقيدة.

وكل شريعة وملة، حتى الديانات الوثنية، ترى القرآن يحللها ويفصلها.

فيستبقي ما فيها من عناصر الخير والحق والسنة الصالحة، ويخبي ما فيها من عناصر الباطل والشر والبدعة [1].

---

(١) نفس المصدر. ص٨٥،٨٤

نـــــقد

وأما مسألة الإيمان بالكتب فيلاحظ فيها ما يلي:

١. أن ما ذكره الشيخ الغزالي رحمه الله عن تصديق القرآن لما بين يديه من الكتب يتفق مع ما يراه السلف حيث ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[البقرة:٩٧].

قال أبو جعفر الطبري [(١)] قوله تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾،القرآن. ونصب (مصدقاً) على القطع من(الهاء)التي في قوله: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾.

فمعنى الكلام: فإن جبريل نزل القرآن على قلبك، يا محمد، مصدقا لما بين يدي القرآن. يعني بذلك: مصدقا لما سلف من كتب الله أمامه، ونزلت على رسله الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم. وتصديقه إياها، موافقة معانيه معانيها في الأمر باتباع محمد ﷺ وما جاء به من عند الله، وهي تصدقه [(٢)] .

وقال البخاري:(باب: كيف نزل الوحي ؟، وأول ما نزل وقال ابن عباس: المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله [(٣)]).

وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المائدة:٤٨]. قال: المهيمن الأمين ، قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله[(٤)]).

---

(١) سبق التعريف به . ص(٦٨) .

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٣٩٢)

(٣) ذكره البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب سورة المائدة (٦/ ١٨١)

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٧حديث رقم ١٠٩) لأحمد بن الحسين البيهقي . حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي . الناشر: مكتبة السوادي. جدة – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى. ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

قال ابن كثير[(١)] : (في قوله تعالى : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾أي: من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فكان نزوله كما أخبرت به، مما زادها صدقا عند حامليها من ذوي البصائر، الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله، وصدقوا رسل الله[(٢)]).

وقال ابن سعدي[(٣)] :(قل لهؤلاء اليهود، الذين زعموا أن الذي منعهم من الإيمان بك، أن وليك جبريل عليه السلام، ولو كان غيره من ملائكة الله، لآمنوا بك وصدقوا، إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت، وتكبر على الله، فإن جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على قلبك، وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك، والله هو الذي أمره، وأرسله بذلك، فهو رسول محض.

مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقا لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض، وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، والبشارة بالخير الدنيوي والأخروي، لمن آمن به، فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك، كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملائكته، فإن عداوتهم لجبريل، لا لذاته بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله[(٤)]).

٣. ما ذكره الشيخ الغزالي رحمه الله بأن القرآن مهيمن على الكتب السابقة يتفق مع ما ذكره السلف، قال الله تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة:٤٨].

قال أبو جعفر الطبري :(هذا خطاب من الله تعالى ذكره لنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم. يقول تعالى: أنزلنا إليك، يا محمد﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾وهو القرآن الذى أنزله عليه؛ ويعني بقوله: ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾، بالصدق ولا كذب فيه، ولا شك أنه من عند الله ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

---

(١) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ. أبو الفداء. عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في سنة إحدى وسبعمائة . وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق سنة أربع وسبعين وسبعمائة.من كتبه : تفسير القرآن العظيم والبداية والنهاية وطبقات الفقهاء الشافعيين . وغيرها. انظر : الدرر الكامنة لابن حجر(١/٤٤٥) والأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٧)

(٣) سبق ترجمته. ص١٩٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن (١/٦٠).

﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يقول: أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظا لها.

وأصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب. يقال، إذا رَقَب الرجل الشيء وحفظه وشَهِده: قد هيمن فلان عليه، فهو يُهَيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إلا أنهم اختلفت عباراتهم عنه[1]).

قال القرطبي[2]: (﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾[المائدة:٤٨].أي عاليا عليها ومرتفعا. وهذا يدل على تأويل من يقول بالتفضيل أي في كثرة الثواب[3]).

قال ابن سعدي[4] في قوله تعالى:" ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾[المائدة:٤٨]. أي: مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه[5]).

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٧).

(٢) سبق ترجمته: صـ٧٠.

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٢١٠).

(٤) سبق ترجمته. صـ١٩٤.

(٥) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٤).

المبحث الرابع : الإيمان بالرسل[(١)] :

يعتبر الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان. والكتابة عنه تقتضينا أن نتحدث أولاً عن الوحي ومراتبه عند الشيخ الغزالي رحمه الله ثم عن النبوة وما يتعلق بها.

أولاً: تعريف الوحي[(٢)] ومراتبه عند الغزالي:

. لقد عرف الشيخ الغزالي رحمه الله الوحي بقوله: (فالوحي عندنا إلهام إلهي خالص في معناه ومبناه، لا يستطيع أن يتجاوزه مرسل من الله ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الحاقة: ٤٤-٤٥][(١)] .

---

(١) الرسول لغة :قال ابن فارس : ((رسل) الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد. فالرسل: السير السهل. وناقة رسلة: لا تكلفك سياقا. وناقة رسلة أيضا: لينة المفاصل. وشعر رسْل، إذا كان مسترسلا. وتقول جاء القوم أرسالا: يتبع بعضهم بعضا؛.... والرسول معروف.)انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٢/٢).

معنى الرسول شرعا : قال السفاريني الحنبلي : (الرسل : جمع رسول، وهو من أوحي إليه بشرع من بني آدم وأمر بتبليغه) انظر :لوامع الأنوار البهية (٢٢٩/٢).

وقال ابن تيمية في النبوات : (فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبيء بما أنبأ الله به؛ فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول) انظر: النبوات لابن تيمية (٧١٤/٢)

قال ابن عثيمين في شرح العقيدة السفارينية : (الفرق بين النبي والرسول كما ذهب إليه الجمهور؛ أن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، ولهذا يسمى نبياً ولا يسمى رسولاً لأنه لم يؤمر، لكنه لم ينه عن إبلاغه، وأما الرسول فهو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، وهناك فرق بين أن نقول في النبي لم يؤمر بتبليغه وبين أن نقول: نهي عن تبليغه)انظر : شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٥٢٧/١).

(٢) تعريف الوحي لغة: (وحى) الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة. والوحي: الْكتاب والرسالة. وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان. وأوحى الله تعالى ووحى. قال: وحى لها القرار فاستقرت ، وكل ما في باب الوحي فراجع إلى هذا الأصل الذي ذكرناه. والوحي: السريع: والوحى: الصوت. والله أعلم). انظر: معجم مقاييس اللغة (مادة وحى ٩٣/٦).

وفي الإصطلاح: عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : (الوحي وهو الإعلام السريع الخفي: إما في اليقظة وإما في المنام فإن رؤيا الأنبياء وحي ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة). انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٩٧/١٢).

مراتب الوحي عند الشيخ الغزالي رحمه الله:

. ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن الوحي أنواع ومراتب تبتدئ بالرؤيا الصالحة ثم الإلهام، وتكليم الله لعبده من غير واسطة فقال: (والوحي الذي تشرق به المعرفة على قلوب الأنبياء أنواع ومراتب.

١. يبدأ بالرؤيا الصالحة في النوم، ورؤيا الأنبياء ليست من أضغاث الأحلام التي تترجم بها النفس عن رغباتها المكبوتة في صور مهوشة متقطعة، كما يحدث لجماهير الناس! كلا، فإن الكمال البشري الذي وصل إليه النبيون يجعل قلوبهم يقظة، . ولو نامت أبدانهم . بعكس الدهماء الذين تنام قلوبهم ليلاً ونهاراً، فهي في غفوة لا تصحو منها، ولو نشطت أبدانهم وراء أغراضها الصغيرة.

أما أفئدة الأنبياء، فكأجهزة الاستقبال المعدة لالتقاط الأنباء في كل حين، وكهرباؤها المتألقة تسجل ما يقذف الملك فيها... ثم لا تلبث أن تذيعه على الناس أجمعين.

وكانت الرؤيا الصالحة أول مطالع الوحي في حياة محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة العظمى.

(أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي: الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [٢]).

وقد ظل صلوات الله وسلامه عليه موصول القلب بالله في يقظاته وهجعاته [٣] إلى الرمق الأخير من حياته.

ومن الوحي عن طريق الرؤيا حدثت قصة إسماعيل، ونزل الأمر بذبحه:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الصافات:١٠٢] .

(١) صيحة تحذير من دعاة التنصير. صـ٨٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي برقم (٣).الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري. للإمام البخاري . المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر . الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) . الطبعة: الأولى. ١٤٢٢هـ .

(٣) قال ابن فارس في مقاييس اللغة. مادة: هجع(٦/٣٦) : ((هجع) الهاء والجيم والعين: كلمة تدل على نوم. وهجع هجوعا: نام ليلا. ولقيته بعد هجعة.).

٢. ويكثر أن يكون الوحي إلهاماً ـ في اليقظة ـ بوساطة الملك، يتضح به المعنى على قلب النبي فيتكلم الحق.

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم أمثلة كثيرة لهذا الضرب من الإلهام، سواء صرح فيه بخبر هذه الوساطة كما في الحديث:«هذا رسول رب العالمين جبريل، نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب [(١)] » .

أو طوى ذكر الملك وأرسل الحديث إرسالاً كما في سنن أخرى.

وقد نزل القرآن كوحي بألفاظه ومعانيه جميعاً.. فعلم منه الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يكن يعلم، وكان حظ جبريل في ذلك مجرد النقل من لدن الخبير البصير:﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٣-١٩٥].

٣. وقد ينزل الوحي بتكليم الله مباشرة لعبده من غير وساطة كما تم لموسى:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾[القصص:٣٠] وكما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة عرج به ـ على رأي طائفة من العلماء [(٢)] ـ بيد أن تكليم الله لأنبيائه أمر لا ندري كنهه، وليس على النحو الذي نألفه بين المتخاطبين من تكاشف ومشافهة، بل كما قال الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾[الشورى:٥١-٥٢]) [(٣)] .

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن (٢/ ٧٢٥) حديث رقم(٢١٤٤). سنن ابن ماجه .

(٢) قال ابن أبي العز الحنفي :(وكما أن منزلة الخلة الثابتة لإبراهيم صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم. كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا صلى الله عليه وسلم. كما ثبت ذلك في حديث الإسراء). انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٩٥) لابن أبي العز الحنفي. تحقيق: جماعة من العلماء. تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة: الطبعة المصرية الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. قلت ـ الباحث ـ ولا يتنافى هذا مع ما يفهم من قوله تعالى في حق موسى عليه السلام {إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي} لما بينه ابن كثير في تفسير هذه الآية إذ قال : يذكر تعالى أنه خاطب موسى عليه السلام بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وبكلامه تعالى ولا شك أن محمدا صلى الله عليه وسلم= =سيد ولد آدم من الأولين والآخرين . انظر تفسير ابن كثير (٤٧٣/٣) لابن كثير. المحقق: سامي بن محمد سلامة . الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع . الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٣) عقيدة المسلم. ص١٩١.

ثانياً/ النبوة [1] :

. لقد ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن النبوة هبة لا كسب، فضل يتنزل من الله لا شأو يسعى إليه البشر[2].

فيرى أن هذه النبوة امتداد في المواهب كلها، واكتمال عقلي وعاطفي وبدني، وعصمة من الدنايا ورسوخ في الفضائل، وعراقة في النبل والفضل [3] . وقد عبر الغزالي عن هذا للأنبياء في قوله:

هم الرجال المصابيح الذين هم   كـــــــأنهم من نجوم حية صنعـــوا
أخلاقهم نورهم من أي ناحية   أقبلت تنظر في أخلاقهم سطعوا [1]

---

(١) قال ابن فارس : (نبأ) النون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان. يقال للذي ينبأ من أرض إلى أرض نابئ. وسيل نابئ: أتى من بلد إلى بلد ورجل نابئ مثله. قال:

ولكن قذاها كل أشعث نابئ ** أتتنا به الأقدار من حيث لا ندري

انظر: البيت للأخطل . وقبله:

ألا فاسقياني وانفيا عني القذى * فليس القذى بالعود يسقط في الخمر

وليس قذاها بالذى قد يريبها * ولا بذباب نزعه أيسر الأمر . انظر :الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٧٤/١)للجوهري الفارابي. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار . الناشر: دار العلم للملايين – بيروت . الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ومقاييس اللغة . (مادة نبأ ٣٨٥/٥) ولسان العرب (١٦٤/١).

قال البيهقي : (والنبوة اسم مشتق من النبأ، وهو الخبر إلا أن المراد به في هذا الموضع خبر خاص، وهو الذي يكرم الله عز وجل به أحدا من عباده فيميزه عن غيره بإلقائه إليه، ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد، ووعد ووعيد) . انظر: شعب الإيمان(٢٧٩/١) للبيهقي . حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد . أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي. صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند . الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند . الطبعة: الأولى. ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

وقال ابن تيمية : (النبوة واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه وسفارة بين الملك وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم – تبارك وتعالى – لخلقه ليُخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة). انظر: النبوات (٢٦/١) لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: عبدالعزيز بن صالح الطويان. الناشر: أضواء السلف. الرياض. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٢) انظر ركائز الإيمان. ص٢١١. ط: دار القلم.

(٣) انظر عقيدة المسلم. ص:١٩١.

ثم ذكر أن رسالة الإسلام: (لا يحصرها زمان ولا مكان، ولا تحتبس في افق من أحوال البشر وتدع أفقاً آخر، وهذا الشمول ظاهر في سور الكتاب، وسنة الرسول، وعمل الأصحاب.[2]).

ويرى أن الرسل هم خيرة الله من خلقه فيقول: (وحسبك أنهم خيرة الله من خلقه: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾[الأنعام:١٢٤] ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦ ﴾[الحج:٧٥-٧٦])[3] .

---

(١) ركائز الإيمان . ص ٢١٥ ولم أجد البيتين منسوبة لأحد في مضانها الشعرية .

(٢) المرجع السابق . ص٢١٥.

(٣) عقيدة المسلم. ص ١٨٠.

ثالثا/ وظيفة الرسل والحكمة من إرسالهم:

أ. لقد ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن وظيفة الرسل تقوم على: (إسداء العون والنصح للفرد والجماعة في كل ناحية، فهو يسكب من طهارة قلبه على أوضار القلوب فيغسلها، وهو يشعل من تألق عقله الأفكار الخابية فيضيئها، ثم يبعثها هي الأخرى لتضيء وتهدي... [١]).

ويقول: (وليست وظيفة الرسل هذا الإرشاد العقلي فحسب، بل إن تربية الأصحاب والأتباع على هذه المبادئ من أهم ما جاءوا له [٢]).

ب . ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن بعثة الرسل ضرورة إنسانية لتجنيب العالم متاعب الضرب في بيداء طامسة فيقول: (أحسب أنه لو لم تأتنا رسل من عند الله تعرفنا بوجوده، لبحثنا عن سر الوجود! وستصل أفكار حصيفة حتماً إلى الجزم بأن هذا الكون لن يخلقه الوهم ولن ينظمه العدم، بل لابد من خالق موجود وقدرة منظمة.

ولكن هذه الأفكار الصحيحة ستكون فروضاً قلقة، وقد تجرفها الآراء المناقضة، والمذاهب الملحدة.

ولو استطاعت البقاء فإنها . في غيبة الوحي . ستكون تخمينات شتى، يلتبس فيها الحق بالباطل [٣]).

ثم يرى أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رحمة عامة فيقول: (ولقد كانت بعثة محمد رحمة عامة، لأنها أهدت إلى البشر جملة الحقائق التي يفتقرون إلى معرفتها واستصحابها، فوفرت عليهم عناء التيه في دروب من الباطل لا حصر لها... أم تجعل الحق في متناول اليد؟ والنفع منشور ميسوراً في العاجلة مضموناً في الآجلة؟.. والحقائق التي تضمنتها الرسالة الإسلامية تمتاز بالشمول والوعي؟ [٤]).

---

(١) عقيدة المسلم. ص١٧٩ .

(٢) المصدر السابق. ص١٧٩.

(٣) المصدر السابق. ص١٧٨.

(٤) ركائز الإيمان. ص٢٢١. ط:دار القلم.

رابعا/ المعجزة[1] :

- يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن من حق الناس أن يسألوا عن دليل صدق من يزعم أنه رسول فيقول: (من حق الناس أن يسألوا كل رجل يزعم أنه مرسل لهم من عند الله: ما دليلك على صدق قولك؟

فإذا قدم لهم الدليل المقنع على صحة رسالته، قبلوه واستمعوا له[2]).

ثم يقول: (والدليل على صدق أية دعوى قد يكون بأمور خارجة، أو يكون بحقيقتها في نفسها.

فقد يزعم أحد الناس أنه مهندس ويقول: دليلي على ذلك أني أستطيع السير بقدرتي على الماء، أو الطير بجناحي في الهواء.

فإذا فعل ذلك سلمنا له!

وقد يقول: دليلي على ما أقول: أن أبني فعلا . عمارة مدعمة الأركان، أو أصل بين شاطئين مثلاً بجسر متين!

فإذا فعل، فقد دل بقدرته الهندسية على أنه مهندس يقيناً. بل قد تستريح النفس إلى هذا الاستدلال أكثر من راحتها إلى البراهين الخارقة الأولى[3]).

ويقول أيضا: (جرت سنة الله في أنبيائه جميعاً أن يؤيدهم بالمعجزات الواضحة، وأن يسوق بين أيديهم من الخوارق ما يلفت الأنظار، ويستهوي الأفئدة، ثم ما يبني معالم اليقين، وعناصر الاستقرار، ودواعي الطمأنينة في النفوس.

---

(١) تعريف المعجزة لغة: قال ابن منظور في لسان العرب : عجز: العجز: نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزا فيهما؛ ورجل عجز وعجز: عاجز. ومرة عاجز: عاجزة عن الشيء؛ عن ابن الأعرابي. وعجز فلان رأي فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم كأنه نسبه إلى العجز. ويقال: أعجزت فلانا إذا ألفيته عاجزا. والمعجزة والمعجزة: العجز.

ثم قال : والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء، عليهم السلام. انظر: لسان العرب فصل العين المهملة (٥/٣٦٩).

وفي الإصطلاح : عرفها ابن تيمية بأنها الأمر الخارق للعادة إذا اقترن بدعوى النبوة. انظر: النبوات (١/١٣٣) لابن تيمية.

(٢) عقيدة المسلم. صـ١٨٠.

(٣) المصدر السابق. صـ١٨١،١٨٢.

وكانت معجزات الأنبياء شيئاً آخر غير الرسالات التي يبشرون بها، ويدعون إليها فطب عيسى غير إنجيله، وعصا موسى غير توراته[1]).

ويقول: (وقد كان التعويل في العصور الأولى على الخوارق المادية فحسب، أما ما تضمنته الأديان من حقائق فكانت منزلته ثانوية ، حتى جاء الإسلام فغض من شأن الإعجاز المادي... ونوه بالإعجاز العقلي والقيم المعنوية للرسالات ، وقرر إلى جانب ذلك أن الخوارق التي دعمت بها الديانات القديمة لم تمنع التكذيب بها . أولاً . فلا معنى لطلب التصديق بها أخيراً. ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾[الإسراء:٥٩] . ومن ثم اتجه تأييد الأنبياء وجهة أخرى[2]).

وقال: (إلا أن شاء أن يجعل معجزة الرسالة الأخيرة شيئاً لا ينفصل عن جوهرها، فجعل حقائق الرسالة ودلائل صحتها كتاباً واحداً[3]).

وقال كذلك: (ولذلك توجه القرآن . مباشرة . إلى العقل البشري يخاطبه ويفك عنه آصاره، ويرد له اعتباره.

وأكد القرآن أن أصحاب هذا العقل وحده هم الذين يستطيعون فهمه وتبيين معانيه:﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد:١٩].

ثم يرى (أن دلالة القرآن على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست كدلالة انقلاب العصا حية، ولا إحياء الموتى، وإبراء المرضى.

فإن تلك وإن كانت أفعالًا لا تظهر إلا على أيدي الأنبياء، وفيها ما ينفع الجماهير من العامة، إلا أنها مقطوعة الصلة بوظيفة النبوة، وأهداف الوحي، ومعنى الشريعة. أما القرآن فدلالته على صفوة النبوة، وحقيقة الدين مثل دلالة الإبراء على الطب. ومثال ذلك، لو أن شخصين ادعيا الطب، فقال أحدهما: الدليل على أني طبيب أني أطير في الجو.

---

(١) المصدر السابق. صـ١٨٣.

(٢) المصدر السابق. صـ١٨٢.

(٣) المصدر السابق. صـ١٨٣ .

وقال الآخر: دليلي أن أشفي الأمراض وأذهب الأسقام. لكان تصديقنا بوجود الطب عند من شفا من المرض قاطعاً، وعند الآخر مقنعا فقط [(١)]).

وبناء على ما سبق يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن معجزة الإسلام عقلية وحسية.

فيقول: (فلتكن إذاً معجزة نبي الإسلام عقلية.

ومادام البشر يحترمون عقولهم، فستبقى لهذه المعجزة قيمتها، أجل، ستبقى لهذه المعجزة قيمتها ما بقي العقل أنفس شيء في الحياة، وما استلهم النا س عقولهم في الحكم على الأمور وفي قيادة الإنسانية إلى آفاق الترقي والكمال [(٢)]).

(١) المصدر السابق. صـ١٨٢.

(٢) المصدر السابق. صـ١٨٤.

خامساً/ العصمة[1] :

- يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن الأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر حيث يقول: (قد قرر علماء المسلمين أن العصمة واجبة لرسل الله كافة..

فلا تليق أن تصدر عن أحدهم كبيرة، لا قبل البعثة ولا بعدها.

ولا تصدر من أحدهم صغيرة تخل بالمروءة أو تسقط الاعتبار.

وقد تقع منهم أخطاء يعاتبون من الله عليها، ويوفقون إلى الصواب فيها، ولكن هذه الأخطاء لاتصل بأمور اعتقادية أو خلقية، مما يعد الوقوع فيها أمراً شائناً.

بل مكان ذلك: الأمور التقديرية التي تتفاوت فيها الأنظار عادة من شؤون الدنيا وسياسات الأمم. وقد يعتبر الأنبياء أنفسهم مقصرين في حق الله، لأنهم أعرف الناس به وبجلال ذاته، وعظمة حقوقه على عباده، وبقصور الهمم مهما بذلت عن الوفاء بما ينبغي له.

وإذا كانوا يعدون ذلك ذنوباً تتطلب الاستغفار، فليس استغفار الأنبياء عن مثل ما نقارف من خطايا أو نرتكب من سيئات!![2]).

---

(١) تعريف العصمة لغة: قال ابن فارس: ((عصم) العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة. والمعنى في ذلك كله معنى واحد. من ذلك العصمة: أن يعصم اللّه – تعالى – عبده من سوء يقع فيه. واعتصم العبد باللّه – تعالى –، إذا امتنع. واستعصم: التجأ. وتقول العرب: أعصمت فلانا، أي هيأت له شيئا يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ ويتمسك به). انظر: مقاييس اللغة . مادة عصم (٤/٣٣١)لابن فارس.

وقال ابن تيمية : (ولفظ العصمة في القرآن، جاء في قوله: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ[المائدة:٦٧] أي من أذاهم.

فمعنى هذا اللفظ في القرآن: هو الذي يحفظه الله عن الكذب خطأ وعمدا). انظر: تفسير ابن جرير الطبري(١٠/٤٧٢).

(٢) عقيدة المسلم. صـ١٨٠.

نـــــــقد

يلاحظ على الغزالي فيما يتعلق بمسألة الرسل ما يلي :

أولاً: الوحي:

١. في تعريف الوحي ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن الوحي (إلهام إلهي خاص في معناه ومبناه، لا يستطيع أن يتجاوزه مرسل من الله[1]) .

وهذا التعريف اشتمل على أحد مراتب الوحي وهو "الإلهام" فقط، وبهذا يكون هذا التعريف خالف ما عليه السلف حيث ذكروا في تعريف الوحي مراتب الوحي ، قال ابن تيمية رحمه الله : (الوحي وهو الإعلام السريع الخفي: إما في اليقظة وإما في المنام فإن رؤيا الأنبياء وحي ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة)[2] .

٢. ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن للوحي مراتب، وهي:

الرؤيا الصالحة، الإلهام، وتكليم الله لعبده من غير واسطة[3] .

وهو بهذا وافق ما عند السلف حيث زادوا عليه ما كان بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام وذكروا بأن أنواع الوحي هي:

١- ما يكون منامًا ، وهو أول مراتب الوحي كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة وعند مسلم الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[4]) .

٢- ما كان مكالمة بين العبد وربه ، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ٥١** ﴾[الشورى:٥١]ومن هذا النوع تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: ﴿ **وَرُسُلًا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤** ﴾[النساء:١٦٤].

---

(١) انظر: ص(٢٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٩٧/١٢).

(٣) انظر : ص ٢٣٤

(٤) الحديث متفق عليه . البخاري في بدء الوحي برقم(٣) بلفظ: الرؤيا الصادقة. ومسلم في بدء الوحي برقم (١٦٠) لكن بلفظ : الرؤيا الصالحة بدل الصادقة عند البخاري.

٣- ما يكون إلهاما يقذفه الله تعالى في قلب نبيه ، على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعًا ولا يجد فيه شكا، ومنه حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب [1] ».

٤- ما كان بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وهذا النوع أشهر الأنواع وأكثرها، وهو المصطلح عليه بـ "الوحي الجلي" ووحي القرآن كله من هذا القبيل ولم ينزل شيء من القرآن على الرسول -صلى الله عليه وسلم- بغير هذا النوع كالإلهام أو المنام أو التكليم بلا واسطة يدل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ ﴾[الشعراء:٩٢-٩٤] وقوله سبحانه: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢ ﴾[النحل:١٠٢].

وقد ذُكرت هذه الأقسام الأربعة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴾[الشورى:٥١].

---

(١) انظر : شرح السنة للبغوي . باب التوكل على الله برقم (٤١١٢) لمحيي السنة. البغوي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش . الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق. بيروت . الطبعة: الثانية. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

ثانياً: النبوة:

لقد ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن النبوة: (هبة لا كسب فضل يتنزل من الله لا شأو يسعى إليه البشر) وهذا يتفق مع ما ذهب إليه السلف حيث يقول ابن تيمية في كتابه النبوات: (فهي نعمة مهداة من الله تبارك وتعالى إلى عبيده، وفضل إلهيّ يتفضّل بها عليهم. هذا في حقّ المرسَل إليهم.

أما في حقّ المرسَل نفسه، فهي امتنان من الله يمنّ بها عليه، واصطفاء من الربّ له من بين سائر النّاس، وهبة ربانيّة يختصّه الله بها من بين الخلق كُلّهم.

والنبوة لا تنال بعلم ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها كما يظنّ من في عقله بلادة.

وإنّما هي محض فضل إلهيّ، ومجرّد اصطفاء ربانيّ، وأمر اختياريّ؛ فهو جلّ وعلا كما أخبر عن نفسه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[البقرة:١٠٥] فالنبوة إذاً لا تأتي باختيار النبيّ، ولا تنال بطلبه [(١)]).

(١) النبوات (٢٦/١).

ثالثاً: وظيفة الرسل والحكمة من إرسالهم:

١. لقد وافق الشيخ الغزالي رحمه الله السلف رحمهم الله في وظيفة الرسل والحكمة من إرسالهم ، ويمكن أن نلخص وظيفة الرسل والحكمة من إرسالهم في النقاط التالية :

أ . الرحمة بالعالمين . كما قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (يخبر تعالى أن الله جعل محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة) انظر : تفسير ابن كثير (٥/٣٨٥).

ب . البلاغ ، كما قال تعالى ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾[النحل: ٣٥]

ج . الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك ، كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النحل: ٣٦).

د . البشارة والنذارة لإقامة الحجة ، كما قال تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥

قال ابن تيمية : (والحق الذي يجب اعتقاده أن الله سبحانه إنما أرسل رسوله رحمة لعالمين وان إرسال الرسل وإنزال الْكتب رحمة عامة للخلق أعظم من إنزال المطر وإطلاع الْبذر وإن يحصل بهذه الرحمة ضرر لبعض النفوس، ثم إنه سبحانه كما قال قَتادة وغيره من السلف لم يأمر الْعباد بما أمرهم به لحاجته إليه ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا منه بل أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم) [١] .

٢. أما قوله بأن بعثة الرسل ضرورة إنسانية لتجنيب العالم متاعب الضرب في بيداء طامسة .

---

(١) انظر:جامع الرسائل لابن تيمية (٢/٢٦٩) المحقق : د. محمد رشاد سالم. الناشر : دار العطاء – الرياض. الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

فقد خالف السلف حيث يرون بأنه لا يجب على الله شيء وإنما يرون بعثة الرسل لمهمة عظيمة وهي تبليغ الرسالة ، قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾[النحل:٣٥].

قال ابن بطة[1] :(ومن هنا نعلم أن مهمة الرسل مقصورة على الإنذار وتبليغ الرسالة مع الجهاد في سبيل الله كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الرعد: ٧]وقوله :

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾[الحج:٧٨].وقد نبه ابن بطة إلى أن الله إذا أراد للعباد السعادة وقدر لهم الهداية في الأزل ألان قلوبهم وفتح أذهانهم لتقبل الهداية التي جاءت بها الرسل فينتفعون بدعوة المرسلين فيجعل لهم من أنفسهم وازعا وداعيا إلى الهدى وكما أرسل الله الرسل بالهداية أرسل الشياطين لإضلال من أراد إضلاله في الأزل[2]).

(١) هو: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان. أبو عبد الله العكبريّ. المعروف بابن بطة: عالم بالحديث. فقيه من كبار الحنابلة. من أهل عكبرا مولدا ووفاة رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث. توفي سنة (٣٨٧)هـ له مصنفات منها :الإبانة على أصول السنة والديانة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(٤٦٤/١٢)والأعلام للزركلي(١٩٧/٤).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة(الفصل الخامس تقدير الهدية ١٨٣/١) لابن بطة العكبري. تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي الناشر: دار الراية للنشر – السعودية . الطبعة: الثانية. ١٤١٨هـ

رابعاً: المعجزة:

١ـ وأما فيما يتعلق بالمعجزة فقد ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن الدليل على صدق الرسول، وصحة رسالته هي المعجزة .

وهو في هذا وافق الأشاعرة حيث قالوا أن المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق الرسول .

قال الباقلاني : (ويجب أن يعلم: أن صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه، وإنما يثبت بالمعجزات، وهي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء، وتحديهم للأمم بالإتيان بمثل ذلك[(١)]).

وقال طاهر الإسفراييني : (وأن تعلم أن الدليل على صدق المدعي للنبوة هو المعجزة[(٢)]).

وفي شرح الأصفهانية : (والدليل على نبوة الأنبياء المعجزات والدليل على نبوة محمد ﷺ القرآن المعجز نظمه ومعناه" قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذه الطريقة هي من أتم الطرق عند أهل الكلام والنظر حيث يقررون نبوة الأنبياء بالمعجزات ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء[(٣)]) .

وخالف الغزالي السلف الذين يرون بأن الدليل على صدق الرسول ليس هو المعجزة فقط، وإنما لهم أدلة أخرى :

ـــ منها الاستدلال بما يأتي به النبي من الخبر والأمر ، قال ابن تيمية رحمه الله : (فإن المقصود إنما هو معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه ، فإنه إذا قال إني رسول الله فهذا الكلام إما أن يكون صدقا وإما أن يكون كذبا ، وإن شئت قلت : هذا خبر ، فإما أن يكون مطابقا للمخبر وإما أن يكون مخالفا سواء كانت مخالفته له على وجه العمد أو الخطأ، إذ قد يظن الرجل في نفسه أو غيره أنه رسول الله غير متعمد للكذب بل خطأ وضلال مثل كثير ممن يتمثل له الشيطان ويقول إني ربك ، ويخاطبه بأشياء وقد يقول له : أحللت لك ما حرمت على غيرك وأنت عبدي ورسولي وأنت أفضل أهل الأرض وأمثال هذه الأكاذيب فإن مثل هذا قد وقع

---

(١) الإنصاف (٢٠/١) لأبي بكر الباقلاني .

(٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (١٦٩/١) لأبي المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني.تحقيق: كمال يوسف الحوت. الناشر: عالم الكتب – لبنان. الطبعة: الأولى. ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٣) شرح الأصفهانية (٨٨/١) لابن تيمية .

لكثير من الناس ، فإذا كان مدعي الرسالة إذا لم يكن صادقا فلا بد أن يكون كاذبا عمدا أو ضلالا فالتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة ! [1])

- ومنها : الاستدلال بحال النبي وصفاته ، قال ابن تيمية : (ومعلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأفضلهم ، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم ، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي صلى الله عليه وسلم لما بلغهم الرسالة ودعاهم إلى الإسلام : والله لا أقول لك كلمة واحدة ، إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك ، وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أرد عليك ، فكيف يشتبه أكمل الخلق وأفضلهم بأنقص الخلق وأرذلهم [2]).
- ومنها ما ورد في مقدمة دلائل النبوة للبيهقي قال محققه : طرق إثبات النبوة:
  (الطريقة القرآنية في إثبات النبوة هي إيراد أدلة كثيرة تتكاتف لتؤدي إلى اليقين.

فالقرآن الكريم تحدى العرب والعجم، والإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[البقرة:٢٣] وقد بعث رسول ﷺ فيهم أربعين عاما، فلم يحدثهم بنبوة ولا برسالة! فهذا الأمر يخضع لمشيئة الله فقط.

﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[يونس:١٦] فهذا النبي ﷺ قد نشأ بينهم، وترعرع على مرأى ومسمع منهم بل كانوا يعرفونه بالصدق والأمانة، ورجاحة العقل، ولم يعهدوا عليه كذبا، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[سبأ:٤٦]، فلم الشك في أمره مع أنه قد تجرد عن كل مطمع دنيوي. ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[سبأ:٤٧] ، ولم الشك في أمره وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا يمكن أن

---

(١) شرح الأصفهانية لابن تيمية (٥٣٩) تحقيق : الدكتور محمد بن عوده السعوي . مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض . الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ .

(٢) شرح الأصفهانية لابن تيمية (٥٣٩).

يســـتمدّ مـــن كتـــاب. ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٨] .

قال ابن خلدون في المقدمة: (اعلم أن الله- سبحانه- اصطفى من البشر أشخاصا فضلهم بخطابه، وفطرهم على معرفته، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده: يعرفونهم بمصالحهم، ويحرضونهم على هدايتهم، ويأخذون بحجزاتهم عن النار، ويدلّونهم على طريق النجاة.

وكان- فيما يلقيه إليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والأخبار- الكائنات، المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها، إلا من على ألسنتهم من الله بوساطتهم، ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياهم..

قال صلى الله عليه وسلم: «ألا وإني لا أعلم إلا ما علمني الله» [(١)] .

واعلم أن خبرهم في ذلك، من خاصيّته وضرورته الصدق، لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة.

وعلامة هذا الصنف من البشر: أن توجد لهم- في حال الوحي- غيبة عن الحاضرين معهم مع غطيط كأنها غشي أو إغماء في رأي العين، وليست منهما في شيء، وإنما هي- في الحقيقة- استغراق في لقاء الملك الروحاني:

بإدراكهم المناسب لهم، الخارج عن مدارك البشر بالكلية. ثم يتنزل الى المدارك البشرية: إما بسماع دوي من الكلام فيتفهمه، أو يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله.

ثم تنجلي عنه تلك الحال، وقد وعى ما ألقي عليه.

قال صلى الله عليه وسلم، وقد سئل عن الوحي: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال. وأحيانا يتمثل إليّ الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول» [(٢)] .

---

(١) أخرجه ابن كثير في جامع المسانيد والسنن (٢٧١/٢) . جامع المسانيد والسنن لأبي الفداء إسماعيل بن كثير . المحقق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش. الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، طبع على نفقة المحقق ويطلب من مكتبة النهضة الحديثة – مكة المكرمة. الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

(٢) متفق عليه ، البخاري في بدء الوحي برقم (٢) ومسلم في باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي برقم(٢٣٣٣).

ويدركه أثناء ذلك، من الشدة والغطّ ما لا يعبّر عنه. ففي الحديث: «كان مما يعالج من التنزيل شدة»[(١)].

وقالت عائشة: «كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا»[(٢)] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾[المزمل:٥].

ولأجل هذه الحالة في تنزّل الوحي، كان المشركون يرمون الأنبياء بالجنون، ويقولون له رئي، أو تابع من الجن.. وإنما لبّس عليهم، بما شاهدوه من مظاهر تلك الأحوال: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[الرعد:٣٣].

ومن علاماتهم أيضا: أنه يوجد لهم- قبل الوحي- خلق الخير والزكاة، ومجانبة المذمومات والرجس أجمع.

وهذا هو معنى العصمة. وكأنه مفطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها. وكأنها منافية لجبلّته[(٣)]).

٢. يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن معجزة الرسول عقلية بينما معجزات الأنبياء السابقة كانت مادية فقط حيث يقول: (وقد كان التعويل في العصور الأولى على الخوارق المادية فحسب، أما ما تضمنته الأديان من حقائق فكانت منزلته ثانوية. حتى جاء الإسلام فغض من شأن الإعجاز... ونوه الإعجاز العقلي والقيم المعنوية للرسالات.

ثم يقول: (فلتكن إذن معجزة نبي الإسلام عقلية[(٤)]).

ويترتب على هذا ما يلي:

١. التقليل من شأن الإعجاز المادي، وهو قوله: (إن الإسلام غض من شأن الإعجاز المادي ونوه بالإعجاز العقلي، وهو في هذا خالف ما عليه السلف حيث يرون بأن الله تعالى أيد نبيه بأنواع كثيرة من المعجزات منها المعجزات الحسية. ومنها:

انشقاق القمر ، قال تعالى ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾[القمر:١].

---

(١) متفق عليه ، البخاري في بدء الوحي برقم (٥) ومسلم في باب الاستماع للقراءة برقم(٤٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في بدء الوحي برقم (٢) بلفظ " ولقد رأيته ينزل عليه الوحي... " .

(٣) انظر مقدمة دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة(١٣/١).

(٤) انظر:ص(٢٥١).

ومنها نبع الماء بين يديه الشريفتين ، أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أنه قال: « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه قال: «فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضئوا من عند آخرهم [1] ».

ومنها بقاء السمن مدة طويلة في الإناء الذي كان يهدى فيه إليه صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج مسلم في صحيحه : أن أم مالك، كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنا، فيأتيها بنوها فيسألون الأدم، وليس عندهم شيء، فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم، فتجد فيه سمنا، فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «عصرتيها؟» قالت: نعم، قال «لو تركتيها ما زال قائما [2] »

ومنها كثرة طعام من استطعمه صلى الله عليه وسلم حتى كاله ، كما أخرج مسلم في صحيحه : عن جابر، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما، حتى كاله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه، ولقام لكم» [3] .

٢. ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن معجزة نبي الإسلام عقلية ومعنى ذلك إذا كانت معجزة الإسلام عقلية فقط كما يرى الشيخ الغزالي رحمه الله بناء على أنه قلل من شأن الإعجاز المادي فقد خالف بهذا منهج السلف الذين يعتبرون أيضا أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة إلا إنهم لا يقللون من شأن المعجزات الأخرى حيث يعترفون بالمعجزات المادية والعقلية.

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم رقم(٢٢٨٠)

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم رقم(٢٢٨١)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم برقم(٢٢٨١).

خامساً: العصمة:

وفي مسألة العصمة ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله أن الأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر قبل البعثة وبعدها، وقد تقع منهم أخطاء لكنها لا تصل إلى أمور الاعتقاد أو الأمور الأخلاقية وهو بهذا يوافق ما عليه السلف قال ابن تيمية: (والكلام في هذا المقام . العصمة . مبني على أصل: وهو أن الأنبياء – صلوات الله عليهم – معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه كما قال تعالى:﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[البقرة:١٣٦-١٣٧]، بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء لله، ولهذا من سب نبيا من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل.

وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة؛ فإن " النبي " هو المنبئ عن الله، " والرسول " هو الذي أرسله الله تعالى، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين[(١)]).

ويقول أيضا: (فإنهم – يعني أهل السنّة – متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرسالة فإن الرسول هو الذي يبلغ عن الله أمره ونهيه وغيره.. ومتفقون على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلاً.. وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها.. وأما النسيان والسهو في الصلاة فذلك واقع منهم، وفي وقوعه حكمة استنان المسلمين[(٢)]) .

وقال الذهبي : (بل اتفقوا على عصمتهم ـالأنبياءـ فيما يبلغونه وهو مقصود الرسالة وقد يقع منهم الذنب ولا يقرون عليه ولا يقرون على خطأ ولا فسق أصلا فهم منزهون عن كل ما يقدح في نبوتهم[(٣)]).

---

(١) مجموع الفتاوي (١٠ /٢٩١).

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية(٤٧٢/١).

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال(٥٠/١)للإمام الذهبي . المحقق: محب الدين الخطيب.

المبحث الخامس: اليوم الآخر[1] .

يعتبر الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان، وفيما يلي نتحدث عن المسائل التي تتعلق به على النحو الآتي:

حديث الشيخ الغزالي رحمه الله عن اليوم الآخر يشتمل على ما يلي:

١. الاعتراف باليوم الآخر :

ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن المرء يجب عليه أن يعترف ويقر بأن هناك عالماً آخر سوف ينتقل إليه حتماً، وسوف يعيش فيه طويلاً، وهو اليوم الآخر، وعلى المرء أن يستعد له[2] .

ويرى أن الآخرة حق فيقول: (إن الآخرة حق لأنها تصحيح لأوضاع، ورد لاعتبار، وتحقيق لعدل اختبر الله الناس بتأخيره إلى حين . هذا الحين جزء من نظام الدنيا، ومن امتحاناتها الصعبة، ولا بد من مراعاته، ولذلك جاء في الحديث القدسي، في إجابة دعوة المظلوم ((وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين[3])) وجاء في انتصار المؤمنين على الكافرين ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ ﴾[الصافات: ١٧٤-١٧٨] .

٢. أشراط الساعة ، وأهمها:

---

(١) تعريف اليوم الآخر: قال ابن فارس : (أخر) الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم. وهذا قياس أخذناه عن الخليل فإنه قال: الآخر نقيض المتقدم. والأخر نقيض القدم، تقول مضى قدما وتأخر أخرا. وقال: وآخرة الرحل وقادمته ومؤخر الرحل ومقدمه.

وابن دريد يقول: الآخر تال للأول. وهو قريب مما مضى ذكره). انظر: مقاييس اللغة. مادة أخر (١/ ٧٠).

وفي الإصطلاح: قال ابن دقيق العيد : (والإيمان باليوم الآخر: هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والحشر والنشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وأنهما دار ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح من النقل). انظر: شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية (١/ ٣٠).

(٢) انظر ليس من الإسلام. ص١٤.

(٣) رواه الترمذي السنن (٥/ ٥٧٨حديث رقم ٣٥٩٨) بلفظ (ويقول الرب عز وجل: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين).

١. (رجوع عيسى بن مريم إلى الحياة الدنيا مرة أخرى، لعله خص بذلك من بين الأنبياء، لأن الخرافة التي تعلقت بشخصه ملأت الأرجاء، وقامت باسمها دول قوية، فليكذب الرجل نفسه ما أشاع الخلق عن ألوهيته وهو ليس عبداً إلا لله. ولما كانت الحياة وحدة متماسكة فنزوله في آخر الزمن كافٍ في الدلالة على هذه المعنى، وإن جاء عقب ضلال طويل!![1].

٢. ظهور الدجال، وهو رجل أعور داهية، يبدو من صفاته المذكورة له أنه ما هر في علوم الطبيعة، وقد يوفق إلى طائفة من المخترعات الرائعة، ويؤتى القدرة على خداع العامة بما يملك من وسائل ليست بأيديهم. وهذا الأعور الدجال من عباقرة اليهود يدعي الألوهية، وقد حذرتنا السنة من الاستماع له، وسيطوف في البلاد، يدعو لنفسه، حتى يقتل آخر الأمر[2].

ويقول الغزالي بعد أن ذكر كلاماً له عن الدجال وذكر بعض الأحاديث في كتابه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: (والأحاديث التي اقتبسنا نتفاً منها هي أحاديث آحاد ، وبعضها في الصحاح ، والروايات عنه كثيرة...)[3]. ويقول كذلك: (ذلك ما فهمته من حشد هائل من الأحاديث التي تباينت فيها عبارات الرواة. وتخللتها بعض الأوهام)[4].

٣. شروق الشمس من حيث تغرب، وهذا الانقلاب الفلكي، إيذان بأن النظام الدقيق الذي تمسك به أجرام السماء يوشك أن يختل بإذن صاحبه، ثم تنكدر النجوم، وتسير الجبال، وتحشر الوحوش!![5].

٤. خروج الدابة، وعندي أن هذه العلامة نوع من العقاب والتقريع لبني آدم الذين جهلوا ربهم، وجحدوا حقه، مع ما آتاهم من عقل وفكر، فلا بأس أن تخرج سلال من البغال أو الحمير لتضرب حوافزها جباه السادة والقادة، وتقول لهم: أما لكم رأي يصلكم بالله رب العالمين؟ أين الذكاء والفهم؟! كيف تلحدون؟[6].

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل:٢٨].

---

(١) عقيدة المسلم. ص٢١٣.

(٢) المصدر السابق. ص٢١٣.

(٣) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. ص ١٥٠.

(٤) نفس المصدر. ص ٥١.

(٥) المصدر السابق. ص٢١٣.

(٦) عقيدة المسلم. ص٢١٣.

٥. المهدي .

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : (لما ألفت كتابي : عقيدة المسلم ، لم أذكر شيئا عن المهدي المنتظر ، وعند ما خوطبت في ذلك ، وقيل لي : لم لم تذكره في علامات الساعة ؟ قلت : محفوظاتي وأنا طالب أنه لم يرد في المهدي حديث صريح ، وما ورد صريحا فليس بصحيح ، وإذا كان ما ورد لم ينهض إلى تكوين حكم ثابت فكيف أجعله عقيدة تفصل بين الكفر والإيمان ؟ وأردفت ضاحكا : المشكلة الآن ليست في المهدي المنتظر ، إنما هي في المهدي غير المنتظر الذي يفاجئنا بظهوره بين الحين والحين ويزيد عدد الدجالين) [(١)] .

ويرى أن الإمام البخاري ، ما روى حديث المهدي أو غيره [(٢)] لأنها أخبار الآحاد فيقول : (غفر الله للبخاري إمام المحدثين إنه ما كان يدري هذه العقائد ما روى حديثا عن المهدي ولا عن نزول الحجر ولا عن العشرة الكرام ، ولا عن رسالة آدم ، أكان الإمام الكبير كافرا عند ما جهل هذه الأمور ، أو عند ما تجاوزها في صحيحه ؟ يا بني : هذه قضايا يتناولها العلماء بالقبول والرد حسب المقاييس العلمية ولا تتعلق بكفر ولا إيمان ، وإنما تتعلق بالخطأ والصواب ، وخير لكم أن تعلموا المسلمين ما هم في أمس الحاجة إليه ، لا سيما في هذا العصر العضوض) [(٣)] .

٣. الموت :

يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن الموت طور من الأطوار التي تعرو الحي في سنيه المختلفة: (إن الموت . على الحقيقة . طور من الأطوار التي تعرو الحي في سنيه المختلفة، كالطفولة والرجولة والكهولة. إلا أن هذا الطور يمتاز بأن الروح فيه أقوى إدراكاً وأصدق حساً) [(٤)] .

وهو حد فاصل خفيف بين الوجودين الأول والأخير [(٥)] .

---

(١) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص (١٠٥ ، ١٠٦). محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الرابعة أكتوبر ١٩٩٩م.

(٢) مثل نبوة آدم ، ونزول الحجر الأسود من السماء ، والعشرة المبشرين بالجنة .

(٣) الحق المر (١٧١/٣ ، ١٧٢) محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. جـ٣. الطبعة الثالثة مايو ٢٠٠٤م. وانظر : تأملات في الدين والحياة ص(٩٨) محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الثالثة مايو ٢٠٠٤م.

والفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية ص (١٢٤) محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. يناير ٢٠٠٥م.

(٤) عقيدة المسلم. ص٢٠٦.

(٥) انظر مقالات الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله. جـ٢. ص٤٠.

وهو: (رحلة من حياة أرضية محسوسة لنا إلى حياة غيبية نسمع بخبرها.. وحسب، وقد كان الأصحاب الكرام يعرفون ذلك معرفة يقين، فلما حضرت "بلال" الوفاة وصاحت امرأته: وآكرباه.!! وصاح المحتضر المشرف على الموت: (بل وآطرباه، غدا ألاقي الأحبة، محمداً وحزبه[1]) !

والواقع أن الموت نقلة إلى عالم مستقر ومطرد النمو، إن أودية الموت، من بدء الخليقة تستقبل الأجيال المدبرة، الأجداد ثم الآباء ثم الأولاد ثم الأحفاد، وهكذا من قديم، فعالم الموت يتسع باستمرار والنتائج تتكشف فيه، ومعادن الناس تعرف..[2]).

٤. أحوال الناس في البرزخ :

ثم ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله طرف من أحوال الناس في البرزخ فيقول في تطمين المؤمن حين يحتضر أن السنة ذكرت في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[فصلت:٣٠].

وقال: (كما أن نذر العقاب الأليم تواجه الفساق والظلمة في تلك الساعة الحرجة:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأنعام:٩٣]. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾[الأنفال:٥٠-٥١]. وللعصاة من المؤمنين حظهم من المتاعب والآلام جزاء تفريطهم في الواجب واستهانتهم بالحرام.

ثم قال: (وتبدأ حياة البرزخ بلونيها من ساعة مفارقة الروح للجسد، وتدبر قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأنعام: ٩٣]. واليوم . لا الغد . يبدأ العقاب على ما مضى من افتراء وكبرياء.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند . في فضائل الصحابة . فضائل عائشة رضي الله عنها(٨٧٣/٢)حديث رقم(١٦٣٩) الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت . الطبعة: الأولى. ١٤٠٣ - ١٩٨٣

(٢) مائة سؤال عن الإسلام. ص٤٥.٤٤.

إن الإنسان طرق الدنيا عاريا، ولقد تقلب فيها ثم ها هو ذا، يتركها كما جاء، لا مال ولا جاه، ولا عزوة، ولا سلطان﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٤]. ويظهر بقدر أنه ما يكون المرء طاغية في حياته الأولى، يكون ترصد الزبانية وارتقابهم لمقدمه كما يؤدب على غلوه وفساده، فتكون مراحل البرزخ الأولى لطمات تتناوله من كل جهة، وإهانات تلفه بالخزي والعار، وذلك كله أيام القبر الأولى، أعني أيام البرزخ، وليس يحتاج الأمر إلى مساءلة فما محلها إذا كان المجرم قد لحقته الوفاة وهو يقاتل الحق ويخاصم حملته من المرسلين والصالحين ترى ذلك في قصة الفراعنة: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[غافر: ٤٦].وتراه كذلك في كبراء قريش الذين أدركتهم مناياهم وهم يقاتلون النبي ﷺ في معركة بدر قال تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾[الأنفال: ٥٠-٥١].

وقد رميت جثث المشركين البغاة في بئر، ووقف النبي ﷺ بعد دفنهم بصوت جهير: « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ » وهو يناديهم بأسمائهم!

فقال له أصحابه: أتنادي قوماً جيفوا؟ قال:«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يجيبون! [(1)] »).

إننا لا نشعر بما يلقاه الراحلون عنا، بل لا نشعر بشيء من عالم الغيب وهو عالم مديد رهيب!

ولن تتأخر نفس أبداً عن أخذ طريقها إلى البرزخ! وملاقاة الجزء المعد لها، مهما كان حب الأقربين والأصدقاء، والاتباع! وتدبر قوله تعالى يصف حال المحتضر وعجز من حوله:﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الواقعة:٨٣-٨٧].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده . في مسند عمر بن الخطاب. برقم(١٨٢) وقال محققوه : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

وقد جاء: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبر دفن فيه شخصان، فقال: «يعذبان وما يعذبان في كبير!! كان أحدهما لا يستبرئ من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة بين الناس[(1)] ».

والأدلة على ثواب القبر وعذابه كثيرة، تتضافر على إثبات أن قبل الجنة والنار مقدمات تحفل بالبشرى، أو تطفح بالإنذار.

وفي الحديث: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي. إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار.. فيقال: هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة[(2)] »[(3)]).

ثم أجد الشيخ الغزالي رحمه الله بعد أن استدل على عذاب القبر ونعيمه قال: (ونحن لا ندري عن كنه الجزاء في القبور شيئا، ولا حدود ما يصيب الأبدان والأرواح منه. نعم، نحن نوقن بهذا الجزاء.

أما كيف يقع، وأما البحث في التفاصيل الواردة به، وأما التساؤل عن طرائقه بعد بلى اللحم والعظم.. فهذا ما لا نستطيع الخوض فيه.

لأن أمر الماد ة كأمر الروح غريب، وما يتجلى للناس من خصائص الحياة وأسرارها يوما بعد يوم، يجعلنا نصدق ما خبرنا به الوحي، ونكل دقائقه للمستقبل ولا نحب أن نرجم فيه بغيب[(4)]).

٥. البعث:

يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن البعث عقيدة فوق الشبهات فيقول: (إن البعث عقيدة فوق الشبهات، فلنتهيأ له بالزاد الطيب، من الهدى والتقى والعفاف.

خطب النبي صلى الله عليه وسلم أول بعثه فقال:« إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غششت الناس جميعاً ما غششتكم، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً أو النار أبداً[(5)] » .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٣) حديث رقم (٢١٦)

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٩حديث رقم ١٣٧٩)

(٣) عقيدة المسلم. ص٢٠٥.٢٠٦.

(٤) نفس المرجع. ص٢٠٩.هنا

(٥) ذكره البيهقي في دلائل النبوة (٢/١٠٦).

إذا طلعت عليك شمس يوم من أيام الدنيا بعد نوم مستغرق، فاذكر أن هناك يقظة، سوف تعقب الهجعة المؤقتة في القبر، يساق بعدها أهل الشر إلى سقر، ويساق أهل الخير إلى ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾[القمر:٥٥])[1].

٦. الحساب والجزاء:

وبعد ذلك تحدث الشيخ الغزالي رحمه الله عن: (مرحلة الحساب الذي يشمل الأولين والآخرين، ويحشد أبناء آدام منذ بدءوا حتى انتهوا، ويستعرض أعمالهم منذ عقلوا حتى ماتوا!!

قيل لعلي بن أبي طالب: كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم في يوم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم[2].

ويرى الحساب الإلهي لا يغفل الذرة من الخير أو الشر فيقول: (إن أتباع الدين يجب أن يعرفوا أن الحساب الإلهي لا يغفل الذرة من الخير أو الشر، وأن هذه الذمة تنفي كل تصرف ينطوي على الفوضى، وكيل الجزاء جزافاً[3]).

. ويرى أن الجزاء حق أكثر القرآن الكريم من التذكير به فقال: (الجزاء حق، ولقد أكثر القرآن من التذكير، ومن سوق النذير بعد النذير لأن أكثر النا س يذهلهم ما أمامهم عما وراءهم، بل ربما أنكروه وسخروا منه غير عابئين بهذا الغد الزاحف.

ولو عقلوا لعرفوا أن الآخرة هي المستقبل الذي يجب على كل راشد أن يوفر فيه أسباب سعادته، وأن يجعل حاضره من الدنيا تمهيداً له، وأن يجعل سعيه في حياته غراساً لا تنتظر ثمراته القريبة بقدر ما تؤمل عند الله عواقبه المذخورة.

إن نتائج أعمالنا في الدنيا خطيرة جداً.

سنقضي سنوات احتواها كتاب مؤجل، ثم تصير الدنيا ـ بعد أن نتركها كما كانت قبل أن نطرقها ـ صفراً، إلا مما تزودنا به منها.

ولو كان أكثر الناس وطيد الرجاء في حياة مقبلة ما أرخص عمره، وما احتسب وقته أهون ما لديه من متاع.

---

(١) عقيدة المسلم. ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) ذكره في لوامع الأنوار البهية (٢/ ٧٠).

(٣) عقيدة المسلم. صـ٢٢٠.

« ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل منهما بنون.

فكونوا من أبناء الدار المقبلة، ولا تكونوا من أبناء الدار المدبرة، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل[1] » .

ويذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن القرآن وصف لنا مشاهد الجزاء: فيقول : (ويصف القرآن الكريم مشاهد الجزاء، فيذكر لنا أن رجلاً مؤمناً بحث عن صاحب له كان ظاهر الإلحاد والفسق، فوجده قد استقر في سواء الجحيم! فحمدا لله إن لم يتأثر به:﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[الصافات:٥٦-٦١].

ويرى أن النجاة من النار أمل ضخم لمثله يعمل العاملون، فكيف يجيء أحد من الناس، رجلاً أو امرأة ليقول: بل هو أمل تافه؟

ويقول الله جل جلاله:﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴿٢٦﴾ ﴾المطففين:١٨-٢٦]،في الرحيق المختوم يسقاه قوم تعرف في وجوههم نضرة لنعيم، في هذا الجزاء الجزيل ينبغي أن يتنافس المتنافسون! فكيف يجيء إنسان رجلاً كان أو امرأة ليقول: لا أعبد الله طلباً لشيء من ذلك.

أن هؤلاء الناس يكذبون على طبائعهم الإنسانية كما يكذبون على دين الله، ثم هم يسيئون تصور النعيم الأعلى، أو العقاب السرمدي[2]).

. وذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن الجزاء الأخروي مادي وروحاني معاً فقال: (والجزاء مادي وروحاني معاً، إنه للإنسان الذي عبد بجسمه وعقله، أو فجر بجسمه وعقله! ولا يستطيع أي دارس للقرآن الكريم أن يفسر آياته في وصف الجنة والنار بأنها من قبيل المجاز ، وليس هناك بتة ما يدعو لهذا التعسف في التفسير.

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه (٨/ ٨٩) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعليقاً.

(٢) مائة سؤال عن الإسلام. ص٤٩.

والنظر إلى مادية الإنسان بأنها معرة، ولذاته الحسية بأنها هبوط هو تأثر بفلسفات خيالية لا وزن لها.

نعم إن مع هذه اللذات ما هو أسنى وأزكى، معها الرضوان الأعلى والاستغراق في شهود أمجاد الألوهية قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾[المطففين:٢٢-٢٤][1] .

٧. الشفاعة[2] :

وبعد ذلك جاء حديث الشيخ الغزالي رحمه الله عن الشفاعة ورأى (الشفاعة التي يرجوها النبي ﷺ إنما هي لصنف من الناس تأرجحت موازين الحق والباطل في أعمالهم، فهو بين السقوط والنجاح[3]).

والشفاعة قد يراد بها التنويه بمكانة النبي صلوات الله وسلامه عليه، والإشادة بمنزلته الكبرى عند الله.... ويقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (على أنه مهما بلغت منزلته عند الله فلن يتجاوز في الله حد الملق والزلفى لمولاه، وما كان لنبي أن يفرض رأياً أو يقرر حكماً: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾[سبأ:٢٣]. ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾ ﴾[النبأ:٣٨].

فلا كلام إلا بإذن، ولا كلام إ لا بصواب، ومرد الأمر لله وحده[4]).

ويرى أن الشفاعة لا تعدو أن تكون لوناً من إكرام الله تعالى في الدار الآخرة فقال: (وربما قال قائل: ولم هذه الشفاعة وما قيمتها؟ والجواب: أنها لا تعدوا لوناً من إكرام الله في الدار الآخرة لمن أهينوا بسببه في الدنيا، فيريد الله أن يصلح بالهم وأن يعلي قدرهم، وأن يشعر عبادهم بما لهم عنده من مثوبة ومنزلة، وأن يطوي قلوب المقصرين والمتأخرين على محبتهم وإعزازهم لما سيق إليهم من فضل على أيديهم.

---

(١) نفس المصدر. ص٤٢.

(٢) الشفاعة لغة : قال ابن فارس : (شفع) الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين. من ذلك الشفع خلاف الوتر. تقول: كان فردا فشفعته. وفي الإصطلاح: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. انظر: لمعة الاعتقاد (ص١٢٨) شرح ابن عثيمين – (انظر الطحاوية ص١٧٩).

(٣) عقيدة المسلم. ص٢١٨.

(٤) نفس المصدر. ص٢١٩.

بيد أن الشفاعة المذكورة لا تهدم قواعد العدل، ولا تعطل موازين الحساب ولا يحتاج إليها سابق بالخير، ولا ينتفع بها مارق من الحق[1]).

. ثم روى حديث الشفاعة العظمى وهو: عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية . فيلهمون لذلك. فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً. فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة. قال: فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته. فيأتون عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم، عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيأتون، فأستأذن على ربي . تعالى . فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله يدعني فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، قل تُسمع، سل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع، فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة . قال فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن[2] »أي من وجب عليه الخلود[3].

. ثم يرى أن هذه الشفاعة هي لون من تأديب البشر كافة فقال: (وعندي أن الشفاعة العظمى . التي جاءت السنن بثبوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . لا تعدوا أن تكون لوناً من تأديب البشر كافة على موقفهم السابق من نبي الإسلام، فإن رسول أي عظيم يستحق من التوقير والإعزاز بقدر ما لمرسله من مكانة، والرجل الذي أرسله رب العالمين كان يجب أن يلقى التكرمة ما يرفع ذكره، ويعلي شأنه، غير أن أكثر الناس تواصوا بالصبر عنه وجحد دعوته، ورغبوا عن الحق

---

(١) الجانب العاطفي من الإسلام. صـ٣٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٧) حديث رقم(٤٤٧٦).

(٣) انظر عقيدة المسلم. صـ٢٢٠.

الذي معه، وبخسوا قيمته، ثم تتابعت الأجيال، والخلف في أغلب بقاع الأرض يتوارثون عن سلفهم هذا التكذيب الشنيع[1]).

. وقبل أن ينتهي من حديثه عن الشفاعة ذكر بأنه لا شفاعة لمشرك أو كافر فقال: (يبين الله سبحانه وتعالى أن الشفاعة لا تجدي على كافر، ولا على فاسق مثقل بالخطايا.

قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣ ﴾ [البقرة:١٢٣] وقال كذلك:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ ﴾[فاطر:١٨] ، والنفس المثقلة بالخطايا . ولو كانت لرجل من المصلين . لا يفوتها جزاؤها كما رأيت في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يصف أمته عند اجتيازها الصراط[2]).

ثم ذكر القاعدة العامة في الإسلام أنه لا شفاعة لمشرك، أو ملحد، وأنه لا حق لأحد من الملائكة أو المرسلين يذهب به إلى الله ليقول له: اعف عن فلان، أو اترك فلاناً، وأن الأساس الأول للنجاة هو الإيمان والعمل الصالح؛ ولذلك قال الله تعالى قبل هذه الآية مباشرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[البقرة:٢٥٤].

ويقول مخبراً عن مصاير المشركين والمجرمين:﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ ﴾[المائدة:٧٢]، ويقول أيضاً:﴿ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ ﴾[فطر:١٨]،وقد يقع . لمن ينجون بأعمالهم . شيء من الفضل ترتفع به درجاتهم فوق ما يستحقون.

أو يقع . لمن قاربوا ولم يصلوا . شيء من العفو ينجون به ولا يرسبون، ويجعل الله السبب الظاهر في ذلك شفاعة المرسلين والصالحين.

وهي شفاعة لا ترجع إلى أن هؤلاء المرسلين أو الصالحين يجيرون على الله، أو ينقذون منه من يريد عقوبته، كلا، فما يجرؤ ملك ولا نبي أن يقف من الله هذا الموقف.

إنهم لا يشفعون إلا بإذنه، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، قال تعالى: ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ

---

(١) تأملات في الدين والحياة. ص٦٨.

(٢) عقيدة المسلم. ص٢١٨.

ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الأنبياء:٢٨-٢٩]، ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾[طه:١٠٩])[1].

٨. الجنة ونعيمها :

. لقد ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن الجنة دار لنوعين من المتع مادي ومعنوي فقال: (إن الجنة دار لنوعين من المتع أحدهما مادي والآخر معنوي، فالمادي تكريم للإنسان يفيض من التجلي الإلهي يشعره بالرضوان ويرفعه بالرؤية. وبديهي أن المتاع الثاني أكبر من الأول، كما قال جل شأنه:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢]. وقال: (لقد أخطأ كثير من المنتسبين إلى الدين في احتقارهم للبدن، وفهمهم أن التسامي لا يحصل إلا بسحقه، وفهمهم بعد ذلك أن الحياة الأخروية للبدن فيها، وأن النعيم أو الجحيم معنويان، وحسب!!

وقد سرى هذا الخطأ . كلا أو جزءاً . إلى بعض متصوفة المسلمين فاعتنقوه، وحسبوه دلالة ارتقاء، وتجرد فظلموا بهذا المسلك دينهم، وأوقعوا خللاً سيئاً في موازين الجزاء كما أقامها الكتاب العزيز.

وقلدوا أتباع الديانات المنحرفة في الجور على الطبيعة البشرية وبذلك أفسحوا للمذاهب المادية طريق التقدم والسيادة.

بل بلغت المجازفة بهذا البعض أن حقروا عبادة الرغبة والرهبة، وأشاعوا أن من الهبوط أن تطيع الله طلباً لجنته، أو تدع عصيانه خوفاً من ناره حتى توهم الناس أن الأمل في الجنة والخوف من النار ليس من شأن العباد الصالحين!!

وهذا الضرب من التفكير لا يمكن وصفه بأنه تفكير إسلامي، إنه ضرب من الشرود والغرور تبدوا تفاهته عندما نحتكم إلى العقل والنقل على سواء[2]).

ثم قال الشيخ الغزالي رحمه الله بعد ذلك: (إنني أطلب من إخواننا الذين يكتبون في التصوف[1] أن يدمنوا النظر في كتاب الله، وأن يستوحوا ما يستجيدون من معان وغايات،

---

(١) الجانب العاطفي من الإسلام. ص ٣٠،٢٩.

(٢) مائة سؤال عن الإسلام. ص٤٨.

وبذلك وحده ينصفون أنفسهم وطريقهم، أما ترويج فكرة لرجل أو امرأة تبتعد عن هذا الضوء الكريم فأمر لا يستساغ، ومن حقنا أن نرفضه.

لقد سمعت أشعاراً تنسب إلى رابعة [(٢)] العدوية، بل حتى الرواة عنها . والعهدة عليهم . إنها لما سمعت التذكير بفواكه الجنة وخيراتها، قالت: لسنا أطفالاً، فنغرى بهذه الأشياء، وسواء صح ما نسب إلى هذه السيدة أو بطل، فنحن كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في فاطمة بنت قيس . وهي صحابية أفضل من رابعة . "لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري أحفظت أم نسيت [(٣)] "!

إن الجنة وعد الله لعباده فنعما هي، وشكرا لمن أعدها للمتقين، وهنيئاً لمن يصير إليها، يمرح في بحبوبتها ويسعد بربه الذي طالما صلى وصام من أجله!!

إن في هذه الجنة يشهد من كان يعبده بالغيب، ويتلقى فضله في قلبه وعلى بدنه، لذات مادية معنوية متشابكة لا انفصام بينهما،﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإنسان: ٢٠-٢٢]) [(٤)] .

---

(١) التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا. فيرى حكمها من الظاهر في الباطن. وباطنًا. فيرى حكمها من الباطن في الظاهر. فيحصل للمتأدب بالحكمين كمالٌ. انظر : التعريفات للجرجاني(٥٩/١).

(٢) رابعة العدوية هي : أم الخير رابعة ابنة إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة؛ كانت من أعيان عصرها. وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة . من وصاياها: اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم . وكانت إذا جن عليها الليل قامت إلى سطح لها ثم نادت: إلهي هدأت الأصوات وسكنت الحركات وخلا كل حبيب بحبيبه. وقد خلوت بك أيها المحبوب. فاجعل خلوتي منك في هذه الليلة عتقي من النار. وكانت وفاتها في سنة خمس وثلاثين ومائة. انظر: وفيات الأعيان(٢٨٥/٢) والأعلام للزركلي(١٠/٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٣٧برقم ١٨٦٦٣) أبو بكر بن أبي شيبة. عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى. ١٤٠٩.

(٤) مائة سؤال. ص١٥.

في مسألة الإيمان باليوم الآخر عند الشيخ الغزالي رحمه الله يلاحظ ما يلي:

١. يقرر الشيخ الغزالي أن الآخرة حق لأنها تصحيح لأوضاع وتحقيق لعدل اختبر الله بتأخيره إلى حين[1] .

وهو بهذا يوافق السلف حيث يرون أن الله تعالى يجازي العباد بأعمالهم في الآخرة بعدله وحكمته ولا يظلم أحدا، كما قال تعالى:﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩] وقال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النمل: ٨٩ – ٩٠]. ومن السنة ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا ... وفيه : يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه[2] » قال سعيد[3] : كان أبو إدريس الخولاني، إذا حدث بهذا الحديث، جثا على ركبتيه.

وقال ابن تيمية : (وقد أخبر. الله . في غير موضع أنه سبحانه لم يخلق العالم عبثا وباطلا بل لأجل الجزاء فكان هذا من سنته الجميلة وهو جزاؤه الناس بأعمالهم في الدار الآخرة كما أخبر به من نصر أوليائه وعقوبة أعدائه فبعث الناس للجزاء هو من هذه السنة وهو لم يخبر بان كل عادة لا تنتقض بل أخبر عن السنة التي هي عواقب أفعال العباد بإثابته أولياءه ونصرهم على الأعداء[4]).

٢/ وفي أشراط الساعة يلاحظ فيها ما يلي:

أ . لقد ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أربعة من أشراط الساعة، وهي:

---

(١) انظر:صـ ٢٥٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه . باب تحريم الظلم . برقم(٢٥٧٧).

(٣) هو: سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي أبو محمد ويقال أبو عبد العزيز الدمشقي . ولد سنة تسعين . قال أبو عبد الله الحاكم: (هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة في التقدم والفضل والفقه والأمانة). وقال ابن سعد: (كان ثقة إن شاء الله) مات سنة سبع وستين ومائة وقيل ثمان . انظر : تهذيب التهذيب (٥٩/٤)

(٤) الرد على المنطقيين(٣٩١/١) لابن تيمية.الناشر: دار المعرفة. بيروت. لبنان. بدون طبعة.

١ . رجوع عيسى بن مريم إلى الحياة الدنيا مرة أخرى.

٢ . ظهور الدجال.

٣ . شروق الشمس من المغرب.

٤ . خروج الدابة[١] .

وبهذا أجد أن الشيخ الغزالي رحمه الله ذكر بعض أشراط الساعة ، ولم يذكر الباقي ، حيث ذكر السلف في أشراط الساعة وآياتها ما يلي:

قال ابن القيم : (والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى ابن مريم من السماء، لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود، وعباده من النصارى، وينتظرون خروج المهدى من أهل بيت النبوة، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً[٢].

وقال السفاريني الحنبلي: (الذي يظهر _ والله أعلم _ أن أول الآيات خروج المهدي، ثم الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم هدم الكعبة، ثم الدخان، ثم ارتفاع القرآن، ثم طلوع الشمس من مغربها. ويحتمل أن طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها أو قريبا منها. وهذا هو النسق الذي مشينا عليه واخترناه، والله أَعلم[٣].

يقول الطيبي[٤] : (الآيات: إمارات للساعة، إما على قربها، وإما على حصولها. فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف. ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس[٥]).

وقال ابن حجر:(والذي يترجح من مجموع الأخبار؛ أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم. وأن

---

(١) انظر: ص(٢٥٨).

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/٣٣٨).

(٣) المصدر السابق (٢/١٤٢).

(٤) الطيبي هو : الإمام الحسين بن محمد بن عبد الله. شرف الدين الطيبي . كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة. فأنفقها في وجوه الخير. حتى افتقر في آخر عمره. وكان كريما متواضعا حسن المعتقد شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة مظهرا فضائحهم مع استيلائهم في بلاد المسلمين حينئذ شديد الحب لله ورسوله كثير الحياء ملازما للجماعة ليلا وَنهارا شتاء وصيفا . من كتبه : شرح المشكاة وحاشية الكشاف. توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.انظر: الدرر الكامنة لابن حجر(٢/١٨٥) والبدر الطالع للشوكاني(١/٢٢٩) الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٦).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٢).

طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب [(١)]).

وقال شمس الدين الحنبلي [(٢)] : (فصل: في أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها، قال تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ [القمر: ١] وقال: ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ۝١٨ ﴾[محمد: ١٨] أي أماراتها وعلاماتها واحدها شرط، قال الإمام البغوي: وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ۝١٧ ﴾ [الشورى: ١٧] وَقَالَ: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٦٦ ﴾ [الزخرف: ٦٦] والآيات في ذلك كثيرة. وأما الأحاديث فلا تكاد تحصى.

وروى الترمذي وصححه من حديث أنس مرفوعا «بعثت أنا والساعة كهاتين(٣)» وأشار بالسبابة والوسطى فأفضل إحداهما على الأخرى.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام: بعثت والساعة كهاتين [(٤)] » .

وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا " «إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس [(٥)] » وفي لفظ «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس [(٦)] » [(٧)]).

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٣).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي شمس الدين. أبو العون ولد في سفارين بنابلس سنة(١١١٤) . عالم بالحديث والأصول والأدب. محقق. من كتبه: الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات وكشف اللثام وشرح عمدة الأحكام و لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقد أهل الفرقة المرضية توفي سنة (١١٨٨هـ)انظر: الأعلام للزركلي(٦/١٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه.باب ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم:«بعثت أنا والساعة ..». برقم(٢١١٤).

(٤) متفق عليه . البخاري في باب اللعان (٧/٥٣) برقم(٥٣٠١) ومسلم في باب قرب الساعة (٤/٢٢٦٨) برقم(٢٩٥٠) .

(٥) أخرجه البخاري في باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٤/١٧٠) برقم(٣٤٥٩) .

(٦) أخرجه البخاري في باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب (١/١١٦) برقم(٥٥٧) .

(٧) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية(٢/٦٥).

وقال القرطبي[1] : (الإيمان بالدجال وخروجه حق، وهذا مذهب أهل السنة وعامة أهل الفقه والحديث[2]).

ب في عرض الشيخ الغزالي رحمه الله لظهور الدجال ذكر ما يلي :

- أن أحاديث الدجال هي آحاد وبعضها في الصحاح. والحق أن أحاديث الدجال متواترة صرح بتواترها كثير من أهل العلم.

ورغم اعترافه بأنها حشد هائل إلا أنه يطعن فيها بدعوى أنها أخبار آحاد، والآحاد كما يقرر هو لا يؤخذ بها في العقائد[3] .

وقد صرح بتواتر أحاديث الدجال بعض العلماء:

قال ابن عطية[4] : (وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حيٌّ، وأنه ينزل في آخر الزمان؛ فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويفيض العدل، ويظهر ملة محمد صلى الله عليه وسلم[5]).

وقال أبو الحسن الأشعري : (وكذلك _أجمعوا _ ما روي من خبر الدجال ونزول عيسى ابن مريم وقتله الدجال، وغير ذلك من سائر الآيات التي تواترت الرواية بين يدي الساعة

---

(١) هو: العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي . إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله. منها: التفسير المشهور والأسنى في أسماء الله الحُسنى والتذكرة وغيرها . توفي سنة إحدى وسبعين وستمائة بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى بمصر.انظر: الوافي بالوفيات للصفدي(٨٧/٢) طبقات المفسرين للسيوطي (٩٢/١) تحقيق: علي محمد عمرالناشر: مكتبة وهبة – القاهرة. الطبعة: الأولى. ١٣٩٦.

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ١٢٨٢) لأبي عبد الله القرطبي. تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم . الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع. الرياض

(٣) انظر:ص(٢٥٨).

(٤) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف ابن عطية المحاربي. ولد سنة ثمانين وأربعمائة.كان فقيها. عارفا بالأحكام. والحديث. والتفسير. بارع الأدب. بصيرا بلسان العرب. واسع المعرفة. له يد في الإنشاء والنظم والنثر. وكان يتوقد ذكاء. له التفسير المشهور ولي قضاء المرية. من كتبه : المحرر الوجيز .توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة.انظر: طبقات المفسرين(٦٠/١) الوافي بالوفيات(٤٠/١٨).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٤٤٤/١) لابن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد .الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

من طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك مما نقله إلينا الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفونا صحته [(1)]).

قال النووي [(2)] : (قال القاضي عياض :هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار [(3)]).

قال ابن قتيبة [(4)] :(قول النبي صلى الله عليه وسلم في جعفر بن أبي طالب (إنه يطير مع الملائكة في الجنة وتسميته له ذا الجناحين، وكثرة الأخبار عنه في منكر ونكير، وفي عذاب القبر، وفي دعائه: أعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المسيح الدجال).

وهذه الأخبار صحاح، لا يجوز على مثلها التواطؤ، وإن لم يصح مثلها، لم يصح شيء من أمور ديننا، ولا شيء أصح من أخبار نبينا صلى الله عليه وسلم [(5)]).

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١٦٤-١٦٦)لأبي الحسن الأشعري. المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية. المدينة المنورة. المملكة العربية السعودية . الطبعة: ١٤١٣هـ.

(٢) هو: شيخ الإسلام العلامة يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني. النووي. الشافعيّ. أبو زكريا. محيي الدين. ولد في نوى من قرى حوران سنة إحدى وثلاثين وستمائة . من كتبه المنهاج في شرح صحيح مسلم والتقريب والتيسير وحلية الأبرار ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين بستان العارفين وغيرها. توفي سنة ست وسبعين وستمائة . انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣٩٥/٨)والأعلام للزركلي (٨/ ١٤٩)

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٥٨).

(٤) هو : أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ. أبو جعفر: قاض. من أهل بغداد. له اشتغال بالأدب كان يحفظ كتب أبيه وهي ٢١ كتابا في غريب القرآن والحديث والأدب والأخبار. ولي القضاء بمصر سنة ٣٢١ هـ فجاءها. وعرف فضله فيها فأقبل عليه طلاب العلوم والآداب. ويرجح (الكندي) أنه عزل بعد ثلاثة أشهر من ولايته. ويقول أكثر مؤرخيه أنه مات وهو على القضاء. وكانت وفاته بمصرسنة ست وسبعين ومائتين. انظر : الأعلام للزركلي (١/ ١٥٦)

(٥) تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٢٨)لابن قتيبة الدينوري الناشر: المكتب الإسلامي - مؤسسة الإشراق .الطبعة: الطبعة الثانية- مزيدة ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

وقال ابن كثير[(١)] :(قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي[(٢)] : والاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٣)]).

ونقل صاحب[(٤)] عون المعبود عن الشوكاني[(٥)] قوله في رسالته المسماة : ب(التوضيح في تواتر ما جاء في الأحاديث في المهدي والدجال والمسيح) : وقد ورد في نزول عيسى عليه السلام من الأحاديث تسعة وعشرون حديثا ثم سردها وقال بعد ذلك وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع فتقرر بجميع ما سقناه أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة والأحاديث الواردة في الدجال متواترة والأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام متواترة[(٦)] .

وبناء على ما قاله العلماء من تواتر أحاديث الدجال فإنها تبطل ما ذهب إليه الشيخ الغزالي رحمه الله من كون أحاديث الدجال أحاديث آحاد ، كما ترد على قوله : (وتخللتها بعض الأوهام). فنقول له: أين هذه الأوهام التي يقصدها الشيخ؟ فقد ثبتت هذه الأحاديث بل واتفق الشيخان على تخريج كثير منها.

ج- موقف الشيخ الغزالي رحمه الله من المهدي :

لقد ذكر الغزالي بأنه لم يرد حديث صحيح في المهدي ، وما ورد صريحا فليس بصحيح نظرا لأن خبر المهدي من أحاديث الآحاد ، وهو بهذا يسير على قاعدته المعروفة " أحاديث الآحاد الصحيحة في مجال العقيدة ، وهو بهذا يخالف ما عليه

---

(١) سبق ترجمته. صـ ٦٤.

(٢) هو : الإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. شمس الدين. أبو عبد الله . ولد في دمشق سنة ثلاث وسبعين وستمائة. رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان. توفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . له تصانيفه كبيرة وكثيرة منها : دول الإسلام والمشتبه في الأسماء والأنساب. والكنى والألقاب والعباب في التاريخ. و تاريخ الإسلام الكبير و سير أعلام النبلاء والكاشف وغيرها .انظر: طبقات الشافعية للسبكي(٩/ ١٠٠)والأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٦).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٢٠٠)لأبي الفداء ابن كثير.تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي . الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان . الطبعة: الأولى. ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

(٤) هو:محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر. أبو الطيب. شرف الحق. الصديقي. العظيم آبادي: علامة بالحديث. هندي.توفي بعد (١٣١٠ هـ) من تصانيفه : التعليق المغني على سنن الدارقطنيّ وعون المعبود على سنن أبي داود والمكتوب اللطيف إلى المحدث الشريف و عقود الجمان في تعليم المرأة. والقول المحقق في الحديث. انظر: الأعلام للزركلي(٦/ ٣٩).

(٥) سبقت ترجمته صـ(٩٩).

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود وحاشية ابن القيم تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (١١/ ٣٠٨)للعظيم أبادي . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الثانية. ١٤١٥ هـ.

السلف حيث روى حديث المهدي جمع من الصحابة منهم : أبو سعيد الخدري ، وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وثوبان وأم سلمة وغيرهم:

١- عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المهدي مني من أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ، يملك سبع سنين [(١)] .

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي [(٢)] .

٣- عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم . ثم ذكر شيئا لا أحفظه فقال :" فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي [(٣)] " .

٤- عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " المهدي من عترتي من ولد فاطمة [(٤)] " .

ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله " (إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره [(٥)]).

وقال صاحب عون المعبود " واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما

---

(١) أخرجه أبو دواد في سننه ، كتاب المهدي برقم (٤٢٨٥) والترمذي في سننه ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في المهدي برقم (٢٢٣٢) وقال : هذا حديث حسن . وابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن ، باب خروج المهدي برقم(٤٠٨٣) والحاكم في المستدرك ، كتاب الفتن والملاحكم برقم (٨٦٧٤) وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب المهدي برقم (٤٢٨٢) والترمذي في سننه ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في المهدي برقم (٢٢٣٠) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن ، باب خروج المهدي برقم (٤٠٨٢) وغيرهم .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن ، باب خروج المهدي برقم (٤٠٨٣) وأحمد في مسنده برقم (٢٢٣٨٧) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده ضعيف .والحاكم في المستدرك ، كتاب الفتن والملاحم برقم(٨٤٣٢) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب المهدي ، برقم (٤٢٨٤) وابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن ، باب خروج المهدي برقم (٤٠٨٦) وأحمد في مسنده برقم (٢٦٧٣١).

(٥) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٤/٢١١).

بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره ، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده ، فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدي في صلاته ، وخرجوا أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم : أبو داود والترمذي وابن ماجه والبزار والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي وأسندها إلى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلى الهلالي وعبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنهم ، وإسناد أحاديث هؤلاء به صحيح ، وحسن وضعيف [١] .

ويقول الشيخ عبد الله الصديق الغماري " وقد بلغ جملة من روى حديث المهدي من الصحابة ثلاثة وثلاثون ، ومن التابعين خمسة [٢] .

ولا شك أن مثل هذا العدد تحصل به الشهرة بل والتواتر وقد ألف الإمام الشوكاني رحمه الله رسالة سماها : التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح .

وقال السفاريني "وقد كثرت الروايات بخروجه (يعني: المهدي) ، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم[٣] ".

ويقول أيضا: " وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد بمجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب، كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة [٤]" .

وقال حمود التويجري بعد أن ساق عددا من الأحاديث الدالة على خروج المهدي : (ومما ذكرنا يعلم أن من أنكر خروج المهدي؛ فقد خالف ما عليه أهل السنة والجماعة[٥].

قال الشيخ عبد الله سليمان الغفيفي : (انقسم الناس في أمر المهدي إلى طرفين ووسط:

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/٢٤٤،٢٤٣)

(٢) المهدي المنتظر (١٧) لأبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري . الناشر: عالم الكتب . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/١٤٢).

(٤) المصدر السابق (٢/٨٤).

(٥) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة(٢/٢٩٢) حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري (المتوفى: ١٤١٣هـ). الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ .

١ – أما المذهب الوسط: فهو معتقد أهل السنة والجماعة الذين يثبتون خروج المهدي على ما دلت عليه النصوص الثابتة التي ذكر فيها اسمه واسم أبيه ونسبه وصفاته وأنه خليفة راشد ومصلح يظهر في آخر الزمان يؤيده الله ويصلح به العباد والبلاد.

يقول الحافظ ابن القيم – رحمه الله – حينما تكلم عن أقسام الناس في المهدي عن معتقد أهل السنة والجماعة: " القول الثالث: أنه رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من ولد الحسن بن علي، يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورا وظلما، فيملؤها قسطا وعدلا، وأكثر الأحاديث على هذا تدل [١]".

٢ – وأما الطرف الأول: فهم الذين ينكرون خروج المهدي قديما وحديثا من الذين ليس لهم خبرة بالنصوص وأقوال أهل العلم، تمشيا مع مذهبهم الباطل في نفي الأمور الغيبية التي لا تدركها عقولهم ولا توافق أهواءهم ويقولون: إن المهدي أسطورة وخرافة دخلت على أهل السنة من جهة الشيعة، ويقولون أيضا: إن الأحاديث الواردة فيه بعضها باطل والبعض الآخر متناقض.

وقد رد العلماء على هؤلاء وبينوا فساد قولهم ومخالفته لما ثبت في النصوص الصحيحة[٢].

قال العلامة محدث العصر الشيخ الألباني في حديث المهدي : (صحيح ، فقد جاء مفرقا في أحاديث ، وفيه قد تواترت الأخبار ، واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته ... وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال ... وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه [٣]).

وقال أيضا : (والأحاديث في ذلك كثيرة جدا وأشهرها حديث عبد الله بن مسعود [٤]).

٣. وما ذكره الشيخ الغزالي رحمه الله في أحوال البرزخ يتفق مع ما ذكره السلف .

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (١٥١/١)لابن قيم الجوزية . تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب. الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

(٢) أشراط الساعة(٨٨/١)تأليف: عبد الله بن سليمان الغفيلي الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

(٣) السلسلة الصحيحة(٣١٧/٥).

(٤) فضائل الشام ودمشق (٤١) للألباني ، طبعة المكتب الإسلامي .

قال ابن القيم :(أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثا دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكم دار أحكاما تختص بها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعا لها ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وان أضمرت النفوس خلافه وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية والأبدان كالقبور لها والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها تجرى أحكام البرزخ على الأرواح فتسرى إلى أبدانها نعيما أو عذابا كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيما أو عذابا [(١)]).

وقال عبد الرزاق البدر: (وبعد المكث في دار البرزخ يبعث الله من في القبور ويعيدهم معاداً جسمانياً، فيجمع الله عز وجل أجزاءهم الأصلية ويعيد تركيبها كما كانت وإن تفرقت وبليت وتحرقت، ويعيد الأرواح إليها. فقد دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة. فالله سبحانه أخبر في كتابه عن هذا المعاد ورد على من أنكره بأنواع الردود. وكذلك رسوله ﷺ أخبر في عدة أحاديث صحيحة عن المعاد والبعث والنشور، واتفق علماء المسلمين على ذلك بل إن البعث والمعاد متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى، ولم ينكره إلا الدهرية والمشركون [(٢)]).

٤/ وفي المقدمات قبل الجنة والنار ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله ما يلي:

أ ـ ذكر أن في القبر عذاب ونعيم ، وكنه الجزاء في القبور مما لا يستطاع الخوض فيه.

ب ـ أن الموت حد فاصل بين الدنيا والآخرة.

حـ ـ أن بداية حياة البرزخ من ساعة خروج الروح من الجسد [(٣)] .

وما سبق ذكره من الشيخ الغزالي رحمه الله في هذه المقدمات نتفق معه فيه.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث : (أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه حدثهم: أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع

---

(١) الروح (ص: ٦٣) لابن القيم. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بدون سنة نشر.

(٢) انظر كتاب : الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة (ص: ٢٧٢) تأليف : عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. الناشر: مكتبة الرشد. الرياض. المملكة العربية السعودية . الطبعة: السنة الحادية عشرة- العدد الرابع- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(٣) انظر ص (٢٦٠) .

نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا – قال قتادة: وذكر لنا: أنه يفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس – قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» [(١)]).

وذكر البيهقي في شعبه :(عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد قال: " ينادي القبر كل يوم أنا بيت الغربة، وبيت الدود والوحشة، وأنا حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، وقال: تنادي النار يوم القيامة يا نار أنضجي، يا نار أحرقي، يا نار كلي ولا تقتلي " وقال: " إن المؤمن إذا وضع في لحده كلمته الأرض من تحته، فقالت: والله لقد كنت أحبك وأنت على ظهري، فكيف وقد صرت في بطني، فإذ وليتك فستعلم ما أصنع فتتسع له مد بصره، وإذا وضع الكافر قالت: والله لقد كنت أبغضك، وأنت تمشي على ظهري فإذا وليتك فستعلم ما أصنع فتضمه ضمة فتختلف منها أضلاعه [(٢)]).

قال ابن حجر في الفتح : (البرزخ مقدمة الآخرة وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ومن حقوق العباد الدماء [(٣)]) .

وذكر ابن قيم الجوزية : (أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثا دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكم دار أحكاما تختص بها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعا لها ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وان أضمرت النفوس خلافه وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها والأرواح حينئذ هي التي تباشر الْعذاب والنعيم فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية والأبدان كالقبور لها والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها تجرى أحكام البرزخ على الأرواح فتسرى إلى أبدانها نعيما أو عذابا كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه . باب ما جاء عذاب القبر برقم(١٣٧٤).

(٢) شعب الإيمان (٦٢٤/١) للبيهقي.

(٣) فتح الباري(٤٧٢/١٠).

نعيما أو عذابا فأخط بهذا الموضع علما واعرفه كما ينبغي يزيل عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج ، وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجا فِي الدنيا من حال النائم فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجرى على روحه أصلا والبدن تبع له وقد يقوى حتى يؤثر في الْبدن تأثيرا مشاهدا فيرى النائم في نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ويذهب عنه الجوع والظمأ[1]).

٥/ وما ذكره الغزلي في الحساب والجزاء مما يلي :

أ . أن الحساب يشمل كل الأولين والآخرين ، والله سبحانه وتعالى يحاسبهم جميعا في يوم واحد ، ولا يغفل ذرة من خير أو شر .

ب . مرحلة الجزاء الأخروي وأنه مادي وروحاني معاً.

حـ . وأن الجنة دار لنوعين من المتع مادي ومعنوي وليس من قبيل المجاز.

وما سبق ذكره من الشيخ الغزالي رحمه الله في هذه المرحلة كما يرى يتفق مع السلف رضوان الله عليهم ، حيث ذكروا أن الله سبحانه وتعالى يحاسب الخلائق ويقتص لبعضهم من البعض حتى اللطمة ولا يظلم ربك أحدا .

قال شمس الدين الحنبلي[2]: (وهذا الوقوف . للحساب . الثابت بالسنة والكتاب وإجماع أهل الحق بلا ارتياب، قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢ – ٩٣] وقَل في حق أعدائه: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الرعد: ١٨]- ﴿ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩]- ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨][3]).

ولا شك أن نعيم الجنة مادي ومعنوي : تمتيعاً للجسد ، ولذة للنفس وللروح ، فلأهلها فوق اللذائذ الحسية : التكريم المعنوي ، فلقاء الباري – عز وجل – ورضوانه ورؤيته ومخاطبته

(١) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة(٦٣/١)لابن القيم . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. بدون سنة نشر .

(٢) سبق ترجمته. صـ٢٧٢.

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني الحنبلي(١٧١/٢).

لهم : نعيم لا يدانيه متاع مادي قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزخرف: ٧١]

قال ابن سعدي[1] : (وأما الآخرة، فإنها ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩]في ذاتها وصفاتها، وبقائها ودوامها، وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، من نعيم القلوب والأرواح، وكثرة السرور والأفراح[2]).

٦/وفي حديث الشيخ الغزالي رحمه الله عن الشفاعة يرى ما يلي:

أ ـ أن الشفاعة لصنف من الناس تأرجحت موازين الحق والباطل في أعمالهم[3] وهو في هذا يتفق مع السلف رضوان الله عليهم حيث يقولون :

ب ـ أن الشفاعة تدل على مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته الكبرى عند الله[4] وهو في هذا اتفق مع السلف رضوان الله عليهم ، لحديث جابر بن عبد الله أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة[5] ».

قال ابن حجر : (قال ابن دقيق: المراد الشفاعة العظمى في إراحة الناس من هول الموقف ولا خلاف في وقوعها وكذا جزم النووي وغيره وقيل الشفاعة التي اختصّ بها أنه لا يرد فيما يسأل وقيل الشفاعة لخروج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان لأن شفاعة غيره تقع فيمن في قلبه أكثر من ذلك قاله عياض ، والذي يظهر لي أن هذه مرادة مع الأولى لأنه يتبعها[6]) .

جـ ـ أن الشفاعة لون من إكرام الله في الدار الآخرة لمن أهينوا بسبب إيمانهم بالله في الدنيا.

---

(١) سبق ترجمته. صـ١٩٤ .

(٢) تفسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٢٥٤/١) .

(٣) انظر : ص ٢٦٥.

(٤) انظر : صـ ٢٦٥.

(٥) متفق عليه . أخرجه البخاري في باب التيمم. برقم(٣٥٥) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة. برقم(٥٢١).

(٦) فتح الباري لابن حجر(٤٣٨/١).

د ـ أن الشفاعة العظمى هي لون من تأديب البشرية كافة.

وذلك أن البشر يحل بهم من الكرب الشديد في الموقف ما الله به عليم ، ولذلك يستنجدون بالرسل في طلب الشفاعة في هذا الموقف وهو الحشر ، وهو ما سيأتي قريبا في حديث أنس .

هـ ـ ويرى أنه لا شفاعة لمشرك أو كافر، ويشهد لهذا ما أخرجه الترمذي في سننه من حديث عوف بن مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا [1]».

وفي هذا يتفق الشيخ الغزالي رحمه الله مع السلف.

فعن أنس بن مالك، أنه قال: حدثنا محمد ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله، وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجدا، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة -أو خردلة- من إيمان فأخرجه، فأنطلق، فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول:

(١) سنن الترمذي (٤/٢٢٧) برقم(٢٤٤١).

يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل[(١)] ».

- وفيما ذكره الشيخ الغزالي رحمه الله عن الشفاعة من أنها: (لا تهدم قواعد العدل، ولا تعطل موازين الحساب، ولا يحتاج إليها سابق بالخير، ولا ينتفع بها مارق من الحق[(٢)]).

وهذا الذي ذكره فيه نظر حيث يقول: (لا يحتاج إليها سابق بالخير) حيث أن المؤمنين عامة لا يستغنون عن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول النووي :(هذه هي الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها وهي الإراحة من الموقف والفصل بين العباد[(٣)]).

وقال ابن حجر :(والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى التي اختص بها وهي إراحة أهل الموقف من أهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم والمراد بأهل الجمع أهل الحشر لأنه يوم يجمع فيه الناس كلهم[(٤)]).

قوله: (أهل الجمع) أي:" أهل المحشر، وهو يوم مجموع فيه جميع الناس من الأولين والآخرين[(٥)]).

وعلى هذا فإن شفاعته صلى الله عليه وسلم لا يستغني عنها أحد من الخلائق .

٨/ لقد ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله نوعاً واحداً من أنواع الشفاعة وهي الشفاعة لقوم تأرجحت موازين الحق والباطل في أعمالهم[(٦)] ، بينما هناك أنواع أخرى من الشفاعة لم يذكرها الشيخ الغزالي رحمه الله ، وذكرها السلف وهي:

١- في إدخال قوم الجنة بغير حساب، قال شمس الدين الحنبلي : (ثبت في عدة أخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم ما كر الليل على النهار أن طائفة من هذه الأمة بلا ارتياب يدخلون الجنة بغير حساب فيدخلون جنات النعيم قبل وضع الموازين، وأخذ الصحف بالشمال

---

(١) رواه البخاري في صحيحه . باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٩/ ١٤٦) برقم(٧٥١٠) ومسلم في صحيحه . باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨). برقم(٣٢٦).

(٢) انظر: ص(٢٦٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (٣/ ٥٧)للنووي.الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت . الطبعة: الثانية. ١٣٩٢.

(٤) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٣٩).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/ ٥٨).

(٦) انظر: ص(٣٦٥).

واليمين، فقد أخرج الشيخان، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: «عرضت علي الأمم يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد، والنبي معه الرهط، فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي انظر؛ فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق، فقيل هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا، فقيل لي: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، فتفرق الناس، ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك أصحابه فقالوا ما قالوا، أما نحن في الشرك، ولكن قد آمنا بالله ورسوله، هؤلاء أبناؤنا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون " فقام عكاشة بن محصن: فقال: أنا منهم؟ وفي لفظ: ادع الله أن أكون منهم يا رسول الله، قال: نعم، ثم قام آخر فقال: أنا منهم؟ فقال: " سبقك بها عكاشة [1] » .

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه (الداء والدواء) قوله صلى الله عليه وسلم: سبقك بها عكاشة، لم يرد أن عكاشة وحده بذلك ممن عداه من الصحابة، ولكن لو دعا لقام آخر وآخر وانفتح الباب، وربما قام من لم يستحق أن يكون منهم، فكان الإمساك أولى، والله أعلم [2]).

٢- الشفاعة لقوم استوجبوا النار أن لا يدخلوها، قال ابن أبي العز الحنفي : (النوع الثاني والثالث من الشفاعة : شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار، أن لا يدخلوها [3]).

٣- الشفاعة في إخراج قوم من النار بعد دخولها، قال ابن أبي العز الحنفي: (النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث ، ومنها حديث : حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»رواه الإمام أحمد رحمه الله [4]).

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية(١٦٨/٢).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء(٤٢/١) تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) . الناشر: دار المعرفة – المغرب . الطبعة: الأولى. ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٣٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٣٣) . وقال محققوه عن الحديث : صحيح وله طرق وشواهد .

٤- الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها ، قال ابن أبي العز الحنفي :(النوع الرابع: شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم [(١)]).

٥- قسم سادس وهو الشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار كما وقع لأبي طالب فأي شفاعة ادخرها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته". [(٢)] قال ابن أبي العز الحنفي : (النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه [(٣)]).

قال القرطبي في المفهم : (وقد تحقق كمال تلك المعاني كلها لنبيِّنا محمّد . صلى الله عليه وسلم . في ذلك المقام الذي يحمده ويغبطه فيه الأولون والآخرون ، ويشهد بذلك النبيُّون والمرسلون [(٤)]).

وقال الإمام النووي : (وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها ، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها ، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار ، واحتجوا بقوله تعالى :﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر:٤٨] وبقوله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر:١٨] وهذه الآيات في الكفار .

وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل ، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار ، لكن الشفاعة خمسة أقسام :

أولها : مختصة بنبينا وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب .

الثانية : في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه وردت أيضا لنبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرها مسلم – رحمه الله- .

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى.

الرابعة : فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ، ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث«لا يبقى فيها إلا الكافرون» [(٥)] .

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٣٢).

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ١١٨).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٣٢).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للحافظ عمر بن إبراهيم أبي العباس القرطبي الأنصاري (٣/ ٤٧).

(٥) انظر : شرح النووي على مسلم (٣٦/٣).

الخامسة : في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها ، وهذه ينكرها المعتزلة ولا ينكرون أيضا شفاعة الحشر الأول[1]).

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ٤٧).

المبحث السابع : الإيمان بالقدر[1] :

إن الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان وسيكون الحديث عنه كما يلي:

ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن عقيدة القدر تقر التوازن بين ما يجب لله ، وما يجب على الناس، فإن الإنسان قد يطغى وينسى فقال: (القضاء والقدر عقيدة تقر التوازن بين ما يجب لله وما يجب على الناس، فإن الإنسان قد يطغى وينسى. يطغى، يحسب نفسه كل شيء في هذا الوجود، وينسى أنه برغم خصائصه الرفيعة . مقهور بأمور تعجز إرادته وتشل قدرته، وتجعله يذكر . طوعاً، أو كرها . أن الأكوان ما زالت يحكمها مكونها الأول، وأن قيادها بيده، وأنه غالب على أمره . ولو أنك تدبرت في أناة ورشد ما حولك وما قبلك، وما بعدك، وما يقع لك، ولغيرك، لما ارتبت في أن الإشراف الأعلى على أحوال الناس كلهم محكم ودقيق... وأن الناس يدورون داخل نطاق صاغ حدوده مقلب الليل والنهار، الذي يحيي ويميت ويقبض ويبسط...

أنت حر الإرادة والتفكير والعمل...

أنت مؤاخذ بالإساءة مكافأ بالإحسان، عن عدالة وحكمة.

وأنت تؤمر وتنهى، لأنك في خلقك صلاحية استقبال الأمر والنهي، وصلاحية الفعل والترك.

---

(١) تعريف القدر لغةً: من القدر بسكون الدال، ومن القدر بفتح الدال، وتأتي على معان منها: القوة، ومقدار الشيء، والتمكن من الأمر، والغنى، وقياس الشيء. والقضاء من الله.

والقدر تأتي من قدر بتشديد الدال، وتعني تمهل في تسوية الأمر وفكر فيه، وبيّن مقداره، وقاسه به، ونوى الأمر وقضاه وحكم به. انظر: لسان العرب (٧٤/٥) لابن منظور.

وفي الإصطلاح: قال ابن القيم الجوزية : (وقال الحجاج الأزدى: سألنا سلمان ما الإيمان بالقدر؟ فقال: أن تعلم إن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك). انظر: طريق الهجرتين (٨٢/١) لابن قيم الجوزية . الناشر: دار السلفية. القاهرة. مصر . الطبعة: الثانية. ١٣٩٤هـ.

والقضاء والقدر في الشرع قد يردان على معنى واحد، وهو: ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد ووقوعه في وقته وكيفيته.

وقد يراد بالقدر ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، أما القضاء فيراد به وقوع الأمر وإنفاذ الحكم وفق القدر السابق. انظر: فتح الباري (٤٧٧/١١) لابن حجر. وأصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (٢/ ١١٤) لسعود بن عبد العزيز الخلف. الناشر: الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ.

وأنت مع هذا كله، جزء من خطة عامة، يعرفها الذي بيده الملك، وهو على كل شيء قدير.

وكونك جزءاً من هذه الخطة العامة يجعلك محكوماً بأمور شتى من بأساء الحياة وضرائها، أو من نعمها وسرائها، لن تؤاخذ بما يقهرك منها.

فإن الله لن يؤاخذ الناس بما لم يكسبوا:﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾[الأحزاب:٥])[1].

- ويرى الغزالي رحمه الله أن في القرآن آيات يفيد ظاهرها الجبر، وأخرى يفيد ظاهرها الاختيار.

ولا تناقض بين هذه وتلك، فلكل منهما مجال تعمل فيه...

فأما آيات الاختيار، فهي تتعرض لما يكلف به الناس من أعمال، وما يلزمهم في هذه الحياة من تصرفات وتبعات.

وقصة الخليقة، والرسالات، والثواب، والعقاب، والعدالة الإلهية تقوم على هذا الجانب المسلم به عقلاً ونقلاً.

والطعن في هذه البديهية هو زعم بأن الحياة رواية هزلية، ومأساة سماوية.

وأن الله يفعل ثم يعاقب الآخرين، أو يثيبهم..

ويأمر وينهى، وهو يعلم أنه لا موضع لأمره ولا مكان لنهيه.

وهذا الكلام تخليط مجانين، أو اتهام جاحدين، تعالى الله عما يقولون.

وأما آيات الجبر، فهي تتعرض للخطة العامة التي رسمها الله للحياة الإنسانية...

وهي خطة لا دخل لنا فيها، وإن تناولتنا من كل نواحينا.

فالله وحده هو الذي حدد القوى المادية والأدبية التي أتيحت، أو تتاح لنا في كفاحنا إبان هذا العمر الموقوت.

ثم إن جانب الاختيار الممنوح لنا محوط بطبيعة هذه القوى كماً وكيفاً.

---

(١) هذا ديننا ص: ٢٨.

فإن الإنسان وإن كان قادراً . فليس خالقاً.

وهو . وإن كان مدبراً . فليس إلهاً يفعل ما يريد.

وكم من عزيمة صحت، ثم أعجزتها وسائل الظهور، لأنها لا تملكها...) [١] .

ويقول الشيخ الغزالي رحمه الله : (إن الإنسان حر في نطاق مسئوليته، عبد في نطاق الكون الكبير المسخر لباريه [٢]).

حيث يرى أن الإنسان يمتاز بعقل: (يتصرف به يمنة ويسرة، ويكتشف به ما يفعل وما يترك، ويعرف به متى يمضي ومتى يقف؟؟

إذن الإنسان مجبور مختار، وهكذا قال الإسلام، والذين يقولون: إنه لا اختيار له يكذبون القرآن والواقع معاً، والذين يقولون: إنه غير مجبور في شيء يكذبون القرآن والواقع معاً [٣]).

ثم ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله: (أن الله هو الضار والنافع والخافض الرافع، وأنه خالق كل شيء وسائقه، فلا قدرة لبشر على خلق وإنشاء، ولكن البشر لهم إرادات وقُدَر تعمل داخل نطاق محدود في هذا الكون الكبير الذي لا ندري منه إلا القليل ، وهذا معنى﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ٧٨ ﴾[النساء:٧٨]. ثم جاء تفضيل لاحق يبين أن أغلب ما يصيب الناس من شرور هو لسيئات اقترفوها أو تقصير وقعوا فيه، وهذا معنى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ٧٩ ﴾[النساء:٧٩]. .

وإنما قلنا أغلب ما يصيب الناس، لأن الله قد يبتلي بما يرفع الدرجات على طريقة «إذا سبقت للعبد منزلة فلم يبلغها بعمله، سلط عليه بلاء يرفعه إليها[٤]» . بصبره وتسليمه . فكل شيء لله إيجاداً وإرسالاً، ولنا كسباً واكتساباً، ونحن السبب في أغلب السيئات التي تصيبنا[٥]).

---

(١) نفس المصدر. ص: ٢٩..

(٢) نفس المصدر. ص: ٢٩.٢٧.

(٣) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. ص: ٨٦.

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٧/ ٢٩)حديث رقم (٢٢٣٣٨)بلفظ«إذا سبقت للعبد من اللّه منزلة لم يبلغها بعمله. ابتلاه اللّه في جسده أو في ماله أو في ولده. ثم صبره حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له منه».

(٥) التفسير الموضوعي. ص: ٥٩.٥٨.

وخلاصة هذا نجد أن القدر عند الشيخ الغزالي رحمه الله معناه : عقيدة تقر التوازن بين ما يجب لله من التوحيد والطاعة ، وما يجب على الإنسان من طاعة الله وعدم عصيانه ، ويرى أن الإنسان مجبور مختار ، وإلا كذب القرآن والواقع معا .

- **مراتب القدر:**

ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله مرتبتين من مراتب القدر ، وهما : العلم الإلهي والإرادة الإلهية .

١. العلم الإلهي :

لقد تحدث الشيخ الغزالي رحمه الله عن العلم الإلهي والذي هو أحد مراتب القدر فيقول: (العلم الإلهي مسطور في كتاب ضابط شامل محيط﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[الحج:٧٠]. وهذا الكتاب يضم عالمي الغيب والشهادة. ويتناول الأصغر والأكبر من مثاقيل الذر، فالله لا يخفى عليه شيء ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾[سبأ:٣]. وفي تفصيل آخر لمحتويات هذا الكتاب يقول جل شأنه ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩]. وبديه أن أعمارنا، وأرزاقنا، وتفاصيل حياتنا، ومواعيد وفاتنا، بعض محتويات هذا الكتاب، فليس من المعقول أن يجهل ربنا شئون ما خلق ومن خلق، أو يجهل الخطة التي وضعها لسير الكون وسكانه، والأرض وقطّانها، أو يجهل مراحل تنفيذها، بما هيأ من أدوات:﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك:١٣-١٤]. والناس كلهم، كافرهم ومؤمنهم، طفلهم وشيخهم، ينالون ما سطر لهم في هذا الكتاب، بل المخلوقات من جماد وحيوان تتحرك في دائرة هذا العلم السابق الصادق.

قال تعالى:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحديد:٢٢].

وقد أمر الله المؤمنين أن يستريحوا لهذا العلم القديم، ويستكينوا لحقيقته ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١]. هذا الإله الواحد له صفات العلم الواسع، والإرادة الشاملة، والقدرة

الكاملة، وأنه فعال لما يريد، عالم بما يفعل وسع علمه كل شيء، وأحاط بكل شيء علما ، سواء في هيمنته: دبيب النمل في جحورها، أو وثبات الأفلاك في مدراتها.

وفي شمول علمه يستغرق الأمكنة على تعدادها والأزمنة على تطاولها، فما تغيب عنه بقعة في المشرق أو في المغرب، وما يغيب عنه يوم في الأزل أو الأبد.

وأحداث الحياة . وما أكثر ما يلوح في آفاق الحياة من خير وشر، ويأس ورجاء وحزن وفرح، ذلك كله استوعبه العلم الإلهي عداً وإحصاء. ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[يونس:٦١]) [١] .

٢. الإرادة الإلهية :

وبعد أن ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله العلم الإلهي تحدث عن الإرادة الإلهية فقال: (إن الإرادة الإلهية هي سنن الله التي بثها في الكائنات، وانتظمت بها أحوال الأرض والسموات.

وإذا أراد الله أن يخلق رجلاً، فلا يقول للعدم كن رجلاً، فينشق المجهول نطفة ثم جنيناً، ثم وليداً، ثم صبياً، ثم غلاماً.. الخ.

وإذا أراد الله أن يخلق فاكهة، أخذت هذه الإرادة مجراها المعتاد فوضعت البذور، واستُجلبت المياه، وتتابعت الفصول، وتداولها الحر والبرد، وما تزال الأيدي الراعية تتعهدها بعد بُدُوّها حتى تنضج، والإنسان كائن ميزه الله بخواص أدبية ومادية هي مناط تكليفه، ومبعث اتجاهه.. وحريته التي يستمتع بها دون ريب، هي إرادة الله له، ولو شاء جعله غير ذلك.

إنه ـ جل شأنه ـ خلق الملائكة لا تحسن إلا اتجاهاً واحداً، مع ما وهب لها من إدراك.

وخلق الإنسان بطبيعة متشعبة الهوى والوجهة، خلقه قادراً على أن يذهب يمنة ويسرة كيف شاء، وتلك هي إرادة الله له، فلا جبر، ولا إكراه [٢]).

ثم ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله أن القرآن الكريم ينوه بحرية الإرادة الإنسانية فقال: (نجد القرآن ينوه بحرية الإرادة الإنسانية: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:٢٩].ولا يخليها من المسئولية الواضحة على ما يصدر منها:﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٨﴾﴾[يونس:١٠٨]. ، بل إن طبيعة الدين ـ وهي الدين التكليف والابتلاء ـ

---

(١) عقيدة المسلم. ص٩٦.

(٢) هذا ديننا. ص: ٢٤.٢٥.

لا تتحقق ألبته مع استعباد الإرادة وتقييدها ، وإيقاع الجزاء كذلك لا يتوجه ويقر إلا في هذا الجو الطلق الفسيح [1]).

وفي تفسيره لشمول الإرادة الإلهية وهيمنة القدرة العليا على الخلائق كافة ذكر أن (إطلاق المشيئة في آية، تقيده آية أخرى يذكر فيها الاختيار الإنساني صريحاً، أي أن إضلال الله لشخص، معناه: أن هذا الشخص آثر الغي على الرشاد، فأقره الله على مراده، وتمم له ما يبغى لنفسه... ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[الصف:٥].

وانظر إلى قيمة التنويه بالاتجاه البشري المعتاد: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ ﴾[النساء:١١٥]. ، فهل بقي غموض في إطلاق المشيئة؟ لا.

إن معنى قوله﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾[الرعد:٢٧]. لا يعدوا قوله:

﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٦-٢٧]. ﴿ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥ ﴾[يونس:٢٥]. ، انظر إلى قيمة الإرادة الإنسانية في قول القول الحق وهو يتكلم عن إرادته: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[الرعد:٢٧-٢٨]. فهو يهدي إليه من أناب﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦ ﴾[المنافقون:٦] [2] .

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن الله عز وجل وضع لإرادته العليا مفاتيح معينة ثم ألقاها بين أيدي الإنسان فيقول: (وقد جعل الله عز وجل لإرادته العليا مفاتيح معينة ثم ألقاها بين أيدي الإنسان، فمن أراد النبات فمفتاحه الزراعة، ومن أراد النسل فمفتاحه الزواج، وهكذا يوجد لكل هدف منشود سبب مقصود. وقد تكون للغاية الواحدة عدة طرق، فيجب الأخذ بها جميعاً، إذ يكون السبب الموصل من اقترانها كلها. وقد تكون النتيجة المطلوبة قائمة على جملة أسباب بعضها في يدنا فلا بد من فعله، وبعضها خارج عن طوقنا فهو متروك لله، كتقلبات الجو مثلاً للزراعة، وما أشبه ذلك[3]).

(١) عقيدة المسلم. ص: ٩٩.

(٢) نفس المصدر. ص: ١٠١.

(٣) تأملات في الدين والحياة. ص: ٢٧.

– متعلقات القدر :

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن متعلقات القدر وقائع الحياة وأحداثها فيقول: (فأصابع القدر وحدها هي التي تتحرك ظاهرة وباطنه، لتوجه الحياة كما يريد صاحب الحياة:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[آل عمران:٥-٦].

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن (هناك أموراً تحدث وتتم بمحض القدرة العليا، وعلى وفق المشيئة الإلهية وحدها، وهي تنفذ في الناس طوعاً أو كرهاً، سواء شعر بها الناس أو لم يشعروا. فالعقول ومقدار ما يودع فيها من ذكاء أو غباء، والأمزجة وما يلابسها من هدوء أو عنف، والأجسام وما تكون فيها من طول أو قصر، وجمال أو قبح، والشخصيات وما تطبع عليه من امتداد وانكماش، والزمان الذي تولد فيه والمكان الذي تحيا فيه، والبيئة التي تنشأ في ظلها، والوالدان اللذان ينحدر منهما، وما تتركه الوراثة في دمك من غرائز وميول، والحياة والموت، والصحة والمرض، والسعة والضيق، ذلك ومثله، لا يد للإنسان فيه[(١)].

ثم يقول: (وغني عن البيان، أن شيئاً من هذا ليس محل مؤاخذة ولا موضع حساب، وإنما لفتنا النظر إليه لتعرف أن الجنسية التي تنتمي إليها، واللغة التي تنطق بها، بل نوع التكوين الذي يوجد الإنسان عليه، ذكر كان أو أنثى.. هذا شيء من الخصائص التي لا قبل لنا بها، ولا سبيل لنا إليها[(٢)]).

وذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن مظاهر الجبر الإلهي تختلط بمظاهر الاختيار الإنساني في أقوال عديدة فقال: (ننبه إلى أن الحساب الأخروي شبيه بالمعادلات الرياضية! يؤخذ منه ما لله، ثم يحاسب العبد على ما قدمت يداه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء:٤٠]. ولكن فريقا من النا س زعم أن الله كتب كل شيء، ثم سخر الناس في هذه الحياة لتنفيذه، وأجبرهم على فعل ما يفعلون وترك ما يتركون. وكان صدى هذه العقيدة الخرافية أن نسمع إلى بعض الجهلة من المتصوفين يرى المنكر أمامه فيهز كتفيه قائلا: "وضع العباد فيما أراد". أو نسمع لأحد العصاة من المتبجحين وهو يقول لك . حين تنصحه .: غدا يهديني الله.

---

(١) عقيدة المسلم. ص: ٩٧.

(٢) نفس المصدر. ص٩٧.

وقريب من ثرثرة هؤلاء المغفلين قول المشركين ـ قديماً في الاعتذار عن ضلالهم: ولو شاء الله فعل بنا غير ذلك!.

وقد زيف القرآن هذه الأباطيل في غير موضع واحد من آياته البينات: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[الأنعام:١٤٨].

وانظر كيف يرفض القرآن هذه المكابرة الآثمة، إذ لا يلتفت للرد عليها حتى لا يكون نقاشها نوعاً من الاعتراف بها: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾[النحل:٣٥].

وما أثر هذا البلاغ المبين عند الله وعند الناس؟ إنه أثر يقطع دابر المحتجين: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء:١٦٥] [١].

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن الإيمان بهذا الضرب من القدر واجب، والأدلة عليه متظاهرة من العقل والنقل، وعلى المؤمن أن يوقن ـ من أعماق قلبه ـ أن هذه أمور مفروغ منها، مفرقة على ذويها، من قديم جفت الأقلام بها فلا راد لها [٢].

- **أحاديث ظاهرها الجبر كما يرى الشيخ الغزالي رحمه الله:**

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن ظواهر الجبر موجودة في أحاديث صحيحة السند، غير أن متونها توقفنا أمامها واجمين! نبحث عن تأويل لها ومخرج [٣].

وضرب لها بأمثلة ذكرها في كتابه المحاور الخمسة [٤]، منها:

(١) حديث عائشة رضي الله عنها قالت دعى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جنازة غلام من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا! عصفور من عصافير الجنة، لم يدرك الشر،

(١) انظر المحاور الخمسة. ص: ٤٤.

(٢) عقيدة المسلم. ص:٩٧.

(٣) انظر المحاور الخمسة. ص: ٤٤.

(٤) المرجع السابق. ص: ٤٤. والسنة النبوية. ص١٨٦ ـ ١٨٧ . وهموم داعية. ص

ولم يعمله! قال:«أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله عز وجل خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم! وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم[(١)] ».

(٢) وحديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال:« إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار. وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدوا للناس، وهو من أهل الجنة[(٢)] »!!

(٣) وحديث عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره! فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل! فلذلك أقول: جفت القلم على علم الله تعالى[(٣)] »! .

(٤) حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه عند الموت: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لمن يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمع رسول الله ﷺ يقول: « إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب! قال: يا رب ما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى يوم القيامة، يا بني إني سمعت رسول الله يقول: من مات على غير هذا فليس مني[(٤)] »!

قال الشيخ الغزالي رحمه الله قبل ذكر هذا الحديث: جاء في القدر أحاديث كثيرة، نرى أنها بحاجة إلى دراسة جادة، حتى يبرأ المسلمون من الهزائم النفسية والاجتماعية التي أصابتهم قديماً وحديثاً..

وبعد أن ذكر هذا الحديث قال: وقد علق الشيخ محمد حامد الفقي[(٥)] على الحديث ورواته بأن في السند متهماً بالوضع، ومتروكاً، ومنكر الحديث!! ومع ذلك فنحن مع تهافت الأسانيد نرى

---

(١) مسلم جـ٤ صـ٢٠٥٠ رقم: ٢٦٦٢ القدر/ معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين.

(٢) مسلم جـ٤ صـ٢٠٤٢ رقم: ٢٦٥٢ القدر/ كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته.هنا

(٣) أحمد جـ٢ صـ١٧٦.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة . باب في القدر (٤/٢٢٥) برقم(٤٧٠٠) والترمذي في كتاب القدر . باب الرضا بالقدر (٤/٤٥٧) برقم (٢١٥٥).وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم(٨٩٠). انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته(١/٤٠٥) لمحمد ناصر الدين الألباني .الناشر: المكتب الإسلامي.

(٥) هو: الشيخ محمد حامد الفقي ولد في سنة ١٣١٠هـ الموافق ١٨٩٢م بمركز شبراخيت مديرية البحيرة. نشأ في كنف والدين كريمين وحفظ القرن وسنّه وقتذاك اثني عشر عامًا. وكان والده قد قسم أولاده الكبار على المذاهب الأربعة المشهورة ليدرس كل واحد منهم مذهبًا. فجعل الابن الأكبر مالكيًا. وجعل الثاني حنفيًا. وجعل الثالث شافعيًا. وجعل الرابع وهو

في المتن جملاً مقبولة تتلاقى مع دلالات القران القريبة والبعيدة، وتتفق مع العقيدة الصحيحة: وهي أن الله أحاط بكل شيء علماً، وأنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وعلينا بعد ذلك أن نكافح لنضع مستقبلنا في الدار الآخرة غير وانين ولا متقاعسين... [1]).

(٥) : ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال:«أتدرون ما هذا الكتابان؟» فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى:« هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا» ثم قال للذي في شماله: « هذا كتاب من العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا» فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال:«سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل [2]».

وقد قال الشيخ الغزالي رحمه الله قبل أن يورد هذا الحديث: (وبهذه السطحية رووا ما نعده وهماً في إدراك المقصود.. ثم قال: ومن هذا القبيل ثم ذكر هذا الحديث المذكر آنفاً، وقال بعد ذكره للحديث: والعبارات الأخيرة هي التي نريد التعقيب عليها، فهي في نظرنا من أوهام الراوي، ومخالفتها للكتاب والسنة الصحاح ظاهرة، فإن التيسير لليسرى يتم لمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى، ولا يتم لمن عمل أي عمل، وكذلك التيسير للعسرى لمن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، ولا يتصور البتة أن يكون ختام امرئ مخلص لربه مستغفر من ذنبه، وتوهين راو خالف النقل الثابت السند، والعدل السائغ هو مسلك أئمة السنة، فتعريف الحديث الصحيح

الشيخ محمد حامد الفقي حنبليًا. ودرس كل من الأبناء الثلاثة ما قد حُدد من قبل الوالد ما عدا الابن الرابع فلم يوفق لدراسة ما حدده أبوه فقُبل بالأزهر حنفيًا. ومؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م تقريبًا واتخذ لها دارًا بعابدين. ثم أنشأ مجلة الهدي النبوي وصدر العدد الأول في ١٩٣٧هـ. لتكون لسان حال الجماعة والمعبرة عن عقيدتها والناطقة بمبادئها. توفي رحمه الله فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨هـ الموافق ١٦ يناير ١٩٥٩م .

(١) السنة النبوية. صـ١٨٥ـ١٨٦.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب القدر . باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار (٤/٤٤٦) برقم (٢١٤١) قال أبو عيسى وفي الباب عن ابن عمر وهذا حيث حسن غريب صحيح . و أبو قبيل اسمه حيي بن هانئ وقال الشيخ الألباني:حسن . والإمام أحمد في مسنده (٢/١٦٧) برقم (٦٥٦٣)، والنسائي في السنن الكبرى .كتاب التفسير . باب سورة الشورى قوله تعالى: {فريق في الجنة وفريق في السعير} (١٠/ ١٠٢)حديث رقم ١١١٢٦) .

بعد اتصال السند بالثقات، أن يكون خالياً من الشذوذ والعلة القادحة، وأي شذوذ أشد من مخالفة الآية، وأي قادح أقوى من مصادقة العدل؟ [(١)]).

وقال: (وهناك أحاديث كثيرة تدور على هذا المحور أن الإنسان مسلوب المشيئة، وأنه مقهور بكتاب سابق، وأن سعيه باطل، لأنه لا يغير شيئاً مما خط عليه الأزل [(٢)]).

ويقول: (صحيح أن سعى الإنسان باطل؟ فلماذا يقول الله تعالى عن يوم الحساب: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[طه:١٥]. ولماذا يقول: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[النجم:٣٩-٤١]. إن الله تبارك وتعالى يطلب من الإنسان أن ينصف نفسه من نفسه! وأن يعترف بأنه أخطأ حيث ينبغي أن يصيب، وأساء حيث استطاع أن يحسن، ولذلك يقول له: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[الإسراء:١٤]. هل يقال له ذلك وهو مجبور مسكين؟ أم يقال له ذلك وهو حر مختار؟

. إن ظواهر الجبر في هذه الآثار كلها مرفوضة عند علماء الإسلام، وأمامنا أمران لا ثالث لهما:

إما صرف هذه الظواهر إلى تأويل قريب مقبول!

وإما اعتبارها آثارا بها علة قادحة تسقطها عن درجة الصحة، فإيرادها في مجال التربية والتعليم لا يجوز.

وقد استطعت بشيء من التناول العقلي أن أصرف شبهة الجبر عن آثار شتى لكنى لم أستطع إصلاح عقول تريد أن تسوق الإسلام كله إلى أحاديث غير واضحة، تظهر عليها العلل القادحة.

قول الله سبحانه في الأمم التي حكم عليها بالهلاك:﴿ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الروم : ٩-١٠] ، الله يعاقب مقترفي السيئات بالسوآى ، فهذا عدله، ولو شاء عفا فهذا حقه ، ولكنه لا يظلم مثقال ذرة...

---

(١) هموم داعية صـ١٠٦. محمد الغزالي. ط: دار الحرمين للنشر الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

(٢) المحاور الخمسة. صـ٤٤.

ومن العجب أن ننسب إليه الجبر ثم نقول لا يسأل عما يفعل! إن الذين يخطئون في الفهم، ويجورون في الحكم، لا ينبغي أن يسقطوا عوجهم الفكري على دين الله[1]).

وينتهي الشيخ الغزالي رحمه الله إلى ان عقيدة الجبر: (تطويح بالوحي كله، وتزييف للنشاط الإنساني من بدء الخلق إلى قيام الساعة، بل هي تكذيب لله والمرسلين قاطبة..[2]).

ويقول: (كل ميل بعقيدة القدر إلى الجبر فهو تخريب متعمد لدين الله ودنيا الناس، وقد رأيت بعض النقلة والكاتبين يهونون من الإرادة البشرية، ومن أثرها في حاضر المرء ومستقبله، وكأنهم يقولون للناس: أنتم محكومون بعلم سابق لا فكاك منه، ومسوقون إلى مصير لا دخل لكم فيه فاجهدوا جهدكم فلن تخرجوا عن الخط المرسوم لكم مهما بذلتم!

إن هذا الكلام الردئ ليس نضح قراءة واعية لكتاب ربنا، ولا اقتداء دقيق بسنة نبينا، إنه تخليط قد جنينا منه المر..!!

يقول الله لكل بشر على ظهر الأرض: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم:٤٣-٤٤]. فهل ربط الجزاء بالعمل هنا من قبيل المزاح أو الخديعة؟.

وعندما يصف ربّنا جزاء الكذبة والمكّذبين، ويبيّن عقبى عملهم ويقول: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[فصلت:٢٧-٢٨]. هل هذا الربط المتكرر بين العمل والجزاء؟ وهل هذه النقمة المحسوسة على المجرمين تومئ من قرب أو بعد إلى أن القوم كانوا أهل خير فلوى زمامهم قدر سابق؟ أو كتاب ماحق؟ ما أقبح هذا الفهم! [3]).

. ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن تصوير القدر على النحو الذي جاءت به بعض المرويات غير صحيح ، فيقول: (إن تصوير القدر على النحو الذي جاءت به بعض المرويات غير صحيح، وينبغي أن لا ندع كتاب ربنا لأوهام وشائعات تأباها روح الكتاب ونصوصه..

القرآن قاطع في أن أعمال الكافرين هي التي أردتهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾[التحريم:٧]. وقاطع في أن أعمال الصالحين هي التي نجت

---

(١) المرجع السابق. ص٤٤،٤٥.

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. ص١٧٣.

(٣) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. ص١٧٦،١٧٧. وانظر المحاور الخمسة ص٣٣،٣٧.

بهم:﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأعراف:٤٣]. ، فلا احتجاج بقدر، ولا مكان لجبر ، وعلى من يسيئون الفهم أو النقل ألا يعكروا صفو الإسلام ...)[1].

(٦) روى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[الأعراف:١٢٧].

قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح على ظهره، فاستخرج منه ذرية فقال: هؤلاء خلقت للنار، وبعمل أهل النار يعملون» فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« إن الله إذا خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار[2] » .

قال الشيخ الغزالي رحمه الله بعد ذكره لهذا الحديث: (وهذا السياق يكاد يكون نصاً في الجبر، ولذلك نرفضه، ونراه من أوهام الرواة، بل نراه من الجهل بمعاني القرآن الكريم!

فإن هذا التفسير المنسوب لعمر يسير في اتجاه مضاد للتفسير البديهي المفهوم من الآيات البينات، الآيات تقول للمشركين عن رب العزة: لا وجاهة لكم عندي، ليس لكم عذر قائم ولا حجة ناهضة. إنني منحتكم عقلاً يفكر وفطرة تبعث على التوحيد والاستقامة، وأنزلت ما يمنعكم من تقليد الآباء الجهلة، فلماذا تجاهلتم هذه المعالم كلها، وهممتم على وجوهكم في طرق الشر والغواية.. أفبعد هذا التفصيل والتوضيح تبعدون عني ولا ترجعون إلي!

---

(١) السنة النبوية . المرجع السابق. ص١٨٣.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه . في باب ومن سورة الأعرف برقم(٣٠٧٥) وقال : (هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر. وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بينَ مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً) وأبو داود في باب القدر برقم(٤٧٠٣) والنسائي في باب قوله تعالى {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم . }برقم(١١١٢٦) وأحمد في مسنده . في مسند عمر بن الخطاب برقم(٣١١) والحاكم في المستدرك . باب ذكر آدم عليه السلام برقم(٤٠٠١)ثم قال:(هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة وأطال النفس في بيان ذلك . برقم(٣٠٧١).

هذا هو تفسير الآيات كما ينقدح في ذهن كل عاقل، وكما يثبت لأول وهلة في فهم القارئ العادي.. [1]).

وعند حديث احتج آدم وموسى يقول: (وقد روى بعضهم قصة آدم مع موسى دليلا على جواز الاعتذار بالقدر، وهي كما رواها أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :«احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم، أنت أبونا أخرجتنا من الجنة! فقال له آدم: أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه خط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين عاما؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى [2]».

وهذا الحديث لا يدل على شيء قط مما يفكر فيه المعتذرون بالقدر، فالحديث ورواياته الأخرى، يشير إلى أن موسى كان يريد تحميل آدم متاعب الإنسانية كلها، ويرجع شقاء أبنائه جميعاً إلى أكلته المشئومة من الشجرة.

وقد دافع آدم عن نفسه بصدق..

فإن وجود الحياة البشرية لم يكن نتيجة طبيعية ولا عقلية لذنب آدم.

كان من الممكن جداً أن يعاقب آدم على خطئه بأي عقاب آخر، كالتوبيخ أو الحرمان المؤقت أو غير ذلك.

أما ترتيب وجود العالم الزاخر بآلامه وآماله على هذه المعصية، فهذا قدر إلهي محض لم يدر بخلد آدم، ولا يجوز أن يعاتب عليه، ومن هنا حج آدم موسى.

أما مسؤولية آدم الخاصة عن ذنبه الذي استغفر الله منه، فلا صلة له بهذا الحديث.

إن خطيئة آدم ليست سبباً شرعياً ولا علة عقلية لوجود العالم وانتشار الناس في القارات الكبرى يشقون ويكدحون.

وفي رواية أخرى لأصحاب السنن: « قال موسى يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه أباه آدم عليه السلام. فقال: أنت أبونا آدم؟ قال: نعم. فقال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة أن يسجدوا لك؟ قال: نعم.

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. ص١٧٤ـ١٧٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٥٨) حديث رقم(٣٤٠٩).

قال: فما حملك أن تخرجنا ونفسك من الجنة؟ قال: فما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال: بلى!! قال: أفتلومني في شيء سبق فيه من الله القضاء قبلي؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى [(١)] ».

إن آدم يعلم ـ من غير مراء ـ أنه أخطأ حين أكل من الشجرة، وقد اعترف بذلك عن صدق، وطلب من الله المغفرة وغفر له!

أما أنه مصدر ما وقعت فيه البشرية كلها من عناء، فهذا ما أنكره ـ وهو محق ـ وجعله من شؤون القدر الأعلى، واقتنع بذلك موسى كما رأيت. ومن السخف أن نخطئ نحن ثم نسوق كلمة آدم عذرا لنا على خطئنا [(٢)]).

٥. وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله بعض العلماء الذين عالجوا عقيدة القضاء والقدر وهم:

١) جلال الدين الرومي[(٣)]:

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (وقد أعجبني وأنا أقرأ كتاب "رجال الفكر والدعوة [(٤)] " للأستاذ أبي الحسن الندوي[(٥)] حديثه السائغ الحلو عن الشيخ جلال الدين الرومي، وكيف عالج هذه المسألة بذكاء ويسر.

---

(١) الحديث بهذه الرواية أخرجه أبو داود في سننه . باب في القدر برقم (٤٧٠٢)بزيادة :(فقال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى. قال: أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال: نعم. قال: أفما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال: نعم)وأخرجه الترمذي وابن ماجه بألفاظ متقاربة . فأخرجه الترمذي . باب ما جاء في احتجاج آدم وموسى برقم(٢١٣٤) وابن ماجه . باب في القدر برقم(٨٠). ولم أعثر عليه عند النسائي .

(٢) عقيدة المسلم. ص١٠٦-١٠٧.

(٣) جلال الدين المولى الفاضل أحد موالي الروم خدم المولى محمد بن الحاج حسن. ثم صار مدرساً بمدرسة المولى المذكور بالقسطنطينية. ثم صار قاضياً بعدة من البلاد. وكان محققاً مدققاً. ذا شيبة نيرة .وكان صوفيا شاعرا وصاحب الطريقة (المولوية). مات سنة أربع أو خمس وثلاثين وتسعمائة . من أقواله : "الأنبياء في عمل الدنيا جبريون ، والكفار في عمل الآخرة جبريون ، وعند الأنبياء عمل الآخرة اختيار، وعند الجاهلين عمل الدنيا اختيار" انظر : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٢/ ١٣٣) لنجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ) تحقيق: خليل المنصور. الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان الطبعة: الأولى. ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م . والأعلام للزركلي (٧/ ٣٠) والشمس المنتصرة دراسة آثار الشاعر جلال الدين الرومي (ص٤٢٩) للبروفسيرة أنيماري شميل وترجمه للعربية الدكتور عيسى علي العاكوب طبعة دار الارشاد الاسلامي ،سازمان بإيران عام ١٣٧٩هـ

(٤) هذا كتاب لأبي الحسن الندوي طبع عدة مرات . طبعته الثانية من منشورات دار ابن كثير بتقديم كل من مصطفى السباعي ومصطفى الخن . ويتكون من مجلدين . وعدد صفحاته (١٦١٦) حجم ٢٤×١٦. تاريخ النشر:٢٠٠٤م.

(٥) الشيخ أبو الحَسَن النَّدْوي داعية مشهور معاصر هندي ولد بقرية تكية. مديرية رائي بريلي. الهند عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م. وتعلم في دار العلوم بالهند (ندوة العلماء). والتحق بمدرسة الشيخ أحمد علي في لاهور. حيث تخصص، في علم

قال: إن الجبر والاختيار من المسائل المهمة العويصة التي شغلت حيزاً كبيراً من كتب علم الكلام، وقد ذهبت فرقة إلى نفى الاختيار المطلق وإثبات الجبر المحض، وسميت في تاريخ الملل والنحل بالجبرية، وهذه الفرقة يرد عليها جلال الدين رداً واضحاً معقولا، إذ يقول:

(لو كان الجبر حقاً، لما توجه الأمر والنهي إلى الإنسان، وما كُلف الإنسان بالشرائع والأحكام، فهل سُمع إنسان يأمر حجراً وينهاه[1])؟

ويقول: (إن القرآن كله أمر ونهى، ووعد ووعيد، ولم نسمع عاقلاً يأمر الرخام أو ينهى الحديد)!

ثم ذكر قوله في: (إن الإنسان مفطور على عقيدة الاختيار، وهو يتمثل هذه العقيدة ويطبقها في حياته اليومية، ويقرر بعمله وسلوكه الاختيار، وينكر الجبر، فلا يعاقب الجماد، ولا يغضب على الحجر والخشب والسيل والنار والريح مهما لحقه الأذى والعنت من هذه الأشياء). ويتساءل: (إذا سقط عليك جذع من السقف، وجرحك جرحاً شديداً، وأدماك وآلمك، فهل يثور غضبك على الجذع؟ وإذا عاتبته، وقلت له: لماذا كسرت يدي أو دميت رأسي؟ هل تكون عاقلاً؟

كذلك إذا جاء سيل أو فيضان، وطاح بأثاثك ومتاعك، أو هاجت الريح وطارت بعمامتك، هل تشتعل غضباً على السيل أو الريح، وتتصدى لها بالعتاب والعقاب؟؟

أما إذا تعرض إنسان لإهانتك أو هتك عرضك، ثرت عليه، وعاقبته عقاباً شديداً، فدل ذلك على أنك تميز بين المجبور والمختار، وتعتقد أن الإنسان صاحب اختيار وإرادة فتحاسبه وتعاتبه، وتعاقبه وتشكوه وتلومه، ولا تقبل له عذراً، لأنه مخير ليس بمجبور).

التفسير. ومن يوم تخرجه أصبح شعلة للنشاط الإسلامي سواء في الهند أو خارجها. وقد شارك رحمه الله في عدد من المؤسسات والجمعيات الإسلامية. ومنها تأسيس المجمع العلمي بالهند. وتأسيس رابطة الأدب الإسلامي كما أنه: عضو مجمع اللغة العربية بدمشق. وعضو المجلس التنفيذي لمعهد ديوبند. ورئيس مجلس أبناء مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية رحمه الله . يعد من أشهر العلماء المسلمين في الهند. وله كتابات وإسهامات عديدة في الفكر الإسلامي. فله من الكتب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين وموقف الإسلام من الحضارة الغربية. السيرة النبوية. من روائع إقبال. نظرات في الأدب. من رجالات الدعوة. قصص النبيين للأطفال وبلغ مجموع مؤلفاته وترجماته ٧٠٠ عنواناً. منها ١٧٧ عنوانا بالعربية. وقد ترجم عدد من مؤلفاته إلى الإنجليزية والفرنسية والتركية والبنغالية والإندونيسية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية الأخرى. توفي رحمه الله في (١٩٩٩/٩/٣١). انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين (ص: ٣١) معجم إلكتروني من إعداد أعضاء ملتقى أهل الحديث .

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. صـ٨٧.

ولا يقتصر جلال الدين على ذلك، بل يقرر أن الحيوان يعرف ذلك، ويميز بين المجبور والمختار وتهديه إلى ذلك فطرته، فإذا ضربت كلباً بحجر هجم عليك وأراد أن يعضك، لم يقبل على الحجر وينتقم منه، كذلك إذا ضرب سائق بعيراً وهاج البعير، لم يثر على الهراوة التي ضرب بها، إنما يثور على الجمال المسرف في ضربه، فعار عليك أيها الإنسان العاقل أن تضرب في فهم هذه الحقيقة وتعجز عن إدراكها).

ويقول أخيراً: (إن الإنسان لا يجهل هذه الحقيقة، لكنه يتعامى عنها لأجل مصلحته وهواه وشهوته، شأن الصائم الذي يتحقق طلوع الصباح الصادق، لكنه يصرف وجهه عن النور ويغلق عليه الباب فيستمر في التسحر والأكل والشرب [(١)])!.

٢) الشيخ محمد عبده [(٢)] :

ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله قول الشيخ محمد عبده في عقيدة القضاء والقدر وذلك في رسالة التوحيد [(٣)] فقال:

(.. كما يشهد العقل والحواس من نفسه أنه موجود ولا يحتاج في ذلك إلى دليل يهديه، ولا معلم يرشده، كذلك يشهد انه مدرك لأعماله الاختيارية، يزن نتائجها بعقله، ويقدرها

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. صـ٧٧-٨٨.

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله. من آل التركماني المولود(١٢٦٦هـ ١٨٤٩م المتوفى ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م) مفتي الديار المصرية. ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. قال أحد من كتبوا عنه: (تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد. ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة) . ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة) وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة. وتعلم بالجامع الأحمدي. بطنطا. ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم. وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها. وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنكليز مصر ناوأهم. وشارك في مناصرة الثورة العرابية. فسجن ٣ أشهر للتحقيق. ونفي إلى بلاد الشام. سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١) وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر. فعاد سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨) وتولى منصب القضاء. ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف. فمفتيا للديار المصرية (سنة ١٣١٧ هـ واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية. ودفن في القاهرة. له تفسير القرآن الكريم . لم يتمه. ورسالة التوحيد والرد على هانوتو ورسالة الواردات في الفلسفة والتصوف وحاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية وشرح نهج البلاغة وشرح مقامات البديع الهمذاني والإسلام والرد على منتقديه و (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية " انظر : الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٢) و رسالة التوحيدص(٥) لمحمد عبده بن حسن خير الله (المتوفى: ١٣٢٣هـ) الناشر: دار الكتاب العربي.

(٣) رسالة التوحيد هي كتاب في العقيدة من جزء واحد ألفه محمد عبده بن حسن خير الله (المتوفى: ١٣٢٣هـ) ونشرته : دار الكتاب العربي سنة (١٩٦٦) .

بإرادته، ثم يصدرها بقدرته، ويعد إنكار شيء من ذلك مساوياً لإنكار وجوده من مجافاته لبداهة العقل.

وكما يشهد ذلك في نفسه يشهده في بني نوعه كافة متى كانوا مثله في سلامة العقل والحواس، ومع ذلك فقد يريد إرضاء خليل فيغضبه، وقد يطلب حظاً من كسوة أو رزق فيفوته، وربما سعا إلى منجاة فسقط في مهلكه، فيعود مرة مرشداً له في أخرى، فيعاود العمل من طريق أقوى، وبوسائل أحكم، ويتقد غيظه على من حال بينه وبين ما يشتهي، إن كان سبب الإخفاق في المسعى منازعة منافس له في مطلبه، لوجدانه مع نفسه أنه الفاعل في حرمانه فينبري لمناضلته، وتارة يتجه إلى أمر أسمى من ذلك إن لم يكن لتقصيره، أو لمنافسة غيره، دخل فيما لقي من مصير عمله: كأن هب ريح فأغرق بضاعته، أو نزلت صاعقة فأحرقت ماشيته، أو علق أمله بمعين فمات، أو بذى منصب فعزل، يتجه من ذلك إلى أن في الكون قوة أسمى من أن تحيط بها قدرته، وأن وراء تدبيره سلطاناً لا تصل إليه سلطته، فإن كان قد هداه البرهان وتقديم الدليل إلى أن حوادث الكون بأسره مستندة إلى واجب وجود واحد يصرفها على مقتضى علمه وإرادته خشع وخضع، ورد الأمر إليه فيما لقى، ولكنه مع ذلك لا ينسى نصيبه فيما بقى، فالمؤمن كما يشهد بالدليل وبالعيان أن قدرة مكون الكائنات أسمى من قوى الممكنات، يشهد بالبداهة أنه في أعماله الاختيارية ـ عقلية كانت أو جسمانية ـ قائم بتصريف ما وهب الله من المدارك والقوى، فيما خلقت لأجله.

وقد عرف القول شكر الله على نعمه، فقالوا: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله.

على هذا قامت الشرائع، وبه استقامت التكاليف، ومن أنكر شيئاً منه فقد أنكر مكان الإيمان من نفسه، وهو عقله الذي شرفه الله بالخطاب في أوامره ونواهيه [1]).

٣) المشير أحمد عزت[2]:

لقد ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله قول المشير أحمد عزت في عقيدة القضاء والقدر إذ يقول في كتاب الدين والعلم :

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. صـ٩٠،٩١.

(٢) المشير أحمد عزت المولود سنة ١٨٦٤م المتوفى ١٩٢١م ، وهو: أحد قواد الدولة العثمانية البارزين في أكثر من جانب ، من حيث الجانب العسكري ، والجانب الثقافي. انظر مقدمة كتابه (الدين والعلم) بقلم مترجمه إلى العربية عبد العزيز عزت(ص١٣).طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة لعام١٣٦٧هـ١٩٤٨م

(.. والاعتقاد بالقدر ركن من الإيمان عند أهل السنة، واعتقد أن كل امرئ يفكر بعناية في صفحات حياته ويتأملها يحس كونه خاضعاً لتصريف أعلى.

يسعى رجل في عمل من الأعمال متوسلاً بضروب من التدابير، غير أنه كلما زاد سعياً زاد هدفه عنه بعداً.

ثم يفتح له باب الفرج بيسر لم يكن له في الحسبان!

ويبتلى بالفقر والمسكنة رجل قد عرف بين الناس بالدراية والكفاية، ويعجز عن سبيل النجاة...!، ويفوز ذو جهل وغباء بنعم ومراتب، وثروة ورواتب، فهل تحمل هذه الحالة ـ وهي تتكرر دائماً وتغلب التدبير والذكاء ـ على الصدفة وحدها؟

إن امرأً باحثاً في حياته وحياة البيئة التي يعيش فيها بحثاً دقيقاً، يفهم أن هذه الحال مع عدم خضوعها لنظام يمكن فهمه، ليست أثر صدفة محضة كذلك. فيحكم بضعفه أمام إرادة غيبية قاهرة.

ومن جهة أخرى نقول: إن السعي والتدبير لا بد منهما للحياة.

لكن في الناس من فاز بدولة كبرى بسبب تافه، كما أن منهم من أضاع ما في بيته من برغل وهو ذاهب إلى دمياط للحصول على الأرز!!!

غير أن من لا يسعى إلى مخبز لشراء خبز، منتظراً إياه من القدر، لا بد أن يموت جوعاً.

لقد حدثت الاختلافات بين مفكري المسلمين من تظاهر هذين النقيضين.

فأما الأغلبية من علماء المسلمين [١]، فحلوا هذه المشكلة بأن المخلوقات والحادثات كلها تابعة للإرادة الكلية الإلهية، ومنقادة لها، ولكن الله منح الإنسان إرادة جزئية، لتكون له دليلاً يميز به الخير من الشر، والحسن من القبيح.

وأما الفريق الآخر [٢] فقد وضع نصب عينيه أمر مسئولية البشر المعنوية، وتصدى لإنكار القدر جملة، مدعياً بأن العبد خالق لفعله، وتعامى عن عجزه أمام ما يصادفه من العقبات في حياته، وتغافل عن الشكر لما ينال من العون، ومال إلى طريق التكبير والاعتزال،

---

(١) يقصد بهم الأشاعرة .

(٢) يقصد بهم المعتزلة .

وكان الباعث على انتحال هذا الرأي هو ظنهم بأنه لو كان في أفعال الإنسان حافز معنوي سوى إرادته الذاتية لكان الجزاء والعقاب الموعود بهما في الآخرة مغايرين للعدالة.

وقال فريق آخر من الناس[1] .. كل شيء بيد القدرة الإلهية، والإنسان خاضع للمشيئة، وكل أفعاله مقدر ومكتوبة في اللوح المحفوظ منذ القدم

فسلبوا الإنسان الإرادة الجزئية ودفعوا البشرية للاستسلام والعطل في هذه الدنيا، وأسندوا الظلم إلى الله العادل، إن لم يكن صراحة فضمناً، من أجل الجزاء الأخروي، وقد نشأ هذا الرأي من خشية الوقوع في الشرك، لو قلنا بتعارض الإرادة البشرية والمراد الإلهي، في حين أن البشر مجبولون على خاصة تمييز الخير والشر، والإنسان مأجور أو مسئول عن أفعال الخير والشر في الدنيا والآخرة.

ويمكن تشبيه الإرادة الجزئية البشرية بما يعطي عامل من سلطة، فكما أن هذه السلطة لا تسقط حق الرئيس الأعلى، ولا تخل بشرفه وسلطانه، فإنما معاقبة من يسيء استعمال هذه السلطة لا تخالف العدالة كذالك.

وعبارة (الأعمال مكتوبة في اللوح المحفوظ): تدل على كون العلم الإلهي سابقاً، ولا يجوز تصور ألواح في حضرة الله شبيهة بالألواح المستعملة في المدارس، فإن العلم الإلهي غير متناه في السعة والزمان، وكل مقدار محدد صفر بالنسبة لغير المتناهي، فيلزم أن يكون عمر الإنسان بل حتى عمر هذه الأرض، لحظة غير منقسمة في الحضرة الإلهية، وبعض الناس يكشف المستقبل القريب بالاستدلال، فكون عمر بني آدم معلوماً لعلام الغيوب ومسبب الأسباب، بل حتى أعمار كافة الآثار والأحداث والأحوال المترتبة على كثير من الأسباب والعلل، ليس ما يستحق إتعاب الذهن وتعذيب الوجدان، ليست الإرادة الجزئية البشرية قادرة على تجاوز حدود النية والاختيار والسعي والتدبير، وفي اقترانها بالفعل يظهر تأثير قوة خفية ميسرة أو عائقة، وهذه القوة الخفية هي ما يسمى القدر في ديننا.

فسواء اقترن سعي المرء بنتيجة أو لم يقترن فهو مستفيد أو متضرر، مثاب أو معاقب، على حسب حسن نيته أو سوئها: « إنما الأعمال بالنيات »[2]).

---

(١) يقصد بهم أهل السنة من السلف .

(٢) العلم والدين ص(٩٩-١٠١) لأحمد عزت . ترجمة حمزة طاهر . راجعه عبد الوهاب عزام . الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٠م .

وقد رد الشيخ الغزالي رحمه الله على فهم المستشرق "جولد تسيهر[١] " لعقيدة القضاء والقدر:

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (نرى لزاماً علينا أن نقف هنا قليلاً لننفخ غباراً حاول هذا المستشرق أن يلقيه على النصوص الواردة في عقيدة القضاء والقدر، ومسألة حرية الإرادة الإنسانية، فقد كتب نحو عشر صفحات ابتداءاً من "ص٨٨" حاول فيها جاهداً أن يبرز النصوص القرآنية وكأنها متضاربة متناقضة، وزاعماً أن هذه الآيات خدمت المذاهب المتعارضة على سواء.![٢]).

وقال: (وزعم هذا المستشرق أن هناك آيات مكية تتجه للاختبار، وآيات مدنية تتجه للجبر: زعم فارغ لا أساس له!!.

لكن "جولد تسيهير" حريص على اتهام القرآن بالتناقض!

ولا بأس أن نثبت هنا دليلاً له يعتبر ـ كما سيرى القارئ ـ نكتة مضحكة، فاسمع إليه يقول: "أمكننا أن نثبت أن القرآن يمكن اتخاذه سنداً لأشد وجهات النظر تعارضاً في مسألة من أهم المسائل في الأخلاق الدينية!، وكان من حسن الحظ أن الأستاذ "هوبرت جريمة[٣] " الذي نعق كثيراً ـ في جد ـ في تحرير علم الكلام القرآني قد وجد إيضاحاً منيراً يمكن أن يخرجنا من هذه الحيرة والتيه، لقد رأى أن المذاهب المتعارضة والمتضادة الذي عرضها محمد في مسألة حرية الإرادة والقدرة ترجع إلى أزمان مختلفة من نشاطه النبوي، وتتفق والتأثيرات التي أوحتها إليه الظروف المختلفة في كل فترة من الفترات، ففي الأزمان الأولى للعصر المكي كان يقبل تماماً حرية الاختيار والمسئولية، ولكن في المدينة أخذ يتوغل شيئاً فشيئاً في مذهب الجبر، والتعاليم أكثر جبرية ترجع إلى الفترة الأخيرة.

---

(١) مستشرق. مجري. يهودي. ولد في مدينة أشتولفيسنبرج في بلاد المجر في ١٨٥٠/٦/٢٢ م من أسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير. أثّر على شخصيته وتكوينها النفسي والعلمي أمران :

أولاً: انتمائه إلى بلاد المجر التي كانت آنذاك جزءً من الإمبراطورية النمساوية .

ثانياً:انتمائه إلى أسرة يهودية كان لها حظاً من المكانة في الحياة الاجتماعية. له عناية باللغة العربية عامة والإسلامية الدينية خاصة . وكانت وفاته في ١٩٢١/١١/١٣ م في بودابست.انظر: موسوعة المستشرقين ص(١٩٧) د. عبد الرحمن بدوي . دار العلم للملايين . بيروت .

(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. ص٨٥.

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

هل هذه الملاحظة صحيحة؟ هل القرآن المكي يتجه نحو حرية الإرادة على عكس ما نزل بالمدينة؟أمامنا القرآن نفسه، ننظر فيه ونحكم.

إن ما نزل بمكة يتضمن المعنيين على سواء: ما يدل على ناحية الجبر وما يدل على ناحية الاختيار.

فسورة الكهف فيها: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ ﴾[الكهف:٢٩]. وفيها أيضا:﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ ﴾[الإسراء:٩٧]. بل إن المعنى الموهم للجبر المطلق .كما يفهم المستشرق . تكرر حرفياً في القرآن النازل بمكة، النازل بالمدينة، ففي سورة المدثر المكية:﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾[المدثر:٣١]. وفي سورة البقرة المدنية:﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[البقرة:٢٦]. ويتبين من هذا السرد أن وصف القرآن المكي يقرر حرية الإرادة، أو وصف القرآن المدني بأنه ينعطف نحو الجبر.. كلام فارغ ، ولكن "جولد تسيهر" يصف هذا الكلام بأنه عميق وجد.. فيما يكون اللغو إذن وما يكون العبث؟؟

القرآن في نظمه ومعناه، وفي أسلوبه ومرماه، لا يختلف مكيه عن مدنيه في شيء، فآخره يصدق أوله وأوله يمهد لآخره، وهذا التفريق لسخافات المستشرقين، المفتونين، وقد وصف القرآن الإنسان بأنه يهتدي بنفسه لأنه سبب فعال، وكائن مختار، ووصفه بأنه يهدي بربه، لأنه ليس خلاف للظروف التي تعينه، والوسائل التي تبلغه هدفه.

وكلا الوصفين حق، يجب أن يعرفه الناس في كل مكان، دون توهم خلاف أو مناقضة.

والسيد "جولد تسيهر" يزعم بأن محمداً أحس ما في وحيه من تناقض، فصرف أتباعه عن تعبقه في ذلك، بأن نهاهم عن اتباع المتشابه!

ويؤسفنا أن نقول بأن الرجل يكذب عامداً.. فهو يعلم أن المتشابه في القرآن هو ما تعرض لحقائق مغيبة يعجز البشر عن إدراك كنهها) [(١)].

---

(١) دفاع عن العقيدة ضد مطاعن المستشرقين. ص ٩٥.

نـــــقد

توجد عدة مآخذ على مسألة القدر عند الشيخ الغزالي رحمه الله وأهمها:

١) ذهب الشيخ الغزالي رحمه الله إلى أن مراتب القدر هي : العلم والإرادة [(١)] ، وهو بهذا يخالف مذهب السلف في مراتب القدر حيث ذكروا أن مراتب القدر أربعة وهي :

١. العلم. ٢. الكتابة. ٣. المشيئة. ٤. الخلق .

قال ابن جبرين [(٢)] : (فأهل السنة يؤمنون بمراتب القضاء والقدر الأربع الثابتة في الكتاب والسنة، وهي:

١-علم الله المحيط بكل شيء، وأنه تعالى عالم بما كان وما سيكون، وبما سيعمله الخلق قبل أن يخلقهم.

٢-كتابة الله تعالى لكل ما هوكائن في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

٣-مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن كل ما يقع في هذا الوجود قد أراده الله قبل وقوعه.

٤-أن الله خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه" [(٣)]) .

---

(١) انظر : ص(٢٩١).

(٢) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين من آل رشيد وهم فخذ من عطية بن زيد وبنو زيد قبيلة مشهورة بنجد كان أصل وطنهم مدينة شقراء ثم نزح بعضهم إلى بلدة القويعية في قلب نجد ولها البحث المقدم لنيل درجة الماجستير في عام ١٣٩٠هـ (أخبار الآحاد في الحديث النبوي) وقد حصل على درجة الامتياز رغم إنه كتبه في مدة قصيرة ولم تتوفر لديه المراجع المطلوبة وقد طبع عام ١٤٠٨هـ في مطابع دار طيبة ثم أعيد طبعه مرة أخرى وهو موجود مشهور ولم يتيسر له التوسع فيه قبل طبعه لاحتياجه إلى مراجعة وتكملة . وقد حمله على الكتابة فيه محبة الحديث وفضله وما رآه في كتب المتكلمين والأصوليين من عدم الثقة بخبر الواحد سيما إذا كان متعلقا بعلم العقيدة وقد رجح قبوله في الأصول كالفروع. توفي في رجب ١٤٣٠ هـ.

(٣) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ١٣) لعبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين . الناشر: مكتبة الرشد الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ. وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٤١) لنخبة من العلماء. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية . الطبعة: الأولى. ١٤٢١هـ.

٢) يرى الشيخ الغزالي رحمه الله أن الإنسان مجبور مختار[(١)] إلا إنه يرى في اختيار الإنسان بأنه السبب في أغلب السيئات التي تصيبه وله كسب واكتساب في الأشياء[(٢)] .

فالإنسان عنده له إرادة حرة وله كسباً واكتساباً ، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف:٢٩].وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يونس:١٠٨].وما قاله الشيخ الغزالي رحمه الله بأن الإنسان مجبور مختار يتفق مع ما ذهب إليه الأشاعرة كما نقل ذلك التفتازاني[(٣)] عن المحققين منهم إذ يقول : (ذهب الْمحققون إلى أن المآل هو الجبر وإن كان في الحال الاختيار وأن الإنسان مضطر في صورة مختار[(٤)]) ، كما بين ذلك الدكتور سفر الحوالي في كتابه منهج الأشاعرة : (أراد الأشاعرة هنا ـ القدر ـ أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية فجاءوا بنظرية الكسب وهي في مآلها جبرية خالصة؛ لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير، أما حقيقتها النظرية الفلسفية فقد عجز الأشاعرة أنفسهم عَن فهمهما فضلا عن إفهامها لغيرهم[(٥)]).

ثم قال : (ولهذا قال الرازي الذي عجز هو الآخر عن فهمها: "إن الإنسان مجبور في صورة مختار".. إلى أن قال : والحاصل أنهم ـ الأشاعرة ـ في هذا الباب خرجوا عن المنقول والمعقول ولم يعربوا عن مذهبهم فضلا عن البرهنة عليه[(٦)]) وبهذا يتضح لنا أن الغزالي رحمه الله قد خالف السلف رضوان الله عليهم في هذا ، حيث المنقول عن السلف كما قال ابن أبي العز الحنفي : (الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد. قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر:٤٩] وقال تعالى: ﴿

---

(١) انظر : ص(٢٩٠) .

(٢) انظر : ص(٢٩٤) .

(٣) سبق ترجمته. صـ٢٠٩.

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام (١٢٩/٢) لسعد الدين التفتازاني . الناشر: دار المعارف النعمانية – باكستان. الطبعة: الأولى. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٥) منهج الأشاعرة في العقيدة (٨٣/١) للدكتور سفر الحوالي. الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة: السنة السادسة عشرة. العدد الثاني والستون ربيع الآخر- جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٦) المصدر السابق (٨٤/١) .

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[الفرقان:٢] وأن اللّه تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كونا، ولا يرضاه دينا[١]) .

وقال ابن قدامة : (ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾[الأنبياء:٢٣]. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[القمر:٤٩] [٢]).

وقال محمد بن الحسين الآجري[٣] : (فإن سائلا سأل عن مذهبنا في القدر؟ فالجواب في ذلك قبل أن نخبره بمذهبنا أنا ننصح للسائل، ونعلمه أنه لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من سر الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله عز وجل، وما أشركت أمة حتى يكون بدو أمرها وشركها: التكذيب بالقدر[٤] ».

وقال أيضا: (ولولا أن الصحابة رضي الله عنهم لما بلغهم عن قوم ضلال شردوا عن طريق الحق، وكذبوا بالقدر، فردوا عليهم قولهم، وسبوهم وكفروهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان سبوا من تكلم بالقدر وكذب به ولعنوهم ونهوا عن مجالستهم، وكذلك أئمة المسلمين ينهون عن مجالسة القدرية وعن مناظرتهم وبينوا للمسلمين قبيح مذاهبهم فلولا أن هؤلاء ردوا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٥/١) لابن أبي العز الحنفي.

(٢) لمعة الاعتقاد (ص: ٢٣).

(٣) هو: الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشّريف، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادِي الآجري . قال الخطيب : كان دينا ثقة . له مصنفات منها: الشريعة في السنة والرؤية والغرباء والأربعين وآداب العلماء وغيرها. مات بمكة في المحرم سنة ستين وثلاث مائة.انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(٢١١/١٢).الأعلام للزركلي(٩٧/٦).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم(١٤٥٦٧) المعجم الكبير للطبراني المجلدان الثالث عشر والرابع عشرللطبراني. تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم(٣٣٩٨) .

على القدرية لم يسع من بعدهم الكلام على القدر، بل الإيمان بالقدر: خيره وشره، واجب قضاء وقدر، وما قدر يكن، وما لم يقدر لم يكن، فإذا عمل العبد بطاعة الله عز وجل، علم أنها بتوفيق الله له فيشكره على ذاك وإن عمل بمعصيته ندم على ذلك، وعلم أنها بمقدور جرى عليه، فذم نفسه واستغفر الله عز وجل، هذا مذهب المسلمين وليس لأحد على الله عز وجل حجة، بل لله الحجة على خلقه، قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٩].

ثم ذكر الآجري مذهبه في القدر فقال: (إن الله عز وجل خلق الجنة وخلق النار، ولكل واحدة منهما أهلا، وأقسم بعزته أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، ثم خلق آدم عليه السلام، واستخرج من ظهره كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة ثم جعلهم فريقين فريقا في الجنة وفريقا في السعير وخلق إبليس، وأمره بالسجود لآدم عليه السلام، وقد علم أنه لا يسجد للمقدور، الذي قد جرى عليه من الشقوة التي قد سبقت في العلم من الله عز وجل، لا معارض لله الكريم في حكمه، يفعل في خلقه ما يريد عدلا من ربنا قضاؤه وقدره، وخلق آدم وحواء عليهما السلام، للأرض خلقهما، وأسكنهما الجنة، وأمرهما أن يأكلا منها رغدا ما شاءا، ونهاهما عن شجرة واحدة أن لا يقرباها، وقد جرى مقدوره أنهما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة، فهو تبارك وتعالى في الظاهر ينهاهما، وفي الباطن من علمه: قد قدر عليهما أنهما يأكلان منها:﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.[الأنبياء:٢٣] [1]).

ونقل النووي عن أبي المظفر السمعاني[2] قوله : " سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب، لأن القدر سر من أسرار الله تعالى، التي ضربت من دونها الأستار اختص الله به وحجبه عن عقول الخلق وعارفهم لما علمه من الحكمة، وواجبنا أن نقف حيث حد لنا ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى علم القدر على

---

(١) الشريعة للآجري (٢/٢٠٧) لأبي بكر الآجري. بتحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي . الناشر: دار الوطن – الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية. ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

(٢) أبو المظفر السمعاني هو: الإمام العلامة. مفتي خراسان. شيخ الشافعية. أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي. السمعاني. المروزي. الحنفي كان. ثم الشافعي. ولد سنة٤٢٦هـ . تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة. وكان شوكا في أعين المخالفين. وحجة لأهل السنة. له مصنفات منها : كتاب الاصطلام. وكتاب البرهان. والأمالي في الحديث . وكتاب المنهاج لأهل السنة. وكتاب "القدر وغيرها . توفي سنة تسع وثمانين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٤/ ١٥٥-١٥٦).

العالم فلم يعلمه من نبي مرسل ولا ملك مقرب، وقيل: إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها والله أعلم[1]).

ويقول ابن جبرين[2] : (هدى اللهُ أهلَ السنة والجماعة للقول الحق ، فأثبتوا أن العباد فاعلون حقيقة، وأن أفعالهم تُنسب إليهم على جهة الحقيقة، وأن فعل العبد واقع بتقدير الله ومشيئته وخلقه، فالله تعالى خالق العباد وخالق أفعالهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[فصلت:٩٦]. كما أن للعباد مشيئة تحت مشيئة الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التكوير:٢٩] ومع ذلك فقد أمر الله العباد بطاعته، وطاعة رسله، ونهاهم معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين،ولا يرضى عن الفاسقين،وقد أقام الله الحجة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب،فمن أطاع أطاع عن بينة واختيار، فيستحق الثواب الحسن،ومن عصى عصى عن بينة واختيار،فيستحق العقاب ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦] [3] .

ويفهم من النصوص السابقة أن الله تعالى له إرادة ومشيئة ، وللعبد إرادة ومشيئة ، ولكن مشيئة العبد وإرادته لا تخرج عن إرادة الله ومشيئته ، فإن الإنسان حيئذ مجبور في أمور ، ومختار في أمور أخرى.

٣) ما ذكره الشيخ الغزالي رحمه الله بأن ظواهر الجبر مرفوضة عند علماء الإسلام وأمامنا أمران لا ثالث لها [4] :

(إما صرف هذه الظواهر إلى تأويل قريب مقبول! وإما اعتبارها آثاراً بها علة قادحة تسقطها عن درجة الصحة، فإيرادها في مجال التربية والتعليم لا يجوز.

وقد استطعت بشيء من التناول العقلي أن أصرف شبهة الجبر عن آثار شتى لكني لم أستطع إصلاح عقول تريد أن تسوق الإسلام كله إلى أحاديث غير واضحة، تظهر عليها العلل القادحة [5]).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٩٦).

(٢) سبق ترجمته. ص٣٢٩.

(٣) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ١٣) .

(٤) انظر: ص(٢٩٨).

(٥) انظر: ص٣٢٩.

٣-	وما ذكره الغزالي رحمه الله لا يتفق مع السلف رضوان الله عليهم حيث :

يرد عليه في قوله " آثارا بها علة قادحة " بأن هذه الأحاديث أغلبها في الصحيحين وهي أحاديث تلقتها الأمة بالقبول، وعلماء الحديث قد شرحوا هذه الأحاديث بشيء يزيل اللبس والإشكال، ورفضوا القول بالجبر، فلماذا نقول: إن بها علة قادحة، ثم لماذا يثير الشيخ هذه القضايا المرتبطة بالقضاء والقدر ويلبس به على العوام؟ مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا ذكر القدر فامسكوا [(١)] » فمسألة القدر قد تعلو على أفهام كثير من القراء وأنصاف المثقفين، ولا يجوز أن تثار هذه القضايا إلا في حدود ضيقة جدا ومع أولي العلم لا مع كل الناس [(٢)]).

. مناقشة الشيخ الغزالي رحمه الله في أحاديث زعم أن ظاهرها الجبر :

وفيما يلي أذكر كلام العلماء على الأحاديث التي زعم الشيخ الغزالي رحمه الله أن ظواهر الجبر فيها مرفوضة عند علماء الإسلام وهي:

أولاً: حديث عائشة رضى الله عنها قالت دعى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جنازة غلام من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا! عصفور من عصافير الجنة، لم يدرك الشر، ولم يعمله! قال:«أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله عز وجل خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم [(٣)] » .

قال النووي: (أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفاً، وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا، وأجاب العلماء بأنه لعلة نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع...

(١) مسند الحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث برقم(٧٤٢) والإبانة الكبرى لابن بطة برقم(١٢٧٥). والبيهقي في القضاء والقدر برقم (٤٤٤) ثم قال : (تفرد به مسهر بن عبد الملك بإسناده هذا ، وروي عن ابن مسعود ، وجابر ، وثوبان كذلك مرفوعا ، وفي أسانيده ضعف).انظر: القضاء والقدر للبيهقي . باب ماورد من النهي عن مجالسة القدرية (١/٢٩١) تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر. الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض / السعودية. الطبعة: الأولى. ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م. وقال الألباني في السلسة الصحيحة (١/٧٥) حديث رقم(٣٤) : (روي من حديث ابن مسعود. وثوبان. وابن عمر. وطاووس مرسلا. وكلها. ضعيفة الأسانيد. ولكن بعضها يشد بعضا) .

(٢)موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الشيخ الغزالي رحمه الله من السنة النبوية.

(٣) المحاور الخمسة. ص٤٤.

ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة، فلما علم قال ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: «ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الجنة بفضل رحمته إياهم [(١)] » وغير ذلك من الأحاديث والله أعلم.

وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب، قال الأكثرون: هم في النار تبعاً لآبائهم، وتوقفت طائفة فيهم، والثالث هو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة [(٢)]).

فقوله صلى الله عليه وسلم هذا القول لعائشة لينهاها عن المسارعة إلى القطع بدون دليل، أو قبل أن يعلم صلى الله عليه وسلم أن الأطفال في الجنة، ومما ينبغي أن يعلم أن كل امرئ مهيأ لما خلق له، وفي حديث« اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة [(٣)] »إشارة إلى أن المآل محجوب عن المكلف فعليه أن يجتهد في عمل ما أمر به فإن عمله أمارة إلى ما يؤول إليه أمره غالباً، وإن كان بعضهم قد يختم له بغير ذلك كما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره، لكن لا اطلاع له على ذلك فعليه أن يبذل جهده ويجاهد نفسه في عمل الطاعة لا يترك وكولاً إلى ما يؤول إليه أمره فيلام على ترك المأمور ويستحق العقوبة، وقد ترجم ابن حبان [(٤)] بحديث الباب ما يجب على المرء من التشمير في الطاعات وإن جرى قبلها ما يكره الله من المحظورات) [(٥)] .

ثانياً: حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار' فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة [(٦)] [(٧)] »).

لقد ذكر ابن حجر عدة فوائد عند تعليقه على هذا الحديث أذكر منها قوله: (وفيه أن عموم مثل قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧]. مخصوص بمن مات على

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز . باب ما قيل في أولاد المسلمين . (٤٦٥/١) برقم (١٣١٥) عن أنس.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٨/١٦،٢٠٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير . باب قوله تعالى: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} (٢٧٤٥/٦) برقم (٧١١٢)، ومسلم في كتاب القدر . باب كيفية الخلق لآدم (٢٠٤١/٤) برقم (٢٦٤٩) كلهم عن عمران بن حصين.

(٤) صحيح ابن حبان (٤٣/٢).

(٥) فتح الباري (٤٩٣/١١).

(٦) المحاور الخمسة. ص٤٤.

(٧) سبق تخريجه. ص٩٢. في المذكرة.

ذلك، وأن من عمل السعادة وختم له بالشقاء فهو في طول عمره عند الله شقي وبالعكس، وما ورد ما يخالفه يؤول إلى أن يؤول إلى هذا، وقد اشتهر الخلاف في ذلك بين الأشعرية والحنفية بمثل قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[الرعد:٣٩].

وأكثر كل من الفريقين الاحتجاج لقوله.

والحق أن النزاع لفظي وأن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدوا للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما فيه علم الحفظة والموكلين بالآدمي، فيقع فيه المحو والإثبات والعلم عند الله، قال: وفيه أن في تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق، فالسابق ما في علم الله، واللاحق ما يقدر على الجنين في بطن أمه كما وقع في الحديث، وهذا هو الذي يقبل النسخ، وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمر مرفوعاً « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة [1] »

فهو محمول على كتابة ذلك في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم الله سبحانه وتعالى، وفيه أن الأعمال سببا لدخول الجنة أو النار، ولا يعارض ذلك حديث: «لن يدخل الجنة أحداً منكم الجنة عمله [2] » .

فحديث: « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » المنفي في الحديث دخولها بالعمل المجرد عن القبول، والمثبت في الآية [3] دخولها بالعمل والقبول إنما يحصل برحمة الله فلم يحصل الدخول إلا
برحمة الله [4]).

وقال ابن حجر أيضا: (وفيه الحث على الاستعاذة بالله تعالى من سوء الخاتمة، وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف، وأما ما قاله عبدالحق في كتاب العاقبة [5] : (إن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه، وصلح ظاهره، وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب، ويكثر

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٤)حديث رقم(١٦).

(٢) فتح البارئ (١١/٤٨٨).

(٣) الآية هي: {وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون}[الزخرف:٧٢].

(٤) فتح الباري (١/٧٨) .

(٥) عبد الحق هو: الإمام. أبو محمد: عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي. الأزدي. المتوفى: سنة ٥٨٢هـ . وكتابه:(العاقبة في البعث).

وقوعه للمصر على الكبائر والمجترئ على العظائم فيهجم عليه الموت بغتة فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، فقد يكون ذلك سبباً لسوء الخاتمة نسأل الله السلامة، فهو محمول على الأغلب[1]).

ثالثاً: حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله خلق خلقه في ظلمه فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جفَّ العلم على علم الله[2] »[3]).

قد أجاب بدر العيني على هذا الإشكال فقال : (وجفاف القلم عبارة عن عدم تغيير حكمه لأن الكاتب لما أن جف قلمه عَن المداد لا تبقى له الكتابة كذا قاله الكرماني وفيه نظر لأن الله تعالى قال:﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾[الرعد:٣٩] فإن كان مراده من عدم تغيير حكمه الذي في الأزل فمسلم، وإن كان الذي في اللوح فلا والأوجه أن يقال: جف القلم، أي: فرغ من الكتابة التي أمر بها حين خلقه وأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فإذا أراد بعد ذلك تغيير شيء مما كتبه محاه كما قال:﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد:٣٩] قوله:«على علم الله»أي: حكم الله، لأن معلومه لا بد أن يقع وإلا لزم الجهل فعلمه بمعلوم مستلزم للحكم بوقوعه[4]).

رابعاً: حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه عند الموت: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لمن يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمع رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب! قال: يا رب ما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى يوم القيامة، يا بني إني سمعت رسول الله يقول: من مات على غير هذا فليس مني[5])!

---

(١) المرجع السابق . (٤٨٩/١١) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان . باب ما جاء في افتراق الأمة (٢٦/٥) برقم (٢٦٤٢) وقال حسن، والإمام أحمد في مسنده (١٧٦/٢) حديث برقم (٦٦٤٤).

(٣) المحاور الخمسة. ص٤٤.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري . باب جف القلم (١٤٧/٢٣) لبدر الدين العيني .

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب السنة . باب في القدر (٢٢٥/٤) برقم(٤٧٠٠) والترمذي في كتاب القدر . باب الرضا بالقدر (٤٥٧/٤) برقم (٢١٥٥).وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم(٨٩٠). انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته(٤٠٥/١) للألباني. الناشر: المكتب الإسلامي.

قال الشيخ الغزالي رحمه الله قبل ذكر هذا الحديث: جاء في القدر أحاديث كثيرة، نرى أنها بحاجة إلى دراسة جادة، حتى يبرأ المسلمون من الهزائم النفسية والاجتماعية التي أصابتهم قديماً وحديثاً..

وبعد أن ذكر هذا الحديث قال: وقد علق الشيخ محمد حامد الفقي [(١)] على الحديث ورواته بأن في السند متهماً بالوضع، ومتروكاً، ومنكر الحديث!! ومع ذلك فنحن مع تهافت الأسانيد نرى في المتن جملاً مقبولة تتلاقى مع دلالات القران القريبة والبعيدة، وتتفق مع العقيدة الصحيحة: وهي أن الله أحاط بكل شيء علماً، وأنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وعلينا بعد ذلك أن نكافح لنضع مستقبلنا في الدار الآخرة غير وانين ولا متقاعسين... [(٢)]).

أقول: ذكر ابن حجر حديث عبادة بن الصامت، وقال: (وفي الحديث أن الأقدار غالبة، والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد أن يفتر بظاهر الحال، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة، وسيأتي في حديث علي الآتي بعد بابين سؤال الصحابة عن فائدة العمل مع تقدم التقدير، والجواب عنه: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له [(٣)]).

(وظاهره قد يعارض حديث ابن مسعود المذكور في هذا الباب، والجمع بينهما حمل حديث علي على الأكثر الأغلب، وحمل حديث الباب على الأقل، ولكنه لما كان جائزاً تعين طلب الثبات [(٤)]).

وقد ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله اعتراض الفقي على الحديث فقال: (وقد علق الشيخ محمد حامد الفقي على الحديث ورواته بأن في السند متهماً بالوضع، ومتروكاً، ومنكر الحديث) [(٥)].

وحينها لا بد أن نقف مع رجال هذا الإسناد:

١. جعفر بن مسافر الهذلي، قال الذهبي: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: صدوق ربما أخطأ من الحادية عشرة مات سنة أربعة وخمسين ومائتين [(٦)].

---

(١) سبق التعريف به صـ٢٩٦.

(٢) السنة النبوية. صـ١٨٥-١٨٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير . باب فسنيسره لليسرى . حسب ترقيم فتح الباري (٦/ ٢١٢) حديث رقم (٤٩٤٩) ومسلم في كتاب القدر . باب كيفية خلق الآدمي(٨/٤٧) حديث رقم(٦٩٠٣) .

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/٤٩١).

(٥) انظر: صـ ٢٩٦ . ٢٩٧.

(٦) الثقات لابن حبان (٨/١٦١) طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالمية الهندية. الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ . ١٩٧٣م. الكاشف (١/٢٩٦)، تقريب التهذيب (صـ١٤١).

٢. يحيى بن حسان التنيسي، قال الذهبي: ثقة إمام رئيس، وقال ابن حجر: ثقة من التاسعة مات سنة ثمان ومائتين وله أربع وستون [١].

٣. الوليد بن رباح المدني، قال الذهبي، وابن حجر: صدوق من الثالثة مات سنة سبع عشرة [٢].

٤. إبراهيم بن أبي عبلة ـ بسكون الموحدة ـ واسمه شمر بكسر المعجمة ابن يقظان الشامي يكنى أبا إسماعيل، قال ابن حجر: ثقة من الخامسة مات سنة اثنين وخمسين [٣].

٥. أبو حفصة هو: حبيش بموحدة ومعجمة مصغر ابن شريح الحبشي، أبو حفصة الشامي، قال ابن حجر: تابعي، مقبول من الثالثة، ووهم من ذكره في الصحابة [٤].

٦. عبادة بن الصامت ـ صحابي.

الحكم على هذا الإسناد:

إسناده حسن لغيره، أما خطأ جعفر بن مسافر فمأمون لمجيء الحديث من طرق أخرى، فقد جاء عند الطيالسي من طريق: عبدالواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت [٥].

وأما أبو حفص فهو مقبول يعني حيث يتابع، وقد تابعه غير واحد منهم الوليد بن عبادة كما عند الترمذي، وأحمد، وأبو داود الطيالسي... وغيرهم، والحديث له شاهد عن ابن عباس أخرجه: الحاكم في المستدرك على الصحيحين ـ كتاب التفسير ـ (٤٩٢/٢) برقم (٢٦٩٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والربيع بن بن حبيب في مسنده (٣٠٢/١)، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتال الأوائل ـ باب أول ما فعل وما فعله (٢٥٩/٧) برقم (٣٥٨٧٣).

وله شاهد عن أن عمر أخرجه: الطبراني في مسند الشاميين (٣٩٧/٢) برقم (١٥٧٢).

---

(١) الكاشف (٣٦٣/٢) ـ تقريب التهذيب (٥٨٩/٢).

(٢) الكاشف (٣٥١/٢) ـ تقريب التهذيب (٥٨١/٢).

(٣) تقريب التهذيب. (٩٢/١).

(٤) تقريب التهذيب. (١٥٢/١).

(٥) مسند الطيالسي (٧٩/١).

فالحديث بمجموع طرقه وشواهد صحيح لغيره، ولذا فقد صححه كثير من العلماء، منهم العلامة الألباني[1]، والإمام الكتاني[2].

ولذا فأين المتهم بالوضع، والمتروك، والمنكر الحديث في هذا الإسناد.

خامساً: ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص قال: (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال:«أتدرون ما هذا الكتابان؟»فقلنا:لا،يا رسول الله إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا» ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا» فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال:« سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل[3]».

وقد قال الشيخ الغزالي رحمه الله قبل أن يورد هذا الحديث: (وبهذه السطحية رووا ما نعده وهماً في إدراك المقصود.. ثم قال: ومن هذا القبيل ثم ذكر هذا الحديث المذكر آنفاً، وقال بعد ذكره للحديث: والعبارات الأخيرة هي التي نريد التعقيب عليها، فهي في نظرنا من أوهام الراوي، ومخالفتها للكتاب والسنة الصحاح ظاهرة، فإن التيسير لليسرى يتم لمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى، ولا يتم لمن عمل أي عمل، وكذلك التيسير للعسرى لمن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، ولا يتصور البتة أن يكون ختام امرئ مخلص لربه مستغفر من ذنبه، وتوهين راو خالف النقل الثابت السند، والعدل السائغ هو مسلك أئمة السنة، فتعريف الحديث الصحيح بعد اتصال السند بالثقات، أن يكون خالياً من الشذوذ والعلة القادحة، وأي شذوذ أشد من مخالفة الآية، وأي قادح أقوى من مصادقة العدل؟[4]).

---

(١) صحيح مسند أبي داود رقم (٤٧٠٠)، وانظر حديث رقم (٢٠١٧) في صحيح الجامع.

(٢) حيث قال: وصح حديث أول ما خلق الله القلم، انظر المتناثر (١٧٢/١).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب القدر . باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار (٤٤٦/٤) برقم (٢١٤١) قال أبو عيسى :وهذا حيث حسن غريب صحيح . و أبو قبيل اسمه حيي بن هانئ. وقال الألباني: حسن . والإمام أحمد في مسنده (١٦٧/٢) برقم (٦٥٦٣)، والنسائي في السنن الكبرى .كتاب التفسير . باب سورة الشورى قوله تعالى:{فريق في الجنة وفريق في السعير}(١٠/ ١٠٢)حديث رقم (١١١٢٦) .

(٤) هموم داعية صـ١٠٦. ط: دار الحرمين للنشر ١٤٠٣هـ.

قال ابن رجب الحنبلي[1]: (وقد روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة وخرجه الطبراني من حديث علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم، وزاد فيه: «صاحب الجنة مختوم له بعمل أهل الجنة وصاحب النار مختوم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل، وقد يسلك بأهل السعادة طريق أهل الشقاوة حتى يقال: ما أشبههم بهم بل هم منهم وتدركهم السعادة فتنقذهم وقد يسلك بأهل الشقاوة طريق أهل السعادة حتى يقال: ما أشبههم بهم بل هم منهم وتدركهم الشقاوة من كتبه الله سعيداً في أم الكتاب[2]»)[3]. قال ابن حجر: وإسناده حسن[4].

والحديث ليس فيه ما يخالف الكتاب والسنة، أما عن معنى الحديث، فقد قال المباركفوري[5]: قوله: (ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟) بصيغة المجهول يعني إذا كان المدار على كتابه الأزل فأي فائدة في اكتساب العمل، فقال: «سددوا»أي اطلبوا بأعمالكم السداد والاستقامة، وهو القصد في الأمر والعدل فيه، «وقاربوا» أي اقتصدوا في الأمور كلها، واتركوا الغلو فيها، والتقصير، والجواب من أسلوب الحكيم أي فيم أنتم من ذكر القدر والاحتجاج به وإنما خلقكم للعبادة فاعملوا وسددوا قاله الطيبي[6] «فإن صاحب الجنة

---

(١) ابن رجب الحنبلي هو : عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي. أبو الفرج. زين الدين . ولد في بغداد سنة ست وسبعمائة . حافظ للحديث. من العلماء. وتوفي في دمشق سنة خمس وتسعين وسبعمائة. من كتبه:شرح جامع الترمذي وجامع العلوم والحكم في الحديث. وهو المعروف بشرح الأربعين وفضائل الشام والاستخراج لأحكام الخراج والقواعد الفقهية ولطائف المعارف وفتح الباري. شرح صحيح البخاري .انظر: الدرر الكامنة لابن حجر(١٠٨/٣) والبدر الطالع للشوكاني (٣٢٨)والأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٥).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ص: ٥٤١)حدبث رقم(٩٤٩)عن ابن عباس.

(٣) جامع العلوم والحكم (٥٦/٦).

(٤) فتح الباري لابن حجر : (٢٩١/٦).

(٥) ترجمة المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي :

هو : أبو العلاء محمد عبدالرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري

عالم مشارك في انواع من العلوم.

ولد في بلدة مباركفور من أعمال أعظمكره، ونشأ بها، وقرأ العلوم العربية والمنطق والفلسفة والهيئة والفقه وأصول الفقه على علماء كثيرين.

من مؤلفاته: السنن في مجلدين . توفي سنة ١٣٥٣هـ . انظر : معجم المؤلفين لعمر كحالة (**١٦٦/٥**).

(٦) الطيبي هو : الحسين بن محمد بن عبد الله. شرف الدين الطيبي .من علماء الحديث والتفسير والبيان.من أهل توريز. من عراق العجم. كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة. فأنفقها في وجوه الخير. حتى افتقر في آخر عمره. وكان شديد الرد على المبتدعة. ملازما لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم. آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة. متواضعا. ضعيف البصر. توفي سنة (٧٤٣). الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٦).

يختم له»بصيغة المجهول بعمل أهل الجنة أي بعمل مشعر بإيمانه ومشير بإبقائه، وإن عمل، أي: ولو قبل ذلك أي عمل من أعمال أهل النار، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار أعم من الكفر والمعاصي، وإن عمل أي عمل أي: قبل ذلك من أعمال أهل الجنة[1])

وعلى كل فمعنى الحديث أن الأعمال بالخواتيم. وحديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً[2] من أوضح الأدلة على ذلك.

سادسا: ما رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف:١٧٢]. فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه فأخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار[3] » .

قال الشيخ الغزالي رحمه الله بعد ذكر الحديث: (وهذا السياق يكاد أن يكون نصاً في الجبر، ولذلك نرفضه، ونراه من أوهام الرواة، بل نراه من الجهل بمعاني القرآن الكريم، فإن هذا التفسير المنسوب لعمر يسير في اتجاه مضاد للتفسير البديهي المفهوم من الآيات البينات، الآيات تقول للمشركين عن رب العزة: لا وجاهة لكم عندي، ليس لكم عذر قائم ولا حجة ناهضة، إنني منحتكم عقلاً يفكر وفطرة تبعث على التوحيد والاستقامة، وأنزلت ما يمنعكم من

---

(١) تحفة الأحوذي (٥/ ٤٢٩) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل. (٤/٢١١ حديث رقم ٣٤٧٠).ومسلم في كتاب التوبة . باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤/٢١١٨) برقم (٢٧٦٦) كلهم عن أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة . باب في القدر (٤/٢٢٦حديث رقم ٤٧٠٣)، والترمذي في كتاب التفسير . باب ومن سورة الأعراف (٥/٢٦٦حديث رقم ٣٠٧٥)، وقال حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر. وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا). والنسائي في السنن الكبرى . كتاب التفسير . باب قوله تعالى: {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهرهم ذريتهم} (١٠/ ١٠٢) . حديث رقم ١١١٢٦) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره. ومالك في الموطأ . باب النهي عن القول بالقدر(٢/ ٨٩٨حديث رقم(٢) .

تقليد الآباء الجهلة، فلماذا تجاهلتم هذه المعالم كلها؟ وهمتم على وجوهكم في طرق الشر والغواية، أفبعد هذا التفصيل والتوضيح تبعدون عني ولا ترجعون إلي؟، هذا هو تفسير الآيات كما ينقدح في ذهن كل عاقل، وكما يثبت لأول وهلة في فهم القارئ العادي[1]).

أولا: يرد على الشيخ الغزالي رحمه الله هنا بأن هذا الحديث الذي جعله نصا قد تكلم فيه العلماء وأبانوا عن حقيقة إسناده ،وما فيه من انقطاع ، وحكم عليه بعضهم بالحسن مع التنبيه على ما فيه من خلل وعلل كالإمام الترمذي إذ يقول: (حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا).

وقال أبو عمر ابن عبدالبر: (هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد لأن مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب وبينهما في هذا الحديث نعيم ابن ربيعة وهو أيضا مع هذا الإسناد لا تقوم به حجة[2]).

وقد حكم عليه الألباني بالضعف ، وبين أن ابن عساكر رواه من طريقين عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر ، ثم قال :(ونعيم بن ربيعة هذا لا يعرف كما قال الذهبي، وهو الرجل المجهول الذي أشار إليه الترمذي آنفاً، فهو علة الحديث[3]) ومع ذلك فإن الحديث له شواهد كثيرة تقويه ، لذلك صححه الحاكم في المستدرك وقال:(هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[4]).

قال ابن عبد البر: (وجملة القول في هذا الحديث أنه حديث ليس إسناده بالقائم لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعا غير معروفين بحمل العلم ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها من حديث عمر بن الخطاب وغيره جماعة يطول ذكرهم .

وروي هذا المعنى عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق وممن روى هذا المعنى في القدر عن النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وأبو سريحة الغفاري وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وذو اللحية الكلابي

---

(١) انظر السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. ص١٧٥.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣/٦) لابن عبد البر . تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب . عام النشر: ١٣٨٧ هـ .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء على الأمة (٧٢/٧) حديث رقم(٣٠٧١).

(٤) المستدرك على الصحيحين (٥٩٣/٢).

وعمران بن حصين وعائشة وأنس بن مالك وسراقة بن جعثم وأبو موسى الأشعري وعبادة بن الصامت وأكثر أحاديث هؤلاء لها طرق شتى[1]).

ثانياً: على فرض صحته ، فقد بين العلماء معناه بما ينبغي أن يفسر به ، فهذا أبو الوليد الباجي[2] يقول: (وقوله ﷺ (حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله ربه الجنة، وفي أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله ربه النار) يقتضي أن آخر عمل الإنسان أحق به، وعليه يجازى.

وفي حديث ابن مسعود ووجهه أنه إذا كان أول عمله سيئا، وآخره حسنا فقد تاب من السيئ وحكمه حكم التائبين ومن انتقل من العمل الصالح إلى السيئ فحكمه حكم المرتد، والمنتقل إلى الفسوق على ذلك يكون جزاؤه والله أعلم"[3] .

وقال النووي : (المراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم ثم أنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة وهو نحو قوله تعالى إن رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية لكن يختلفان في التخليد وعدمه فالكافر يخلد في النار والعاصي الذي مات موحدا لا يخلد فيها كما سبق تقريره وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها وأن من مات على شئ حكم له به من خير أو شر إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة والله أعلم[4]).

ويقول حمزة قاسم[5] : (دل الحديث على كتابة عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ولذلك فإن خاتمة الإنسان مرتبطة " قدراً " بما كتب عليه في بطن أمه، فالسعيد من

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٦/ ٦، ٧).

(٢) الإمام العلامة. الحافظ. ذو الفنون. القاضي.سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي. أبو الوليد الباجي ولد سنة ثلاث وأربع مائة . وتوفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة.من مصنفاته : إحكام الفصول في أحكام لأصول وشرح المنهاج وسبل المهتدين وسنن العابدين وغيرها.انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(١٤/٥٥) والأعلام للزركلي (٣/ ١٢٥).

(٣) المنتقى شرح الموطإ (٧/ ٢٠٣) لأبي الوليد الباجي. الناشر: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر . الطبعة: الأولى. ١٣٣٢ هـ

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٩٢).

(٥) هو الأستاذ الأديب والمربي حمزة بن محمد قاسم . ولد لرجل مدني مغربي الأصل كان يعمل خضري في المدينة المنورة، وذلك عام ١٣٤٤هجرية ، فنشأ على طلب العلم والأدب ، ودرس في الحرم وفي مدرسة العلوم الشرعية ، حتى تخرج وكان من رجال التعليم المشهورين في المدينة المنورة ،وهو من وجهاء المدينة المنورة ، وأحد أعضاء ندوة الأستاذ حسن

سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه، ولا شك أن هذه المقادير تكتب مرتين، مرة في اللوح المحفوظ قبل خلق الخلائق لما في حديث ابن عمر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة " أخرجه مسلم، والمرة الثانية في بطن أمه [(١)]).

ثم نقل عن ابن رجب قوله : (وقد روي عن ابن مسعود أن الملك إذا سأل عن النطفة أمر أن يذهب إلى الكتاب السابق، ويقال له: إنك تجد فيه قصة هذه النطفة. ثالثاً: وجوب الإيمان بالقدر، سواء تعلق بالأعمال أو بالأرزاق والآجال لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أخبرنا في هذا الحديث أن كل إنسان يكتب عليه قدره في بطن أمه [(٢)]).

. وعند حديث احتج آدم وموسى يقول: (وقد روى بعضهم قصة آدم مع موسى دليلا على جواز الاعتذار بالقدر، وهي كما رواها أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :«احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم، أنت أبونا أخرجتنا من الجنة! فقال له آدم: أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه خط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين عاما؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى [(٣)]».

قال الخطابي: (قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر من الله والقضاء منه معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم أن فلج آدم في الحجة على موسى إنما كان من هذا الوجه، وليس الأمر في ذلك على ما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه بما يكون من أفعال العباد وإكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها، والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر كما الهدم والقبض والنشر أسماء لما صدر عن فعل الهادم والقابض والناشر، يقال قدرت الشيء وقدرت خفيفة وثقيلة بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله عز وجل:﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾[فصلت: ١٢] أي خلقهن وإذا كان الأمر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم

الصيرفي الشاعر المدني المعروف. له كتاب منار القاري شرح مختصر البخاري وكتاب مخطوط في علم النفس الإسلامي .
توفي يوم الخميس ١٤٣١/١٠/٢٨هجرية .

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٤/ ١٥٤، ١٥٥) حمزة محمد قاسم راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة دار البيان. دمشق – الجمهورية العربية السورية. مكتبة المؤيد. الطائف – المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٥٤، ١٥٥).
(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٥٨) حديث رقم(٣٤٠٩).

تلك الأمور وملابستهم إياها عن قصد وتعمد وتقديم إرادة واختيار، فالحجة إنما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها.

وجماع القول في هذا الباب أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه، وإنما كان موضع الحجة لآدم على موسى صلوات الله عليهما أن الله سبحانه إذ كان قد علم من آدم أنه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك. وبيان هذا في قول الله سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] فأخبر قبل كون آدم أنه إنما خلقه للأرض وأنه لا يتركه في الجنة حتى ينقله عنها إليها وإنما كان تناول الشجرة سبباً لوقوعه إلى الأرض التي خلق لها وللكون فيها خليفة وواليا على من فيها فإنما أدلى آدم عليه السلام بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه على هذا الوجه ولذلك قال: أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني.

فإن قيل فعلى هذا يجب أن يسقط عنه اللوم أصلاً، قيل اللوم ساقط من قبل موسى إذ ليس لأحد أن يعير أحداً بذنب كان منه لأن الخلق كلهم تحت العبودية أكفاء سواء[(١)]).

٤) ويلاحظ على الشيخ الغزالي رحمه الله في اختياره لبعض العلماء في معالجة عقيدة القضاء والقدر ما يلي :

إذا نظرنا في النص المذكور لجلال الدين الرومي نجده ذهب إلى أن الإنسان مجبور في أشياء ، ومختار في أشياء ، وبهذا يتفق الشيخ الغزالي رحمه الله مع جلال الدين في عقيدة القدر.

أما الشيخ محمد عبده فقد ذهب أيضا إلى أن حوادث الكون بأسرها لا دخل للإنسان فيها لأنها ترجع إلى الله تعالى ، أما أعمال الإنسان الاختيارية فله دخل فيها ، وعلى هذا فالإنسان مختار ومجبور ، وهو بهذا يتفق الشيخ الغزالي رحمه الله مع محمد عبده في عقيدة القدر.

وأما المشير أحمد عزت باشا فكلامه ككلام جلال الدين الرومي ومحمد عبده ، ولهذا استدل الشيخ الغزالي رحمه الله بهؤلاء العلماء الثلاثة .

---

(١) معالم السنن. وهو شرح سنن أبي داود(٣٢٢/٤) لأبي سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي الناشر: المطبعة العلمية – حلب. الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

الخاتمة

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين وبعد ....

وبعد أن انتهيت وبحمد الله من خوض غمار هذا البحث الذي عشت معه أياماً وشهوراً مباركات أسجل هنا بعض النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج :

١. أن الغزالي اعتبر الكتاب والسنة هما مصدر عقيدته، ويكتفي في تكوينها بالآيات المحكمات والأحاديث المتواترة.

٢. وفي التعامل مع السنة ينظر إلى سياق الحديث فإن وافق ما فهمه من المعنى القرآني أخذ به، وإن لم يوافق لم يأخذ به وإن كان صحيحاً. ولهذا يرد الحديث الصحيح لمخالفته ظاهر القرآن ـ كما يرى ـ ويأخذ بالحديث الضعيف إذا وافق ما فهمه من المعنى القرآني.

٣. أن الغزالي يأخذ بالأحاديث المتواترة في إثبات العقائد، ولا يأخذ بحديث الآحاد. وهذا يعني أنه يفرق بين المتواتر والآحاد، بينما السلف رضوان الله عليهم لا يفرقون بينهما في إثبات العقائد.

٤. أن الغزالي يرى أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم اليقيني، وإنما تفيد الظن، بينما السلف رضوان الله عليهم تفيد العم اليقيني إذا صحت.

٥. وأما موقف الشيخ الغزالي من الأحاديث الضعيفة نجده متناقض حيث يذهب إلى هجر الأحاديث الضعيفة جملة وتفصيلاً، ثم نراه يأخذ بالأحاديث الضعيفة في الدعوة والإرشاد بشرط اتفاقها مع مبادئ الدين الكلية وقواعده العامة.

٦. رغم أن الغزالي اعتبر الإجماع حجة إلا إن هذا الإجماع قيده بأنه ليس إجماع العلماء وحدهم، بل هو إجماع العلماء مع أهل الحل والعقد الذين بيدهم الأمور ولهم السلطان.

وهذا الإجماع يتعلق عنده فقط بالمصالح العامة التي تتعلق بأمور الناس، ولا تتعلق بتفصيل الأحكام الشرعية.

٧. اعتبر الغزالي أن الإجماع معتبر في عصور متقدمة، ومتعسر في الأزمنة المتأخرة.

٨. اعتبر الغزالي أن العقل مصدر من مصادر الاستدلال، وذهب إلى أن الدليل العقلي لا يرجحه شيء أبداً. وهذا العقل له حدود ويجب أن لا يتعداها ولا يتخطاها، وأن ما خالف العقل لا يكون ديناً.

٩. أن الغزالي كان يضيق بعلم الكلام خصوصاً قضاياه الفلسفية المشتبكة بفكر الإغريق، ويرى أن الظروف التي نشأ فيها علم الكلام لها أثر سيء في سرد حقائقه، وأن كتبه التي شاعت بيننا فشلت في أداء رسالتها شكلاً وموضوعاً.

١٠. استخدم الغزالي قياس الأولى في الأصول إلى الإقرار بوجود الله تعالى في النفس، وإثبات أن الله تعالى له الخلق والأمر، ودلل على ذلك بأمثلة كثيرة[١].

١١. أن الغزالي يرى أهمية البحث التجريبي في الدلالة على وجود الله تعالى، واستشهد على ذلك بأقوال علماء الغرب.

١٢. ذكر الغزالي أن الإيمان اعتقاد قلبي يقوم على المعرفة، ولم يدخل العمل في مفهوم الإيمان.

١٣. يرى الغزالي أن صفات الله تعالى كثيرة، وأثبت منها ما جاء في كتاب الله تعالى وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما وصف الله تعالى به نفسه، ولكن تحدث عن صفة الوجود، وصفات المعاني السبع عند الأشاعرة، وصنف الحكمة.. وأثبت الصفات الذاتية دون التعرض لكيفيتها.

١٤. يرى الغزالي أن للملائكة وظائف كثيرة، لكنه ذكر بعضها، . وذكر بعض صفات الملائكة .كالقدرة التي زودهم الله بها، وأنها صديق للمؤمنين.

---

(١) انظر: من ص١٦١ إلى ص١٦٣.

١٥. أنكر الغزالي المس الجني استناداً على ما روى أن مالك بن أنس رحمه الله: أيتزوج الإنسي من الجنية ؟ رد مالك يجوز، ثم سئل أيتزوج الجني من الإنسية؟ فقال مالك: لا. ويرى الغزالي أن الحالين سواء، ولم يستدل على استحالة دخول الجنة في بدن الإنسان بأي دليل من الكتاب أو السنة.

١٦. يرى الغزالي تصديق القرآن لما بين يديه من الكتب، وأنه مهيمن عليها.

١٧. ذكر الغزالي أن الوحي إلهام إلهي خاص لا يستطيع أن يتجاوزه مرسل من الله، وأن مراتب الوحي عنده: الرؤيا الصالحة، الإلهام، تكليم الله لعبده من غير واسطة.

١٨. يرى الغزالي أن بعثة الرسل ضرورة إنسانية لتجنيب العالم متاعب الضرب في بيداء طامة.

١٩. يرى الغزالي أن المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق الرسول، وأن معجزة الرسول عقلية بينما معجزات الأنبياء السابقة كانت مادية.

٢٠. وفي حديث الغزالي عن الدجال ذكر أن أحاديث الدجال آحاد وبعضها في الصحاح، وقد صرح بتواترها أكثر أهل العلم.

٢١. وفي موقف الغزالي من المهدي، ذهب إلى أنه لم يرد فيه حديث صحيح وما ورد صحيحاً فليس بصحيح.

٢٢. يرى الغزالي أن الشفاعة لا يحتاج إليها سابق بالخير، ولا ينتفع بها مارق من الحق.

٢٣. وفي أنواع الشفاعة ذكر نوعاً واحداً من أنواع الشفاعة، وهي الشفاعة لقوم تأرجحت موازين الحق والباطل في أعمالهم.

٢٤. ذهب الغزالي إلى أن للقدر مرتبتين فقط هما: العلم والإرادة.

٢٥. يرى الغزالي أن الإنسان مجبور مختار وهو بهذا يتفق مع الأشاعرة.

٢٦. ذهب الغزالي أن ظواهر الجبر مرفوضة عند علماء الإسلام، ويرى إما تأويل هذه الظواهر أو اعتبارها آثار بها علة قادحة نسقطها عن درجة الصحة.

ثانياً: التوصيات:

- الاعتناء بكتب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ، وعرضها على أهل الاختصاص لمراجعتها وتصحيحها ، ومن ثم إعادة طباعتها ، خاصة الكتب تعالج مسائل العقيدة.
- الاعتناء بما صدر عن الشيخ العزالي رحمه الله من مادة مسموعة والمحافظة عليها من الفقدان والضياع والتشويش فهي تحمل مادة ثرية ، وتمتاز بروعة العرض وجمال الإلقاء.
- نريد الاهتمام بالموقع الالكتروني الخاص بالشيخ الغزالي رحمه الله ، وتنزيل جميع ما أنتج الشيخ رحمه الله من مادة مكتوبة أو مسموعة.
- إبراز جهد الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ، ودوره في الدفاع عن الإسلام وقضاياه المتعددة فللشيخ جمهور ومحبون كثر.

وفي الختام نسأل الله تعالى الإخلاص في القول والعمل وأن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي وكل من له فضل علي ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة تأليف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ) . تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي . الناشر: دار الراية للنشر – السعودية . الطبعة: الثانية.١٤١٨هـ

٢. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٣. الإجماع .تأليف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى : ٣١٩هـ). المحقق : فؤاد عبد المنعم أحمد. الناشر : دار المسلم للنشر والتوزيع. الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٤. الأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ) .دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥. الأحرف السبعة للقرآن تأليف : عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) . تحقيق: د. عبد المهيمن طحان . الناشر: مكتبة المنارة – مكة المكرمة. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨.

٦. أحكام أهل الذمة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) . المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري . الناشر: رمادى للنشر - الدمام .الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ– ١٩٩٧م.

٧. الإحكام في أصول الأحكام .المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ). المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر .الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٨. اختلاف الحديث ، مطبوع ملحقا بالأم تأليف : الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ). الناشر: دار المعرفة – بيروت . سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٩. اخرجوا من بلادنا لأنور الجندي . دار الطباعة : القاهرة ، عام ١٩٤٦م.

١٠. آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية . د: عبد الله السند . دار التوحيد ، الرياض . الطبعة الأولى عم ١٤٢٨هـ .

١١. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول تأليف: محمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) . تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق -كفر بطنا . قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور . الناشر: دار الكتاب العربي . الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٢. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، صالح بن فوزان بن عبد الله. الفوزان الناشر: دار ابن الجوزي. الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٣. أساس التقديس في علم الكلام ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية — بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٤. الاستذكار ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ). بتحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

١٥. الاستعمار أحقاد وأطماع. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الثالثة مايو ٢٠٠٤م.

١٦. الإسلام المفترى عليه. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. سبتمبر ٢٠٠٣م.

١٧. الإسلام و الطاقات المعطلة. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. يناير ٢٠٠٥م.

١٨. الإسلام والاستبداد السياسي. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة السادسة أكتوبر ٢٠٠٥م.

١٩. الإسلام والأوضاع الاقتصادية. محمد الغزالي. طبعة دار القلم. الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٠. الإسلام والمناهج الاشتراكية. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الثانية إبريل ٢٠٠٠م.

٢١. الأسماء والصفات للبيهقي لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد

الله بن محمد الحاشدي. الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣ م.

٢٢. أصول الدين ،لجمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (المتوفى: ٥٩٣هـ). المحقق: الدكتور عمر وفيق الداعوق .الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت — لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ — ١٩٩٨.

٢٣. أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ). تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٤. أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة ، لسعود بن عبد العزيز الخلف. الناشر: الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ .

٢٥. الأصولية في مصر غياب الديمقراطية أم فشل التنمية .د. هدى رزق . دار الفرات للنشر . بيروت . الطبعة الأولى . عام ٢٠٠٣م .

٢٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ). الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ،لبنان عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٢٧. الاعتصام. المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ). تحقيق: سليم بن عيد الهلالي. الناشر: دار ابن عفان، السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٢٨. الأعلام ،لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٢٩. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ). تحقيق: حازم القاضي. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.

٣٠. الإعلام في وجه الزحف الأحمر. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. مايو ٢٠٠٢م.

٣١. الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ). الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.
٣٢. الأم ، تأليف : الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) . الناشر: دار المعرفة – بيروت. الطبعة: بدون طبعة . سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٣٣. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ). المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٣٤. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ). المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف. الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٣٥. الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر. الناشر: دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣٦. الانتصار للقرآن للباقلاني . لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ). تحقيق: د. محمد عصام القضاة .الناشر: دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت .الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٧. الإنصاف لأبي بكر الباقلاني .
٣٨. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، (المتوفى: ٨٤٠هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.
٣٩. البحر المحيط في أصول الفقه ، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ). الناشر: دار الكتبي .الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٠. البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ). بتحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت،الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٤١. البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٤٢. البرهان في علوم القرآن. المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م. الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٤٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) بتحقق: محمد علي النجار. الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٤٤. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، لأبي محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ).

٤٥. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص: ٢٥٦) لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: موسى الدويش. الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤٦. البيان في مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ). المحقق: قاسم محمد النوري .الناشر: دار المنهاج – جدة. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

٤٧. تاج العروس تأليف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين . الناشر: دار الهداية.

٤٨. تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال ما بين الحربين العالميتين لأنور الجندي. دار الاعتصام ، القاهرة .

٤٩. تـأملات في الـدين والحيـاة. محمـد الغـزالي. طبعـة نهضـة مصـر. الطبعـة الثالثـة مـايو ٢٠٠٤م.
٥٠. تأويـل مختلـف الحـديث ، لأبي محمـد عبـد الله بـن مسـلم بـن قتيبـة الـدينوري (المتـوفى: ٢٧٦هـ). الناشـر: المكتـب الإسـلامي – مؤسسـة الإشـراق. الطبعـة: الطبعـة الثانيـة– مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٥١. التبشير الغربي لأنور الجندي . دار الاعتصام ، القاهرة .
٥٢. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . لأبي المظفر طاهر بن محمد الأسـفراييني . تحقيـق: كمـال يوسـف الحـوت. الناشـر: عـالم الكتـب — لبنـان. الطبعـة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٥٣. التحرير والتنوير – تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد– لمحمـد الطـاهر بـن محمـد بـن محمـد الطـاهر بـن عاشـور التونسـي (المتـوفى : ١٣٩٣هـ). الناشر : الدار التونسية للنشر — تونس ،سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
٥٤. تحفـة الأحـوذي بشـرح جـامع الترمـذي، لأبي محمـد عبـد الـرحمن بـن عبـد الـرحيم المباركفورى. (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.
٥٥. التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية (ص: ١٥) لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
٥٦. التحفـة المدنيـة في العقيـدة السـلفية (وطبـع الكتـاب باسـم: الفواكـه العـذاب في معتقـد الشيخ محمد بن عبد الوهـاب (في الصفات) بتحقيق الشيخ عبد الله بـن عبد المحسـن التركي – مؤسسة الرسالة) وهو في الأصل لحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي الحنبلي (المتوفى: ١٢٢٥هـ). بتحقق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم.
٥٧. تـدريب الـرواي بشـرح تقريـب النـوواي تـأليف: عبـد الـرحمن بـن أبي بكـر، جـلال الـدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي . الناشر: دار طيبة . بدون سنة نشر .
٥٨. تـذكرة المؤتسـي شـرح عقيـدة الحـافظ عبـد الغـني المقدسـي لعبـد الـرزاق بـن عبـد المحسـن البدر.

٥٩. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ١٢٨٢) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم. الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض .الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٦٠. تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق. الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ.

٦١. التصوف في مصر إبان العصر العثماني د. توفيق الطويل . مطبعة الاعتماد . القاهرة .عام ١٣٦٠ هـ .

٦٢. التعريفات تأليف : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ). تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان . الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٦٣. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام. محمد الغزالي. طبعة دار القلم. ١٤٢٦هـ.

٦٤. التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين لعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين (المتوفى: ١٤٣٠هـ). اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز. الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٦٥. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) بتحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.

٦٦. تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٦٧. تفسير السمعاني ، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ). بتحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٦٨. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن. المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

٦٩. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٧٠. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م

٧١. تفسير القرطبي ،لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ). تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش .الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة .الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٧٢. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ،ل محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ). المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر. الطبعة: الأولى، ١٤١٥– ١٩٩٥.

٧٣. تفسير مجاهد ، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ). بتحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل. الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر . الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

٧٤. تقريب التدمرية ، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام. الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٥. تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق: محمد عوامة. الناشر: دار الرشيد – سوريا. الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

٧٦. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث تأليف : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ). تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

٧٧. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ). المحقق: عبد الرحمن محمد عثمان. الناشر: محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .الطبعة: الأولى، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

٧٨. تلخيص السفسطة(ص: ١٥١)لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ). تحقيق: محمد سليم سالم. الناشر: مطبعة دار الكتب، القاهرة. عام النشر: ١٩٧٢ م.

٧٩. التلخيص في أصول الفقه ، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ). المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري. الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت.

٨٠. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ). المحقق: عماد الدين أحمد حيدر .الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨١. التمهيد في تخريج الفروع على الأصول لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ). المحقق: د. محمد حسن هيتو. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

٨٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ،لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ). تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب. عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

٨٣. تهذيب اللغة للأزهري. ت: عبد السلام هارون . طبعة شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر: الثانية، ١٣٨٩هـ.

٨٤. تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ). المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٨٥. توجيه النظر إلى أصول الأثر ، لطاهر بن صالح (أو محمد صالح) ابن أحمد بن موهب، السمعوني الجزائري، ثم الدمشقيّ (المتوفى: ١٣٣٨هـ). المحقق: عبد الفتاح أبو غدة. الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب. الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٨٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) بتحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٨٧. الثقات ،لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ). طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية. تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية. الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند. الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣.

٨٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٨٩. جامع العلوم والحكم جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن.السَلامي. البغدادي، ثم الدمشقي. الحنبلي . (المتوفى: ٧٩٥هـ). المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس. الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت. الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٩٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩١. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ). تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر : دار الكتب المصرية — القاهرة. الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٩٢. الجانب العاطفي من الإسلام. محمد الغزالي. طبعة دار القلم. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٩٣. الجرعات الأخيرة من الحق المر. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الجزء السادس. الطبعة الثانية
إبريل ٢٠٠٠م.
٩٤. جرعات جديدة من الحق المر. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الجزء الخامس. نوفمبر ٢٠٠٣م.
٩٥. جرعات جديدة من الحق المر. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الجزء الرابع. الطبعة الخامسة
مايو ٢٠٠٤م.
٩٦. جمهرة اللغة تأليف : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ). المحقق:رمزي منير بعلبكي. الناشر:دار العلم للملايين–بيروت . الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٩٧. جمهرة أنساب العرب لابن حزم ،لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ). تحقيق: لجنة من العلماء .الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٣/١٩٨٣.
٩٨. جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. مارس ٢٠٠١م.
٩٩. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (المتوفى: ٧٢٨هـ).
١٠٠. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) . الناشر: دار المعرفة – المغرب . الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٠١. حاشية الصاوي على الشرح الصغير = بلغة السالك لأقرب المسالك ،لأبي العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (المتوفى: ١٢٤١هـ). الناشر: دار المعارف. الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
١٠٢. حاضر العالم الإسلامي للدكتور جميل المصري . دار أم القرى ، عمان ، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٩هـ.

١٠٣. حاضر العالم الإسلامي. د. علي جريشة . دار المجتمع ، جدة . الطبعة الرابعة . عام ١٤١٠هـ.

١٠٤. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني. لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي . (المتوفى: ٤٥٠هـ). المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

١٠٥. الحبائك في أخبار الملائك لجلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٠٦. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة تأليف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ). تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي . الناشر: دار الراية - السعودية / الرياض . الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٠٧. حصاد الغرور. محمد الغزالي. طبعة دار القلم. ١٤٢٤هـ.

١٠٨. الحق المر. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الجزء الأول. الطبعة الخامسة مايو ٢٠٠٤م.

١٠٩. الحق المر. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الجزء الثالث. الطبعة الثالثة مايو٢٠٠٤م.

١١٠. حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة ، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي.). الناشر: دار المعارف النعمانية – باكستان. الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١١١. حقيقة القومية العربية. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. فبراير ١٩٨٨م.

١١٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. أشرف على تحقيقه وتخريج

أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١١٣. الحياة الأولى "ديوان شعر". محمد الغزالي. طبعة دار الشروق. تحقيق مصطفى الشكعة. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١١٤. الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية ،لمحمد العربي القروي. الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت.

١١٥. خلق المسلم. محمد الغزالي. طبعة دار القلم. الطبعة السابعة ١٤٠٨هـ.

١١٦. درء تعارض العقل والنقل ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم. الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

١١٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) . تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان . الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد/ الهند . الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١١٨. دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١١٩. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة السابعة إبريل ٢٠٠٥م.

١٢٠. دلائل النبوة ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ.

١٢١. دمعة على التوحيد ،كتاب المنتدى . المنتدى الإسلامي ، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ .

١٢٢. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

١٢٣. الدين والعلم ، بقلم مترجمه إلى العربية عبد العزيز عزت.طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. بالقاهرة لعام١٣٦٧١هـ١٩٤٨١م.
١٢٤. الذخيرة للقرافي ، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ). الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت .الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.
١٢٥. الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق ،لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: علي بن محمد العمران. الناشر: دار عالم الفوائد – مكة. الطبعة:الأولى.
١٢٦. الرد على المنطقيين تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) . الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان. بدون طبعة.
١٢٧. الرسالة تأليف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ). تحقيق: أحمد شاكر . الناشر: مكتبه الحلبي، مصر. الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.
١٢٨. رسالة التوحيد لمحمد عبده بن حسن خير الله (المتوفى: ١٣٢٣هـ). الناشر: دار الكتاب العربي.
١٢٩. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت . لعبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر (المتوفى: ٤٤٤هـ). المحقق: محمد باكريم با عبد الله. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
١٣٠. الرسالة الكمالية في ما يجب لله من صفات الكمال ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). الناشر: مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة، مصر. الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٣١. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ). المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي . الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. الطبعة: ١٤١٣هـ

١٣٢. رسالة في القرآن وكلام الله. المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ). المحقق: يوسف بن محمد السعيد. الناشر: دار أطلس الخضراء، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٣٣. الرسالة. المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) .المحقق: أحمد شاكر. الناشر: مكتبه الحلبي، مصر. الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

١٣٤. ركائز الإيمان بين العقل والقلب. محمد الغزالي. طبعة دار القلم. ١٤١٩هـ.

١٣٥. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. بدون سنة نشر .

١٣٦. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ). الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع .الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٣٧. زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. الناشر: مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٣٨. سر تأخر العرب والمسلمين. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة السادسة مايو ٢٠٠٤م.

١٣٩. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة تأليف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى:

١٤٢٠هـ). دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية . الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
١٤٠. سمط اللآلي في الرد على الشيخ محمد الغزالي. تأليف: أبي إسحاق الحويني. مكتبة التوعية الإسلامية. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٤١. السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق.
١٤٢. سنن ابن ماجه. المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٤٣. سنن أبي داود تأليف : أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت.
١٤٤. سنن أبي داود. المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي. السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت.
١٤٥. سنن الترمذي. المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) .ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) .وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥). الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي — مصر. الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
١٤٦. السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي. (المتوفى: ٣٠٣هـ). المحقق: حسن عبد المنعم شلبيالناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
١٤٧. سير أعلام النبلاء تأليف : شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) . الناشر: دار الحديث– القاهرة . الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٤٨. شبهات القرآنيين حول السنة النبوية للأستاذ الدكتور : محمود محمد مزروعة.
١٤٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكبري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) . حققه: محمود الأرناؤوط .

عبـد القـادر الأرنـاؤوط . الناشـر: دار ابـن كثـير، دمشـق – بـيروت. الطبعـة: الأولى، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.

١٥٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ). تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. الناشر: دار طيبة – السعودية. الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

١٥١. شـرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة والجماعـة شـرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة والجماعـة (٤/ ٩٣٢)لأبي القاسـم هبـة الله بـن الحسـن بـن منصـور الطـبري الـرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ). تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. الناشر: دار طيبة – السعودية الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

١٥٢. شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية تأليف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ) . الناشر: مؤسسة الريان . الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٥٣. شـرح الأصـفهانية لابـن تيميـة . تحقيـق: حسـين محمـد مخلـوف. الناشـر: دار الكتب الإسلامية. بدون سنة طبع.

١٥٤. شرح الزرقاني على الموطأ ، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهـري تحقيـق: طـه عبـد الـرءوف سـعد. الناشـر: مكتبـة الثقافـة الدينيـة – القـاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٥٥. شرح السنة تأليف : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفـراء البغـوي الشـافعي (المتـوفى: ٥١٦هـ) . تحقيـق: شـعيب الأرنـؤوط-محمـد زهـير الشاويش . الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت . الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٥٦. شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (المتوفى: ٣٢٩هـ).

١٥٧. شـرح السـنة معتقـد إسماعيـل بـن يحـيى المـزني. المؤلـف: إسماعيـل بـن يحـيى بـن إسماعيل، أبـو إبـراهيم المـزني (المتـوفى: ٢٦٤هـ). المحقـق: جمـال عـزون. الناشـر: مكتبـة الغرباء الأثرية – السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٥٨. شرح الطحاوية ، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ). تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني. الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي). الطبعة: الطبعة المصرية الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٥٩. شرح الطحاوية ، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ). تحقيق: أحمد شاكر. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد. الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

١٦٠. شرح العقيدة السفارينية لمحمد صالح العثيمين . الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

١٦١. شرح العقيدة الطحاوية لصدر الدين محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي،الدمشقي . (المتوفى: ٧٩٢هـ). تحقيق: أحمد شاكر . الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد . الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

١٦٢. شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)المحقق: سعد فواز الصميل. الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ.

١٦٣. شرح العقيدة الواسطية. المؤلف: محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: ١٣٩٥هـ). ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف .الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع — الخبر. الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ.

١٦٤. شرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (المتوفى: ٧٩٣هـ). الناشر: دار المعارف النعمانية — باكستان ،الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٦٥. شرح المقاصد في علم الكلام ،لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (المتوفى: ٧٩٣هـ

١٦٦. شرح النووي على مسلم ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت. الطبعة: الثانية،١٣٩٢هـ.

١٦٧. شرح الورقات في أصول الفقه – لجلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (المتوفى: ٨٦٤هـ) . قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة . الناشر: مكتبة العبيكان . الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

١٦٨. شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) .الناشر: دار الثريا للنشر. الطبعة: الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

١٦٩. شرح سنن أبي داود ، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ). المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري. الناشر: مكتبة الرشد — الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.

١٧٠. شرح صحيح البخارى لابن بطال ، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)بتحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض. الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

١٧١. شرح مقدمة التفسير لابن تيمية – العثيمين ، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). إعداد وتقديم: الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار. الناشر: دار الوطن، الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

١٧٢. الشريعة للآجري ، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) بتحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي. الناشر: دار الوطن – الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

١٧٣. شعب الإيمان تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد . أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي — الهند. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند . الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٧٤. شعب الإيمان للبيهقي، الباب الثاني من شعب الإيمان ، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بتحقيق فالح بن ثاني.

١٧٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفى مع حاشية الشمني (المتوفى: ٨٧٣هـ)لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ). الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

١٧٦. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ). الناشر: دار الفيحاء – عمان. الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ.

١٧٧. الشمس المنتصرة دراسة آثار الشاعر جلال الدين الرومي ، للبروفسيرة أنيماري شميل وترجمه للعربية الدكتور عيسى علي العاكوب طبعة دار الارشاد الاسلامي ،سازمان بإيران عام ١٣٧٩هـ.

١٧٨. الشهادتان. محمد الغزالي. طبعة وزارة أوقاف مصر. الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

١٧٩. الشيخ الغزالي كما عرفته. د. يوسف القرضاوي. دار الشروق. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٨٠. الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة ، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة: السنة الحادية عشرة- العدد الرابع- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٨١. الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية. د محمد عمارة. طبعة دار السلام. الطبعة الأولى ١٤٣هـ.

١٨٢. الشيخ محمد الغزالي تاريخه، وجهوده، وآرائه. د. عبدالحليم عويس. دار القلم. الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٨٣. الشيخ محمد الغزالي حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم . د. رمضان الغريب . دار الحرم ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .

١٨٤. الشيخ محمد الغزالي رائد منهج التفسير الموضوعي في العصر الحديث. د. مسعود فلوسي. دار الوفاء. الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٨٥. الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود. د. مسعود موسى فلوسي. مكتبة وهبة. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٨٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الناشر: دار العلم للملايين – بيروت. الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٨٧. الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الثانية . لأنور الجندي.

١٨٨. صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ). ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ). حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٨٩. صحيح الجامع الصغير وزياداته لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). الناشر: المكتب الإسلامي.

١٩٠. صحيح الجامع الصغير وزياداته. للألباني. الناشر: المكتب الإسلامي.

١٩١. صفحات في علوم القراءات (ص: ٨٠) لأبي طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي. الناشر: المكتبة الأمدادية. الطبعة: الأولى- ١٤١٥ هـ

١٩٢. صيحة تحذير من دعاة التنصير. محمد الغزالي. طبعة دار القلم. ١٤٢١هـ.

١٩٣. الضروري في أصول الفقه أو مختصر المستصفى لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ) . تقديم وتحقيق: جمال الدين العلوي .تصدير: محمد علال سيناصر . الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م.

١٩٤. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع تأليف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) . الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

١٩٥. طبقات الشافعيين ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب. الناشر: مكتبة الثقافة الدينية. تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

١٩٦. الطبيعيات لابن سينا (المقالة الرابعة) .

١٩٧. طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد) ، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي. (المتوفى: ٨٠٦هـ). أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: ٨٢٦هـ). الناشر: الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

١٩٨. الطريق من هنا. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق.

١٩٩. ظلام من الغرب. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الأولى أكتوبر ١٩٩٧م.

٢٠٠. العبر في خبر من غبر لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول . الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.

٢٠١. العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي. حلقة دراسية. المحرر.د.فتحي حسن ملكاوي. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٠٢. عقبات في طريق النهضة لأنور الجندي. دار الاعتصام ، القاهرة .

٢٠٣. العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين. المؤلف: حسين بن غنّام (أو ابن أبي بكر بن غنام) النجدي الأحسائي المالكي (المتوفى: ١٢٢٥هـ). الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية. الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. المحقق: محمد بن عبد الله الهبدان.

٢٠٤. عقيدة المسلم. محمد الغزالي. طبعة دار الدعوة. الطبعة الخامسة ١٤٢٩هـ.

٢٠٥. العقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح الهراس.

٢٠٦. علل وأدوية. محمد الغزالي. محمد الغزالي. طبعة الدعوة. الطبعة السادسة ١٧٢٧هـ.

٢٠٧. علماء ومفكرون عرفتهم. محمد مجذوب. الطبعة الرابعة. دار الشروق.

٢٠٨. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). المحقق: أبو

محمد أشرف بن عبد المقصود. الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٢٠٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١٠. العهد القديم سفر التثنية ، الاصحاح الخامس).

٢١١. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

٢١٢. العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)

٢١٣. غاية النهاية في طبقات القراء تأليف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (المتوفى: ٨٣٣هـ). الناشر: مكتبة ابن تيمية .الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر .

٢١٤. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق.

٢١٥. الفتاوى الكبرى لابن تيمية. المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٢١٦. الفتاوى السعدية . تأليف : عبد الرحمن الناصر السعدي. الناشر : مكتبة المعارف. الطبعة الثانية: ١٤٠٢. ١٩٨٢م.

٢١٧. الفتاوى الكبرى لابن تيمية. الناشر: دار الكتب العلمية .الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٢١٨. فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

٢١٩. فتاوي محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق.

٢٢٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ). تحقيق: مجموعة من العلماء .الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين — القاهرة.

٢٢١. فتح الباري لابن حجر ، لا بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت،١٣٧٩هـ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢٢٢. فتح القدير ،لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٢٢٣. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ). المحقق: علي حسين علي. الناشر: مكتبة السنة — مصر. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣.

٢٢٤. الفتوى الحموية الكبرى لتقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري. الناشر: دار الصميعي — الرياض. الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٢٢٥. الفرق بين الفرق للبغدادي. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية .بيروت. عام ١٤٢٤هـ.

٢٢٦. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، لغالب بن علي عواجي. الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة. الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٢٧. الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية (أزمة الشورى). محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. يناير ٢٠٠٥م.

٢٢٨. فصل المقال لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ). دراسة وتحقيق: محمد عمارة. الناشر: دار المعارف. الطبعة: الثانية.

٢٢٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري. (المتوفى: ٤٥٦هـ). الناشر: مكتبة الخانجي — القاهرة.
٢٣٠. فضائل الصحابة. المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ). المحقق: د. وصي الله محمد عباس. الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ — ١٩٨٣.
٢٣١. الفقه الأكبر مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ) بشرح محمد بن عبد الرحمن الخميس. الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٢٣٢. الفكر السياسي عن الشيخ محمد الغزالي. مذكرة ماجستير. إعداد الطالب خالد حباسي. إشراف د محمد عبد النبي. طبعة كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر. السنة الدراسية ١٤٢٣.١٤٢٤هـ.
٢٣٣. الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية لأنور الجندي.
٢٣٤. الفكر المعاصر بين النقض والنقد د. عصمت نصار . المكتبة المصرية ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤م .
٢٣٥. فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق.
٢٣٦. في موكب الدعوة. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الثالثة مايو ٢٠٠٤م.
٢٣٧. قذائف الحق. محمد الغزالي. طبعة دار القلم. الطبعة الرابعة ١٤٣١هـ.
٢٣٨. القضاء والقدر للأشقر ، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي. الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن. الطبعة: الثالثة عشر، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.
٢٣٩. قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق.
٢٤٠. قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، لمرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (المتوفى: ١٠٣٣هـ). المحقق: سامي عطا حسن. الناشر: دار القرآن الكريم — الكويت.
٢٤١. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.

٢٤٢. القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

٢٤٣. القيامة الصغرى ، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي. الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت. الطبعة: الرابعة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

٢٤٤. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب. الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة. الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢ م.

٢٤٥. كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، لمؤلف: نخبة من العلماء. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٤٦. كتاب التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ). المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٤٧. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ،لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ). المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان. الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض. الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٤٨. كتاب السنة : لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المـَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ) . تحقيق: سالم أحمد السلفي . الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ .

٢٤٩. كتاب العرش ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) .المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٥٠.	كتاب المصاحف. المؤلف: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني(المتوفى: ٣١٦هـ). المحقق: محمد بن عبده. الناشر: الفاروق الحديثة – مصر / القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م

٢٥١.	كتاب النبوات ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)بتحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان. الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٥٢.	الكتب العلمية – بيروت / لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٢٥٣.	كشف المشكل من حديث الصحيحين ، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ). المحقق: علي حسين البواب. الناشر: دار الوطن – الرياض.

٢٥٤.	كشف المشكل من حديث الصحيحين ،لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ). المحقق: علي حسين البواب. الناشر: دار الوطن – الرياض.

٢٥٥.	كفاح دين. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. يناير ٢٠٠٤م.

٢٥٦.	الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ). المحقق: عدنان درويش – محمد المصري. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٥٧.	كنوز من السنة. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الحادية عشر فبراير ٢٠١٠م.

٢٥٨.	الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ).المحقق: خليل المنصور. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧ م.

٢٥٩.	كيف نتعامل مع القرآن. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة السابعة يوليو ٢٠٠٥م.

٢٦٠.	كيف ندعو الناس لمحمد قطب . دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثالثة عام ١٤٢٤هـ .

٢٦١. كيف نفهم الإسلام. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الثالثة. مارس ٢٠٠٥م.
٢٦٢. اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ). الناشر: دار صادر – بيروت .
٢٦٣. اللباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ). المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. الناشر: دار
٢٦٤. لسان العرب تأليف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ). الناشر: دار صادر – بيروت . الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .
٢٦٥. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة ، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ). بتحقق: فوقية حسين محمود ،الناشر: عالم الكتب – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٦٦. لمعة الاعتقاد ، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ). الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٢٦٧. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية : شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ). الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق. الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٢٦٨. ليس من الإسلام. محمد الغزالي. طبعة مكتبة وهبة. الطبعة السادسة ١٤١١هـ.
٢٦٩. مؤسسة الرسالة. الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٧٠. مائة سؤال عن الإسلام. محمد الغزالي. جزئين. طبعة نهضة مصر. الطبعة الرابعة يوليو ٢٠٠٥م.

٢٧١. مباحث في علوم القرآن. المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ). الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٢٧٢. المبسوط للسرخسي ، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ). الناشر: دار المعرفة – بيروت. تاريخ النشر: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٢٧٣. متن العقيدة الطحاوية مع شرحها - طبعة دار السلام.
٢٧٤. مجلة البيان العدد ١٦١ ص٧٠ سنة ١٤٢٢هـ . شهر محرم .
٢٧٥. مجمل اللغة لابن فارس ، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ). دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٧٦. مجموع الفتاوى ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢٧٧. المحاور الخمسة للقرآن الكريم. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق.
٢٧٨. محبة الرسول بين الإتباع والابتداع ، لعبد الرءوف محمد عثمان الطبعة : الأولى الناشر : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض تاريخ النشر : ١٤١٤هـ.
٢٧٩. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ). الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٢٨٠. المحصول. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني. الناشر:
٢٨١. المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٢٨٢. المحيط البرهاني في الفقه النعماني ، لأبي المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (المتوفى: ٦١٦هـ). المحقق: عبد الكريم سامي الجندي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

٢٨٣. مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، لأبي محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ). الطبعة: الثانية عشر، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٨٤. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) . اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي . (المتوفى: ٧٧٤هـ). تحقيق: سيد إبراهيم. الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر . الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٨٥. مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية ، لعبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين. الناشر: مكتبة الرشد الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ. وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٤١) لنخبة من العلماء. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٨٦. مختلف غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ). الناشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق. الطبعة: الطبعة الثانية- مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٨٧. المخصص ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: خليل إبراهم جفال . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢٨٨. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية. تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي. الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع. الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٨٩. المرأة في الإسلام . الشيخ محمد الغزالي . د. محمد سيد طنطاوي . د. أحمد عمر هاشم. مطبوعات أخبار اليوم.

٢٩٠. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ). الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند. الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م.

٢٩١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ). الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٩٢. المستدرك على الصحيحين ،المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ– ١٩٩٠م.

٢٩٣. المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ) . الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٢٩٤. المستصفى لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ). تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٩٥. مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه. محمد الغزالي. طبعة مؤسسة الشرق. الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٢٩٦. مسند أبي داود الطيالسي ، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ). المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي. الناشر: دار هجر – مصر. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٩٧. مسند أبي يعلى لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) . تحقيق: حسين سليم أسد . الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق. الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

٢٩٨. مسند أحمد ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ). بتحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٩٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ). المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون.

إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٠٠. مسند البزار = البحر الزخار ، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ). الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٣٠١. مسند الشافعي ، لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ). رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي. عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري. تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله على نسختين مخطوطتين: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسيني. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. عام النشر: ١٣٧٠هـ - ١٩٥١ م.

٣٠٢. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٠٣. مشكلات في طريق الحياة الإسلامية. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الرابعة أكتوبر ١٩٩٩م.

٣٠٤. مصر المجاهدة في العصر الحديث كفاح الشعب من الحملة الفرنسية إلى ولاية محمد علي. عبد الرحمن الرافعي. الطبعة الثالثة مارس ٢٠٠٥م. دار الهلال.

٣٠٥. مصر والسودان . عبد الرحمن الرافعي

٣٠٦. مصطلح الحديث. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). الناشر: مكتبة العلم، القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٣٠٧. مصنف ابن أبي شيبة ، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ). المحقق: كمال يوسف الحوت. الناشر: مكتبة الرشد – الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٠٨. معارج القبول بشرح سلم الوصول ، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : ١٣٧٧هـ). بتحقق : عمر بن محمود أبو عمر. الناشر : دار ابن القيم – الدمام. الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.

٣٠٩. معالم أصول الدين ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). المحقق: طه عبد الرؤوف سعد. الناشر: دار الكتاب العربي — لبنان.
٣١٠. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ، لمحمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني. الناشر: دار ابن الجوزي. الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ.
٣١١. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة. المؤلف: محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني. الناشر: دار ابن الجوزي. الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ.
٣١٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ). تحقيق : عبد الرزاق المهدي. الناشر : دار إحياء التراث العربي —بيروت . الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
٣١٣. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود ، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ). الناشر: المطبعة العلمية ،حلب ،الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
٣١٤. معاني القرآن للنحاس لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ). المحقق: محمد علي الصابوني. الناشر: جامعة أم القرى - مكة المرمة. الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.
٣١٥. معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم -(من كتاب البداية والنهاية لابن كثير) ، بتحقيق وتعليق: السيد إبراهيم أمين محمد. الناشر: المكتبة التوفيقية.
٣١٦. معجم أعلام شعراء المدح النبوي تأليف: محمد أحمد درنيقة. تقديم: ياسين الأيوبي . الناشر: دار ومكتبة الهلال. الطبعة: الأولى.
٣١٧. المعجم الكبير. المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ). المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. دار النشر: مكتبة ابن تيمية — القاهرة. الطبعة: الثانية. (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م).
٣١٨. معجم المؤلفين تأليف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق. (المتوفى: ١٤٠٨هـ). الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣١٩. معجم ديوان الأدب ، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ). بتحقيق: دكتور أحمد مختار عمر مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس. طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.

٣٢٠. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية(ص: ٦٤٥، ٦٤٦)لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ). المحقق: عدنان درويش – محمد المصري. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٢١. معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر. عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٢٢. معركة المصحف في العالم الإسلامي. محمد الغزالي. طبعة دار القلم. الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٣٢٣. معنى لا إله إلا الله ، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ). المحقق: علي محيي الدين علي القرة راغي. الناشر: دار الاعتصام – القاهرة. الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٢٤. المغني لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي(المتوفى: ٦٢٠هـ) الناشر: مكتبة القاهرة.

٣٢٥. المغني = الغنية في أصول الدين للمتولي ، لعبد الرحمن بن مأمون النيسابوري، أبو سعد(المتوفى: ٤٧٨هـ) . تحقيق وتقديم: مارى برنان. الناشر: المعهد الفرنسى للآثار الشرقيه، ١٩٨٦م.

٣٢٦. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٣٢٧. المفضليات تأليف: : المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) . تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون . الناشر: دار المعارف – القاهرة . الطبعة: السادسة.

٣٢٨. مقدمة التفسير لابن تيمية مع شرح العثيمين. الناشر: دار الوطن، الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٣٢٩. مقدمة دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ

٣٣٠. المقصد الأسنى المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ). المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي . الناشر: الجفان والجابي – قبرص. الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

٣٣١. المقنع في علوم الحديث تأليف : ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) . تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع . الناشر: دار فواز للنشر – السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ .

٣٣٢. الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) .الناشر: مؤسسة الحلبي.

٣٣٣. من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة. المستشار عبدالله العقيل. مكتبة المنار الإسلامية. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٣٤. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. فبراير ١٩٩٨م.

٣٣٥. من مقالات الشيخ محمد الغزالي. جمع عبد الحميد حسانين حسن. ثلاثة أجزاء. الطبعة الثانية سبتمبر ٢٠٠٢م.

٣٣٦. من هنا نعلم. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الرابعة سيبتمبر ٢٠٠٣م.

٣٣٧. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم. راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط. عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون. الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية. عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٣٣٨. مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين لمجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية. مثل الجانب الإسلامي في المناظرة كل من الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد واللواء المهندس أحمد

عبد الوهاب. الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض – المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

٣٣٩. مناهل العرفان في علوم القرآن تأليف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) . الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة: الطبعة الثالثة.

٣٤٠. المنتقى شرح الموطإ ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ). الناشر: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر. الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ.

٣٤١. المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ). المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري .الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة .الطبعة: الأولى، ١٤١٣ – ١٩٩٢م.

٣٤٢. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ،لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: محمد رشاد سالم ،الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٣٤٣. المنهاج شرح النووي على مسلم لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت . الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٣٤٤. منهج الأشاعرة في العقيدة . للدكتور سفر الحوالي.الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد الثاني والستون ربيع الآخر– جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣٤٥. منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة. تأليف: وصفي عاشور أبو زيد.

٣٤٦. المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي تأليف: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ). تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان . الناشر: دار الفكر – دمشق . الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ .

٣٤٧. الموافقات تأليف : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي . (المتوفى: ٧٩٠هـ). تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان . الناشر: دار ابن عفان . الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٣٤٨. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د. أحمد شلبي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . الطبعة الخامسة ، عام ٢٠٠٠م.
٣٤٩. الموسوعة العربية العالمية . الناشر : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٦هـ .
٣٥٠. الموسوعة العربية الميسرة . دار الجيل بيروت ، الطبعة الثانية ، عام ٢٠٠١م.
٣٥١. موسوعة المستشرقين . د. عبد الرحمن بدوي . دار العلم للملايين . بيروت .
٣٥٢. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ .
٣٥٣. الموسوعة الميسرة في الأيان والمذاهب والأحزاب المعاصرة من إصدارات الندوة العالمية . إشراف وتخطيط ومتابعة الدكتور مانع الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤١٨هـ .
٣٥٤. مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث (مصر نموذجاً) . د . أحمد قوشتي عبد الرحيم مخلوف . مركز التأصيل للدراسات والبحوث . الطبعة الأولى . ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٣٥٥. موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٣٠٨) لعبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود. الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، لعبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود. الناشر: مكتبة الرشد – الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
٣٥٦. موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي من السنة النبوية. د/ محمد سيد أحمد شحاتة. دار السلام.
٣٥٧. الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١هـ/١٩٩٧م.
٣٥٨. الناشر: مطابع أضواء المنتدى.

٣٥٩. النبذة الكافية في أحكام أصول الدين (النبذ في أصول الفقه) ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ). المحقق: محمد أحمد عبد العزيز. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٦٠. نبذة في العقيدة الإسلامية (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل (ص: ٣٥). ابن عثيمين)لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٣٦١. النبوات لتقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). تحقيق : عبد العزيز بن صالح الطويان. الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣٦٢. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق. الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ.

٣٦٣. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) . حققه على نسخه مقروءة على المؤلف وعلق عليه: نور الدين عتر . الناشر: مطبعة الصباح، دمشق . الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠م.

٣٦٤. نسب عدنان وقحطان ، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) . المحقق: عبد العزيز الميمنيّ الراجكوتيّ. الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – الهند. عام النشر: ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م.

٣٦٥. النشر في القراءات العشر ، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ). المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ). الناشر : المطبعة التجارية الكبرى.

٣٦٦. نظرات في القرآن. محمد الغزالي. طبعة نهضة مصر. الطبعة الخامسة مايو ٢٠٠٤م.

٣٦٧. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ). الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. المحقق: رشيد بن حسن الألمعي. الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٦٨. النكت على مقدمة ابن الصلاح تأليف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ) . تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج . الناشر: أضواء السلف – الرياض . الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٦٩. نهاية المطلب في دراية المذهب ،لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ). حققه وصنع فهارسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الدّيب. الناشر: دار المنهاج. الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٧٠. النهاية في غريب الحديث والأثر تأليف : مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي . الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٧١. نواسخ القرآن لابن الجوزي = ناسخ القرآن ومنسوخه ، لمحمد أشرف علي المليباري، وأصله رسالة ماجستير - الجامعة الإسلامية - الدراسات العليا - التفسير - ١٤٠١هـ. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٣٧٢. هذا ديننا. محمد الغزالي.

٣٧٣. هذا ديننا. محمد الغزالي. طبعة دار الشروق. الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ.

٣٧٤. هكذا علمني محمد الغزالي. علاء الدين آل رشي. دار الوراق. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٧٥. هموم داعية. محمد الغزالي. طبعة دار الحرمين للنشر. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٧٦. الوافي بالوفيات تأليف : صلاح الدين خليل الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ). تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى . الناشر: دار إحياء التراث – بيروت. عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٧٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تأليف: أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: ٠، ١٩٠٠.

المواقع الالكترونية:

١. موقع الشيخ الغزالي. http://alghazaly.org/

٢. موقع المكتبة الشاملة. http://shamela.ws/

٣. موقع الموسوعة الحرة وكيبيديا. http://ar.wikipedia.org/wiki/
٤. ملتقى أهل الحديث. http://www.ahlalhdeeth.com/vb/index.php
٥. ملتقى العقيدة والمذاهب المعاصرة. http://www.alagidah.com/vb/

فهرس المحتويات